الفائزون

محور الثقافة والتراث

2011م

التناص في الشعر المعاصر في الإمارات

د.عبد الحكيم الزبيدي

مركز سلطان بن زايد
للثقافة والإعلام

عبد الحكيم عبد الله الزُبيدي

الجنسية: الإمارات العربية المتحدة
دكتوراه في الإدارة الطبية من جامعة ابردين بالمملكة المتحدة 2006
شاعر وكاتب وباحث
أسس ويدير موقع الأديب علي أحمد باكثير على الإنترنت:
عضو اتحاد كتاب وأدباء الإمارات
- عضو اتحاد كتاب الانترنت العرب
- عضو جمعية حماية اللغة العربية بالشارقة
- عضو الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب - واتا.

الكتب المنشورة:
- اعتراضات متأخرة (مجموعة شعرية)، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ابوظبي، 2009
- اليهود في مسرح علي أحمد باكثير (دراسة)، دار الفكر، دمشق، 2009
- علي أحمد باكثير بمناسبة مرور قرن على ميلاده (مجموعة مقالات)، كتاب الرافد (6)، الشارقة، 2009

تحت الطبع:
- خصائص شعر الغزل عند عمر بن أبي ربيعة
- الأهازيج الشعبية في الخليج والجزيرة العربية
- التكوص الإبداعي في أدب علي أحمد باكثير.

الـفـائـــــزون

محـور الثقافـة والتـراث

2011م

التناص في الشعر المعاصر في الإمارات

د.عبد الحكيم الزبيدي

رقم التصنيف: تصنيف ديوي 811، 810، 953، إمارات، أدب عربي، الشعر.

المؤلف : د. عبد الحكيم الربيدي

اسم الكتاب: التناص في الشعر المعاصر في دولة الإمارات

الموضوع الرئيس: هذا البحث جديد، لم يسبق لباحث إماراتيّ أو غير إماراتيّ البحث في التّناصّ في الشّعر الإماراتيّ المعاصر، ويتألّف من تمهيد وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع، وبين ذلك كلّه أربع عشرة دراسة، خصَّص الباحث كلّ فصلٍ منها لشاعر من الشّعراء الإماراتيّين

الناشر: مركز سلطان بن زايد للثقافة الإعلام ونادي تراث الإمارات

توصيف الكتاب : قياس الكتاب 24x17 غلاف كرتون عدد الصفحات 186

حقوق الطبع محفوظة للناشر

copyright© all rights reserved

الطبعة الأولى 1433 هـ - 2011 م

إشراف

اللجنة العليا المنظمة لاحتفالات

نادي تراث الإمارات باليوم الوطني 40

لدولة الإمارات العربية المتحدة

مركز سلطان بن زايد للثقافة والإعلام

ص.ب: 5727 أو 6420 **فاكس:** 0097126663088 **هاتف:** 0097126666130

Website: www.cmc.ae Email:administration@cmc.ae

نادي تراث الإمارات هاتف: 00971 2 2223000

فاكس: 00971 2 6651115

ص.ب: أبو ظبي 27765

Email: turathmag@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

التناص في الشعر المعاصر في الإمارات

الفهرس

المقدمة 4
تمهيد: التناص 5
التناص في شعر سالم بن علي العويس 12
التناص في شعر خلفان بن مصبح 24
التناص في شعر صقر القاسمي 30
التناص في شعر سلطان بن علي العويس 40
التناص في شعر أحمد أمين المدني 48
التناص في شعر حمد أبو شهاب 54
التناص في شعر شهاب غانم 65
التناص في شعر مانع سعيد العتيبة 79
التناص في شعر عارف الشيخ 95
التناص في شعر عبد الرحمن العبادي 107
التناص في شعر سيف المري 116
التناص في شعر كريم معتوق 125
التناص في شعر أحمد محمد عبيد 134
التناص في شعر علي الشعالي 143
المصادر والمراجع 150

المقدمة

يعد التناص من المصطلحات النقدية الحديثة في الدراسات الأدبية. وقد شاع استخدام هذا المصطلح في النقد العربي الحديث مؤخراً، وتعددت تعريفاته تبعاً للمذاهب الأدبية التي تتبناه. وسنحاول في هذا البحث أن نتعرض لمصطلح التناص، حيث سنعرف به في التمهيد ونذكر نبذة مختصرة عن نشأته وتطوره في النقد الأدبي الغربي، مع محاولة تتبع جذوره في النقد العربي القديم. ومن ثم سنتناول تطبيقه على إنتاج بعض شعراء الإمارات المعاصرين.

وقد اقتصرت الدراسة على بضعة عشر شاعراً على سبيل التمثيل لا الحصر، ولم يقصد منه استقصاء ظاهرة التناص في كل المشهد الشعري في الإمارات. وقد تم تتبع التناص في أشعار هؤلاء الذين تضمنهم البحث إما من خلال استقراء أعمالهم الشعرية الكاملة، أو من خلال بعض الدواوين، أو -كما هو في كثير من الحالات- من خلال ديوان واحد تمثلت فيه الظاهرة.

وقد تم ترتيب الشعراء حسب تاريخ ميلادهم، ومنهم من انتقل إلى عالم الخلود، ومنهم من لا يزال يواصل العطاء، نسأل الله أن يرحم من رحل منهم، وأن يبارك في أعمار من بقي، وأن يمتعهم بالصحة والعافية، ليواصلوا عطاءاتهم الإبداعية.

وإني آمل أن أكون قد وفقت في استدلالاتي، وأن أكون قد ساهمت في لفت النظر إلى هذا المصطلح النقدي الحديث الذي لا أعلم أحداً سبقني إلى تطبيقه على شعراء دولة الإمارات.

وإنني لأعد هذا البحث هدية متواضعة أقدمها إلى بلدي الإمارات، وهي تحتفل بالذكرى الأربعين لقيام الاتحاد، سائلاً الله القدير أن يديم على دولة الإمارات الأمن والأمان، لتستمر في مسيرة العطاء والنماء في ظل قيادتها الرشيدة، وبسواعد أبنائها البررة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

د. عبد الحكيم الزبيدي

العين- في السادس من المحرم سنة 1433هـ

الموافق الثاني من ديسمبر سنة 2011 م

التناص

التناص لغة

يدور معنى (النص) في اللغة العربية حول الرفع، والظهور، والاستقصاء. جاء في القاموس المحيط، مادة (نصص)[1]:(نَصَّ الحديثَ إليه: رَفَعَهُ،و ناقَتَهُ: استَخْرَجَ أقْصَى ما عندَها من السَّيْرِ، وفلاناً: اسْتَقْصَى مَسْأَلَتَهُ عن الشيءِ،والعَرُوسَ: أقْعَدَها على المِنَصَّةِ، بالكسر، وهي ما تُرْفَعُ عليه، فانْتَصَّتْ،والشيءَ: أظْهَرَهُ). ولم ترد لفظة (تناص) في المعاجم القديمة، إلا في (تاج العروس) الذي فسرها بقوله: (تناص القوم تزاحموا)[2].

والنص في (محيط المحيط) يطلق على الكلام المفهوم من الكتاب أو السنة[3]. «فالجذر نصص يتولد عنه عدة دوال ومعان متقاربة، تنتمي جميعها إلى حقل دلالي واحد، ... هو دلالتها على عملية (التوثيق) ونسبة الحديث إلى صاحبه وذلك عن طريق متابعة ما عند صاحب الحديث لاستخراج كل عناصره حتى بلوغ منتهاها»[4].

أما (النص) في الأصل اللاتيني للغات الأوربية (Text) فهو مشتق من (Textus) بمعنى النسج (Tissue) المشتقة بدورها من (Texere) بمعنى نسج [5]. ويرى بعض النقاد أن هناك تشابهاً في أصل معنى (النص) في اللغة العربية واللغات الأوربية. «فالربط بين نسج الثوب، ونسج النبات، ونسج الشعر، يرتكز على روح الإبداع والتفرد التي ينتج عنها أثر جديد تتجلى فيه روعة الفن وكمال الصناعة»[6]. قال الجاحظ: «وإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير»[7].

أما عند علماء اللسانيات والنقاد فإن (النص) يعني: «الملفوظ اللغوي المحكي أو المكتوب»[8]. وفي معجم (المصطلحات في اللغة والأدب) لمجدي وهبة وكامل المهندس: «(النص) هو الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألف منها الأثر الأدبي»[9].

التناص اصطلاحاً

التناص هو المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي Intertextuality والمصطلح الفرنسي intertextualite، وقد يترجم أحياناً إلى تداخل النصوص أو النصوصية[10].

ويرى بعض النقاد أن مصطلح التناص يحتوي على تعقيد نظري، وأنه ليس مصطلحاً شفافاً[11]. ولذلك لا يوجد تعريف موحد للتناص متفق عليه بين النقاد؛ فالبعض يعرفه بأنه «تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، بحيث يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تمحى الحدود بينها، وأعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها؛ وغاب الأصل فلا يدركه إلا ذوو الخبرة والمران»[12].

وهناك من النقاد من يفرق بين ثلاثة أنواع من التعالق بين النصوص، فيطلق مصطلح المناص (Paratext) على «البنية النصية التي تأتي مستقلة ومتكاملة، ولها بداية ونهاية»[13]، ويقسمها إلى

قسمين: مناص داخلي، ويأتي «كبنية نصية مستقلة ومتكاملة بذاتها عن بنية النص الأصلية، وتكون موضوعة بين قوسين أو معقوفتين»[14]؛ وهي ما يطلق عليه نقاد آخرون (التناص المباشر أو الجلي)، كما سنبين عند الحديث عن أنواع التناص. ومناص خارجي، ويُقصد به «النص الموازي الذي يكتبه الروائي على هامش نصوصه»[15]. بينما يقصرون مصطلح التناص (Intertexuality) على ما أطلق عليه نقاد آخرون (التناص الخفي أو غير المباشر)، ويقسمونه إلى قسمين: التناص الذاتي أو الداخلي، ويقصد به «التقاطع أو التداخل فيما بين نص الكاتب ونصوصه هو الخاصة»[16]، والتناص الخارجي، وهو أن «يكون التقاطع أو التداخل فيما بين نص الكاتب ونصوص غيره من الكتاب المعاصرين له أو من الناس الذين سبقوه في عصور سابقة»[17]. أما النوع الثالث فيطلقون عليه مصطلح (الميتانص) (Metatext)، ويتمثل «في أن العلاقة الموجودة بين بنيات النص الأصلي والنص الطارئ هي علاقة تقوم على أساس من النقد والمعارضة؛ فالنص اللاحق يأتي لينتقد النص الأصلي ويعارضه»[18]. فهو إذن مصطلح يوضح نوع العلاقة بين النص الأصلي والنص المتناص.

أما (جينيت) فيطلق على التعالق بين النصوص مصطلح (النصية المتعالية) (Transtexuality)، ويعرفها «بوصفها كل ما يضع النص في علاقة سواء كانت واضحة أو خفية بنصوص أخرى»[19]. ويقسمها إلى أربعة أنواع، أولها التناص، ويعرفه بأنه «الحضور الفعلي لأحد النصوص داخل نص آخر»[20]. والنوع الثاني هو النص الموازي (Paratext)، ويقصد به «العتبات المتنوعة الخاصة بالكاتب أو المحرر»[21]، مثل: العناوين والإهداءات، والعبارات المقتبسة التي يصدر بها الكتاب أو الفصل، والمقدمات.. إلخ. والنوع الثالث هو النصية الشارحة (Metatextiuality)، وهي التي «تربط نصاً معيناً بنص آخر يتحدث عنه دون الاستشهاد به بطريقة ضرورية (أي من دون استدعائه)، بل أحياناً دون تسميته»[22]. أما النوع الرابع والأخير فهو (النصية المتفرعة) (Hypertext)، ويفسره (جينيت) بقوله: «هو أي نص مشتق من نص سابق، إما من خلال التحويل البسيط، الذي سأطلق عليه منذ الآن (التحويل)، أو من خلال التحويل غير المباشر، الذي سوف ألقبه بالمحاكاة»[23].

ويحاول الدكتور أحمد الزعبي أن يبسط تعريف التناص بقوله إنه يعني: «أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين والتلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل»[24]. وسنعتمد هذا التعريف في تناولنا لمصطلح التناص في هذا البحث.

نشأة التناص

تعد الباحثة الفرنسية ذات الأصل البلغاري (جوليا كريستيفا) هي رائدة هذا المصطلح، حيث

استخدمته في مقالات كتبتها بين سنتي 1966/1967؛ وقد اعتمدت في تحديدها لمصطلح (التناص) على المقدمة التي تصدرت كتاب باختين (شعرية دوستويفسكي)[25]. ثم واصل المفهوم انتشاره في المصطلحات النقدية؛ وفي السنوات 1982-1979 دخل مفهوم التناصية مرحلة النضج[26].

وترى جوليا كرستيفا أن «كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى»[27].

التناص والتراث العربي

يرى كثير من النقاد العرب المعاصرين أن النقد العربي القديم قد أشار إلى (التفاعل النصي)، وإن لم يحدده باسمه المعاصر، وقد أطلق عليه مسميات اصطلاحية من مثل: التضمين والاستشهاد والاقتباس.. إلخ، وكذلك (السرقات) التي كان هناك من النقاد مَن يفهمها على أنها تأثر، واستمداد واستعانة وإعادة إنتاج ضروري على أساس النص السابق [28].

ويذهب د. عبد الملك مرتاض إلى أن بذور نظرية التناص ظهرت لدى المفكر العربي ابن خلدون الذي نصح الشعراء قبل أن يكتبوا الشعر أن يحفظوا من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها. ويعقب د. مرتاض على قول ابن خلدون بقوله: «فلقد كان يمارس في هذا الكلام صميم التنظير لهذه المسألة، كما كان متفهماً لها، فلقد انتهى الشيخ إلى أنه على الأديب أن يقرأ كثيراً ويحفظ أكثر ثم ينسى ذلك ويتناساه ليستقر في لا وعيه فيغترف منه لدى الكتابة، فيظن أنه جاء بالجديد، بينما هو لا يعدو كونه صورة لمقروءاته ومحفوظاته»[29].

وهناك من يرى أن ظاهرة التناص عند النقاد القدامى قد ارتبطت بالسرقات الشعرية، فقد تنبهوا إلى أن الشاعر مهما كانت موهبته أو نبوغه الشعري فإنه يحمل نفحات من نصوص غيره ومن هذه النفحات ما هو واضح وجلي ومنها ما يتطلب براعة الناقد وحصافته في الكشف عنها[30].

ويفرق بعض النقاد المعاصرين بين التناص والسرقة بأن طريقة التأليف من حيث التناسب أو عدمه هي محك الحكم بالسرقة، وعليه ينبغي إعادة قراءة الكتابات التي كانت ترمي بالسرقة كل ما صادفها من ضروب التشابه لفظية كانت أو معنوية[31].

وهذا التفريق مبني على جهود بعض قدامى النقاد كالقاضي الجرجاني وأبي هلال العسكري، وابن طباطبا الذي فرق في (عيار الشعر) بين نوعين من السرقات: الإغارة والاستعارة. فالأولى سرقة صريحة توجب العيب، وتحط من قدر الشاعر، وتقع في المعاني لا في الألفاظ والأوزان؛ والثانية حسن أخذ، ودالة على فضل الشاعر وإحسانه، ما دام قادراً على إبراز المعنى القديم في لباس جديد[32]. ويرى الآمدي أنه لا سرق في الألفاظ إذ هي مباحة غير محظورة، وإنما السرقة في المعاني المخترعة التي يختص بها شاعر، لا في المعاني المشتركة بين الناس[33].

ونخلص مما سبق إلى أن المسألة حديثاً لم تعد مسألة سرقة، بل هي تفاعل ضروري خاصة في

الشعرية الحديثة التي قامت أساساً على هذا التداخل الهائل بين النصوص، وصار النص لا يدرس بمعزل عنها[34].

أقسام التناص

يأتي التناص في الأعمال الأدبية على شكلين: مباشر وغير مباشر أو تناص التجلي وتناص الخفاء[35]. وهناك من أطلق عليهما: التناص الظاهر (الصريح) والتناص المستتر؛ أو التناص الواعي وغير الواعي[36]. وقسمهما فورلشينوف وباختين إلى: التناص الخطي: وهو الذي يقترب من التضمين والاقتباس بوجود الإحالة أو غيابها، والتناص التصويري: وهو مستتر يخفي النص الغائب في نسيجه[37].

وكلها تدل على مقصود واحد؛ فالتناص المباشر أو الجلي أو الظاهر أو الواعي، هو أن يقتبس الأديب النص بلغته التي ورد فيها، مثل الآيات والأحاديث والأشعار والقصص، وقد يضعها بين قوسين للدلالة على أنها مجلوبة، وقد يحيل إلى مصدرها أو لا يحيل. أما التناص غير المباشر أو الخفي أو غير الواعي فهو الذي يستنتج استنتاجاً ويستنبط استنباطاً من النص، «وهذا ما ندعوه بتناص الأفكار أو المقروء الثقافي أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصاتها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها أو نسبتها إلى أصحابها؛ وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفراته وترميزاته، ولهذا تستنبط استنباطاً وربما تخمن تخميناً، كما يدخل ضمن التناص غير المباشر تناص اللغة والأسلوب»[38]. وقد يكون التناص الوارد كلمة أو جملة ذات دلالة ما، تقود أو تدل على النص الذي اجتزئت منه، وقد يكون بيت شعر أو جزءاً منه[39].

وسنعتمد في هذا البحث مصطلحي: التناص الجلي والتناص الخفي.

أنواع التناص:

ينقسم التناص إلى أنواع متعددة بحسب المضمون الذي يستلهمه الشاعر أو المبدع من مخزونه الثقافي. فقد يكون النص المتناص دينياً أو أدبياً أو تراثياً أو تاريخياً.. إلخ. وعليه يمكن رصد الأنواع الآتية من التناص:

التناص الديني:

وهو أن يتداخل النص مع نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف أو من الكتب السماوية بحيث تأتي منسجمة مع سياق النص وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً[40].

التناص الأدبي:

وهو تداخل النص مع نصوص أدبية سواء كانت للكاتب نفسه أو لأدباء آخرين معاصرين له أو سابقين[41]. وينقسم التناص تبعاً لذلك إلى تناص داخلي وهو التناص مع أعمال سابقة للكاتب نفسه، وتناص خارجي وهو التناص مع أعمال غيره[42].

التناص التاريخي:

وهو تداخل النص الأصلي مع نصوص تاريخية مختارة بحيث تأتي منسجمة مع سياق النص وتؤدي غرضاً فكرياً وفنياً[43].

التناص الأسطوري:

وهو تداخل النص مع الأساطير لأغراض فنية. وتعتبر الأسطورة أو الخرافة من أهم مظاهر الشعر المعاصر، فقد تفطن الشعراء المعاصرون إلى هذا المعين الزاخر بالرمز المليء بالإيحاء[44].

التناص الإيديولوجي:

وهو تداخل النص مع تيارات إيديولوجية معاصرة له فيوظفها المبدع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[45].

وظيفة التناص:

يؤدي التناص وظيفة مهمة في النص الأدبي سواء أكان روائياً أم شعرياً. ويؤكد الدكتور أحمد الزعبي على أن النص المقتبس يجب «أن يؤدي وظيفة فنية جمالية أو فكرية موضوعية يخدم السياق الروائي وينسجم معه. ولا يستحضر هذا النص أو ذاك للزينة أو للديكور أو استعراض القدرات الثقافية، وإنما لغرض يراه المؤلف ضرورياً لتعميق فكرته المطروحة أو بلورة رؤيته في قضية ما، أو يراه منسجماً مع البناء الفني أو الأسلوبي أو اللغوي في روايته»[46].

ويمكن تلخيص وظيفة التناص في كل من الشكل الجمالي الذي تحققه اللغة عندما تعطى لها دلالات جديدة، وفي الإحالة على السياق الذي يعد المرجعية التناصية؛ كما يتلخص في اختصار النصوص إلى مدلولات معرفية تحيل القارئ على التراث؛ بالإضافة إلى الدور الرمزي للتناص الذي يكمن في تفصيص التجارب الإنسانية، والاعتبار بها؛ وأخيراً فإن له وظيفة على المستوى التعبيري والانفعالي العاطفي، فالكاتب يختار نصوصه المتداخلة وفق الحالة النفسية التي يعيشها[47].

التناص في شعر سالم بن علي العويس

مقدمة

يعد الشاعر سالم بن علي العويس (1887م1959-م) من أقدم شعراء الإمارات في العصر الحديث الذين وصلنا سجل بأشعارهم. وكان العويس متفاعلاً مع أحداث عصره، فنجد شعره مليئاً بالإشارات إلى الأحداث السياسية التي عاصرها، مثل القضية الفلسطينية والدعوة إلى الوحدة العربية ومأساة الحرب العالمية وغيرها من الأحداث التي شهدها عصره.

وكانت ثقافة العويس الدينية والأدبية والتراثية عميقة، وقد انعكست هذه الثقافة على شعره فجاء شعره مليئاً بإشارات وإحالات إلى نصوص دينية وأدبية تراثية، مما يمكن إدراجه تحت مسمى التناص. ويبدو شعر العويس، بالرغم من بساطة مفرداته وخلوه من الغريب، في معظم الأحيان مستغلقاً على الفهم، لكثرة الإشارات غير المفهومة فيه، ولتعدد الأغراض في القصيدة الواحدة، مما يجعل من الصعب أحياناً فك بعض طلاسمه.

وسنحاول في السطور الآتية استعراض أهم ملامح التناص الديني والأدبي في شعره، وبيان توظيف الشاعر له، في ضوء ما يتضح لنا من المعاني التي تناولها الشاعر.

التناص الديني:

جاءت جميع نماذج التناص الديني في شعر سالم بن علي العويس من النوع الخفي غير المباشر. ويتمثل التناص في شعره من خلال وجود بعض العبارات أو الكلمات ذات الدلالة الدينية، وذات المرجعية إما إلى القرآن الكريم أو إلى الحديث الشريف، وسنورد بعض الأمثلة فيما يأتي للتدليل.

فمن التناص مع آيات من القرآن الكريم، قول الشاعر في قصيدة بعنوان (من المفقود)[48]:

يا من أحاط بكل شيء علمه وتطيعه الأشياء كيف يشاءُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء) (البقرة، 255). وقد جاء هذا التناص متناسباً مع جو القصيدة، حيث كلها تسبيح لله تعالى وتمجيد له، وتفكر في خلقه وعظمته. ومثله قوله في القصيدة نفسها[49]:

ولك الجواري المنشآت إذا جرت تحت السماء يقلهن الماءُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ) (الرحمن، 24). وهو أيضاً تناص مناسب لجو القصيدة، حيث يشبه الله تعالى السفن الضخمة وهي تمخر عباب البحر بالجبال (الأعلام). وقد استدعى الشاعر الجزء الأول من الآية للدلالة على الجزء الثاني منها وهو تشبيه السفن بالجبال، فجاء التناص موفقاً حيث دل الموجود منه على المحذوف وهو المقصود.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (حكم وتأملات)[50]:

لا يستوي من يعلمون وإنما يتخبط الجهال بالشبهات

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَيَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) (الزمر، 9). وهنا أيضاً استعاض الشاعر بالجزء المذكور من الآية على الجزء غير المذكور، فلم يكمل بقية الآية استغناء بما ذكره منها لشهرتها، وبين في الشطر الثاني سبب عدم مساواة الذين يعلمون بالذين لا يعلمون وهو أن الذين لا يعلمون يتخبطون في الشبهات فيظلون السبيل. وقد جاء هذا التناص في سياق الحديث عن حكمة الله تعالى في الابتلاء، يقول الشاعر قبل ذلك:

والله يهدي من يشاء ويبتلي بالسيئات السود والحسنات

ثم يبين أن من لا يدرك حكمة الله في الابتلاء قد يقع في الشبهات، ومن أدرك حكمة الله فيها فستنفرج كربته ويكون قد ربح الأجر بصبره. ويختم قصيدته بالدعوة الدائمة للصبر والتمسك بالأمل:

فاصبر فما يدريك ماذا في غدٍ فاليأس للمهزوم والأموات

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (عروبة الخليج)[51]:

فبدّل (عبدُ الناصر) الوضع فانجلت فأصبح منها قائم وحصيدُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) (هود، 100). والشاعر يمدح الرئيس عبد الناصر بأنه دعا إلى الوحدة العربية فبدّل بذلك وضع العرب الذي كان قائماً على الانقسام والفرقة، فأصبحت معالم هذه الوحدة في متناول اليد، فمنها ما تم حصده، ولعله يقصد به الوحدة بين مصر وسوريا، ومنها ما هو لا يزال قائماً لم يحصد بعد مثل الوحدة بين بقية الدول العربية. وهكذا جاء التناص مناسباً للفكرة التي يقصدها الشاعر، وهي الوحدة العربية.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (الغوص واللؤلؤ)[52]:

ما قوم هودٍ أو شعيبَ وصالحٍ منهم بعيد والخراب الحالي

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْقَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنكُم بِبَعِيدٍ) (هود، 89). وفي استدعاء الآية الكريمة تهديد للظالمين بسوء المآل إذا استمروا في الظلم. وقد قدم جامع الديوان لهذه القصيدة بقوله: «كان أهل

عمان يجنون اللآلي من الغوص في البحار مما حمل أصحاب السفن على ظلم البحارة والعمال فحذرهم صاحب الديوان بتلاشي ثروتهم القائمة على الظلم». وفي ذكر الشاعر للأمم التي دمرها الله بكفرها وفسوقها وعصيانها تحذير للظالمين المعاصرين من انتقام الله إذا تمادوا في الظلم.

وشبيه بهذا تحذير الشاعر للذين يتعاملون بالربا رغم تحريم الله له، وتشديده في الوعيد عليه. يقول الشاعر في قصيدة بعنوان (المرابون)[53]:

الله آذنهم بحرب فالتهوا　　عما يقول فمكنوا تمكينا

ففي البيت تناص خفي مع قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ) (البقرة، 279-278).

وفي ذكره لحرب الله تعالى للمرابين تحذير ووعيد لهم بأن يتقوا الله ويذروا الربا. وقد وفق الشاعر في استدعاء هذا النص القرآني لأنه أشد ما جاء في القرآن في باب التحذير من الربا، فلم يتوعد الله تعالى بالحرب فاعل أي ذنب غير الربا، مما يدل على عظم جرمه عند الله.

أما التناص مع الحديث الشريف فلا نكاد نجد له إلا مثالاً واحداً فقط هو قوله في قصيدة بعنوان (نداء ودعاء)[54]:

ويكره سفساف الأمور لعبده　　ويبغيه إلا جزلها وشديدها

ففيه تناص خفي مع قول الرسول (صلى الله عليه وسلم):

«إن الله تعالى كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها»[55].

والشاعر في القصيدة يدعو المسلمين إلى التمسك بالدين الذي يدعو إلى عزة النفس وعلو الهمة، لتحتل الأمة الإسلامية المكانة المناسبة لها بين الأمم. يقول الشاعر قبل ذلك، منكراً التحلي بالإسلام لخامد النفس وإن ادعى أنه مسلم:

وحسبك فيمن يدعيه ضلالةً　　خمود العُلى من نفسه وجمودها

ثم يذكر أن الله قد أوضح سبل المعالي لمن يريدها من عباده، لأنه يكره لهم سفاسف الأمور:

وربك ألقى في السبيل معالماً　　ينير الهدى إلا لمن لا يريدها
ويكره سفساف الأمور لعبده　　ويبغيه إلا جزلها وشديدها

ومما يمكن أن يندرج أيضاً تحت التناص مع السيرة النبوية، قول الشاعر في قصيدة بعنوان (جمعية الأمم المتحدة)[56]:

الله أكبر إن الحرب إن ولدت　　حلف الفضول فما جاءت بخسران

ففيه إشارة إلى حلف الفضول الذي أنشأته قريش في الجاهلية لنصرة المظلوم وقد شهده النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة مع أعمامه، كما ورد في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: (لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت)[57].

ويظهر توفيق الشاعر في اختيار هذا الحلف ليشبه به (جمعية الأمم المتحدة) في أن كلا الحلفين أنشأه قوم غير مسلمين لدواعي إنسانية بعيداً عن الدوافع الدينية.

التناص الأدبي:

تجلى التناص الأدبي بنوعيه الجلي والخفي في شعر سالم العويس في كثير من الأبيات، وسنستعرض فيما يأتي أمثلة من كل نوع.

التناص الجلي:

من أمثلة التناص الجلي قول الشاعر في قصيدة بعنوان (فازت نزوى)[58]:

قد التفت الأحرار عنه فأصبحت　　(فعرفاء إن ساءوا وزهلول أرقطُ)

وقد وضع الشاعر الشطر الثاني بين قوسين للدلالة على أنه تضمين من شعر غيره. وهو تناص مباشر مع الشطر الثاني من قول الشنفرى في لاميته الشهيرة[59]:

ولي دونكم أهلون سيد عملس　　وأرقط زهلول وعرفاءُ جيألُ

وقد أجرى الشاعر بعض التعديل على قول الشنفرى ليستقيم له الوزن والقافية.والبيت من قصيدة قدم لها جامع الديوان بقوله: «عندما أمر السلطان سعيد بن تيمور بغزو «نزوى» ووقوف العمانيين بيسالة في وجه العدوان ثم أمر بقصفها بالطائرات قال الشاعر:». والبيت يتحدث عن السلطان سعيد ضمن بضعة أبيات عنه بدأها الشاعر بقوله:

سعيد يرى استعمار أرواح قومه　　ولكنه ما زال في الناس يهبطُ

إلى أن يقول البيت موضع الشاهد. وهو يقصد –في رأيي- أن السلطان سعيد بفعله ذاك بأهل «نزوى» قد استحق أن يلتفت عنه أحرار قومه ويتخلوا عنه، كما تخلى قوم الشنفرى عنه، وأهدروا دمه بعد أن ارتكب الجنايات التي تياسرت لحمه، كما يقول الشنفرى[60]:

طَريدُ جِنايات تَياسَرنَ لَحمَهُ　　عَقيرَتُهُ لأيُّها حُمَ أوَّلُ

فأصبحت الحيوانات المذكورة في البيت (زهلول أرقط وعرفاء جيأل) هي الأهل للسلطان سعيد كما كانت للشنفرى. وكأن الشاعر بذلك يقصد أن السلطان سعيد بفعلته تلك قد أصبح يشبه الوحوش المفترسة أكثر مما يشبه البشر، والشاعر بذلك يعبر عن رفضه لذلك الغزو.

ومن أمثلة التناص الجلي أو المباشر أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (الأيام الحران)[61]:

إذا قيل (ليلى بالعراق مريضة) أطاروا بأطراف الحديث (عمانا)

ففيه تناص جلي مع الشطر الأول من قول المجنون[62]:

يقولون ليلى بالعراق مريضة فيا ليتني كنت الطبيب المداويا

والشاعر يتحدث في هذه القصيدة عن أيام صباه ولهوه وعشقه. ولعله يشير هنا أنه كلما سمع بيت المجنون الذي يذكر ليلى العراق تذكر حبيبته هو التي في (عمان).

ومن التناص الجلي أيضا قوله في قصيدة بعنوان (نداء ودعاء)[63]:

وما هي إلا من (غَزية) إن غوت تعذر عنها بالقيام قعودها

ففيه تناص جلي مع قول دريد بن الصمة[64]:

وهل أنا إلا من غُزية إن غوت غويتُ وإن ترشد غَزيةُ أرشد

وقد عددناه ضمن التناص الجلي لأن الشاعر وضع (غَزيَّة) بين قوسين للدلالة على أنه يشير صراحة إلى تناص مباشر. والشاعر هنا يتحدث عن نفسه بضمير الغائب المؤنث، حيث يقول في مطلع القصيدة:

همامةُ نفسٍ قد تسامى صعودها ورحبُ خيالٍ في السماءِ يقودها

وهو في هذه القصيدة يوجه «نداءً إلى الأمة الضالة، ويهيب بها أن تعود إلى الإسلام وتتبع أوامره وتجتنب نواهيه لتصبح أمة عزيزة وتصحو من الانحطاط والذلة»، كما يشير جامع الديوان، في تقديمه للقصيدة.

والشاعر يستدعي هنا أبيات دريد بن الصمة المشهورة[65]:

أَمَرتُهُمُ أَمري بِمُنعَرَجِ اللوى فَلَم يَستَبينوا النُصحَ إلا ضُحى الغَد
فَلَمّا عَصَوني كُنتُ مِنهُم وَقَد أَرى غَوايَتَهُم وَأَنَّني غَيرُ مُهتَدي
وَهَل أَنا إِلا مِن غَزِيَّةَ إِن غَوَت غَوَيتُ وَإِن تَرشُد غَزِيَّةُ أَرشَدِ

ليدلل على حبه لقومه، وأنه ناصح لهم أمين. وإن بدا أن في شعره قسوة عليهم، فهي قسوة المحب المشفق. تماماً كما كان دريد مشفقاً وناصحاً لقومه، ولكنهم عصوه فذاقوا مغبة عصيانهم له. والشاعر بعد يعلن –كما أعلن دريد من قبل– أنه مع قومه في كل الأحوال، إن أساءوا وإن أحسنوا، فكأنه بذلك يريد أن يقول إن عتابه موجه لنفسه كما هو موجه لقومه.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (بلفور لم تمخض به عربية)[66]:

أو لم يروا في الجهد أقرب مسلك للمال من عرق (المُقلِ المُعيلِ)

فقد جعل الشاعر عبارة (المقل المعيل) بين قوسين للدلالة على أنها ليست من شعره. ولعله اقتبسها من شعر أبي مسلم البهلاني العماني (1881م1919–م)، وهو من معاصريه:

يا منيل الجواد يا مفضل الرزق يا راحم المعيل المقلِ

وبيت البهلاني من قصيدة يتضرع فيها إلى الله تعالى ويشكو ضره وفقره، وقبله يقول:

ساورتني البأساء والفقر يا منان عجل بمنك المستهلِ

وبيت العويس من أبيات يصف فيها بعض الزعماء العرب واستغلالهم لشعوبهم ونهبهم لثرواتهم. وقد استعار بيت البهلاني للدلالة على عظم حاجة هؤلاء الرعية وشدة فقرهم، ليشنع على من سلبهم عرقهم على شدة فاقتهم.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (آخر مثل أول) التي يصف فيها الخلاف بين إمام اليمن وفيصل بن عبد العزيز[67]:

(ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ) عسى يستعيض العرب عنك بأمثلِ

ففيه تناص جلي مع قول امرئ القيس في المعلقة[68]:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ

وفي استدعاء الشاعر لبيت امرئ القيس ما يشي بأنه لا يتوقع أن يزول ليل الخلاف العربي، ولكنه يرجو ذلك (عسى).

التناص الخفي:

أما التناص الخفي فأمثلته كثيرة، وسنذكر بعضاً منها للتدليل. فمن ذلك قول الشاعر في قصيدة بعنوان (عروبة الخليج)[69]:

وإذ طلعت شمس النهار فليس من خلود ولا رسم عليه مزيدُ

ففيه تناص خفي مع قول قيس بن ذريح[70]:

إذا طلعت شمس النهار فسلمي فآيتي تسليمي عليك طلوعها

وقد ورد بيت العويس هكذا في الديوان، ولكني أرجح أن هناك خطأ مطبعياً، وأن (خلود) أصلها (حدود)، يؤكد ذلك قول الشاعر في البيت السابق لذلك البيت:

فكم رسموا أهدافه وحدوده　　وهم في حياة المالكين عبيدُ

والضمير في (رسموا) يعود على (العرب) في البيتين السابقين، والشاعر يتحدث في القصيدة عن الحدود التي تفرق بين أقطار البلاد العربية، وكيف أن عبد الناصر بدعوته للوحدة العربية قد غير وضع الأمة. وأن العرب إذا اتحدوا فليس في الأمر غرابة:

فلو قيل في ساعات يوم وليلة　　همُ العرب التفوا ولات حدودُ

لما كان من شيء غريب وإنما　　هي القوم تبني بيتها وتشيدُ
فكم رسموا أهدافه وحدوده　　وهم في حياة المالكين عبيدُ

فلعله يقصد أن العرب المملوكين للمستعمر كم خططوا حدود هذا الوطن (البيت) الموحد، ولكن لأنهم (مملوكين عبيد) فإن هذه الأحلام تتبخر إذا طلعت الشمس، ولا سبيل لتحقيقها إلا بالتحرر أولاً من الاستعمار (المالكين) ليسترد العرب حريتهم، فيتخذوا قرارهم بالوحدة بعد ذلك.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (غزوات العوامر)[71]:

دبي والساحل الشرقي مضطرب　　يسومه الخسف أنجاس مناحيسُ

ففيه تناص خفي مع قول المتنبي في كافور[72]:

لا تشتر العبد إلا والعصا معه　　إن العبيد لأنجاس مناكيد

والشاعر يتحدث في هذه القصيدة عن «قطاع الطرق من العوامر وغيرهم»، كما يشير جامع الديوان، «ويحث الشاعر حكام الإمارات للوقوف في وجه قطاع الطرق وتوفير الأمن لكافة المواطنين».

واستدعاء الشاعر لبيت المتنبي الشهير، يشير إلى ضرورة استخدام الحزم مع أولئك المجرمين، وأن لا سبيل لوقف هجماتهم إلا بالعصا، وهي كناية عن الشدة والتأديب.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (الأطلال)[73]:

رسم لأسماء لم يطمس على القدم　　يلوح كالنجم أو كالنار في العَلَم

ففيه تناص خفي مع قول الخنساء في رثاء أخيها صخر[74]:

وَإِنَّ صَخرًا لَتَأتَمُّ الهُداةُ بِه　　كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ

وفي ذلك ما يدل على شهرة هذا العلم (الجبل) وبروزه شامخاً، كما كان صخر شامخاً ومنارة

للمهتدين.

ومنه أيضاً قوله في القصيدة نفسها:

رسم لأسماء بل رسم لصالحة　　من الأمور وركن غير منهدم

ففي البيت تناص خفي مع قول البوصيري في البردة[75]:

بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسلامِ إِنَّ لنا　　مِنَ العِنَايَةِ رُكْنًا غيرَ مُنْهَدِمِ

وهو في مطلع هذه القصيدة يبدو كأنه يتحدث عن الخلافة الإسلامية العثمانية الغاربة شمسها، لأنه يقول بعد ذلك البيت:

تلك الخلافة قد بانت معالمها　　أكرم بوارث قحطان ومعتصم

وبذلك يكون استدعاء بيت البوصيرى موفقاً لأنه في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وقصيدة العويس عن الخلافة الإسلامية، فكلاهما موضوعه ديني.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (دعوة للتضامن)[76]:

إن الرزية لا رزية بعدها　　أن تلق صدقك مشبعاً تأويلا

ففيه تناص خفي مع قول زهير بن أبي سلمى:

إِنَّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مِثلُها　　ما تبتغي غطفان يوم أضلتِ

والبيت في رثاء سنان بن أبي حارثة المري والد هرم بن سنان ممدوح زهير. ويقال إن قومه عنفوه على الجود فقال: لا أراني يؤخذ على يدي. فركب ناقة له يقال لها الجهول ورمى بها الفلاة فلم يُر بعد ذلك فسمته العرب ضالة غطفان، وضربوا به المثل فقالوا: أضل من سنان[77].

وقصيدة العويس نظمها -كما يشير جامع الديوان «في الخلاف الذي دب بين جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود والإمام يحيى إمام اليمن حول مسألة نجران وزيارة الأسطول الإيطالي لموانئ اليمن». وواضح من القصيدة ميل الشاعر إلى ابن سعود، فهو يخاطب اليمنيين قبل ذلك البيت قائلاً:

أتقاتلون ابن السعود وما رأت　　أبصاركم لابن السعود مثيلا
أنحى لكم رسل السلام محبةً　　فظننتموه بزعمكم تضليلا

فالشاعر يرى أن ابن سعود أرسل رسل سلام ولكن الإمام ظنهم رسل حرب فبادرهم بالقتال. وهو يدافع عن ابن سعود ويرى أنه صادق غير مضلل، ثم يقول إن أكبر مصيبة أن تكون صادقاً ثم يؤل صدقك إلى خلاف ذلك. وهنا يكون استدعاء الشاعر لبيت زهير مناسباً لأنه يتحدث أن رزية

غطفان في أنها أضلت سيدها وجوادها بعد أن أغضبته بلومه على الجود، ثم ذهبت تبتغيه فلم تعثر له على أثر. وكأن الشاعر يشبه ابن سعود بسنان، في جوده وفي تفريط أهله فيه لأنهم لم يقدروه حق قدره.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة (بلغور لم تمخض به عربية)[78]:

أو لم تكن زعماؤهم لشعوبهم مستعمرين من الطراز الأول

ففيه تناص خفي مع قول حسان بن ثابت يمدح الغساسنة ملوك الشام[79]:

بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

وقصيدة العويس –فيما يبدو لي– عن جمال عبد الناصر، وإن كان لم يصرح باسمه، وجامع الديوان لم يشر إلى مناسبتها، ولكن يبدو أنه يقصد (بالزعيم) في مطلعها الرئيس جمال عبد الناصر:

لا تبكين على (الزعيم المُقتل) (فالروس) ليست بالنصير الأول

وفيها يقول قبل البيت موضع الشاهد:

ضاقت على العرب المسالك قبله وهو الذي رفع الضياء المنجلي

فكأنه في البيت موضع الشاهد يوازن بين الرئيس عبد الناصر وبين الزعماء العرب، فيرى أنهم مستعمرين لشعوبهم من الطراز الأول. واستدعاء الشاعر لبيت حسان، يقصد منه –في رأيي– التهكم والسخرية من هؤلاء الزعماء الذين هم من الطراز الأول في استعباد شعوبهم، عكس ممدوحي حسان الذين كانوا من الطراز الأول في الأنفة وكرم النسب والجود حتى ما تهر كلابهم، يقول حسان[80]:

يُغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وقد يأتي التناص معكوساً، كما في قوله في قصيدة بعنوان (العرب والاستعمار)[81]:

لظلمُ ذوي القربى أرقُّ وأرحمُ إذا علم الإنسانُ من هو أظلمُ

ففيه تناص خفي مع قول طرفة بن العبد، ولكن مع عكس المعنى[82]:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً على النفس من وقع الحسام المهند

وكأن الشاعر بذلك يريد أن يصف بشاعة ظلم الاستعمار، وذلك بجعل (ظلم ذوي القربى) الذي هو أشد على النفس من وقع الحسام المهند، يجعله (أرق وأرحم) من ظلم الاستعمار. وفي هذا تفظيع لظلم الاستعمار وتبشيع له.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (حسب السيوف)[83]:

حسبي من السيف أن شيد الحجاز به وشيد نجد فلم يرتع مع الهمل

ففيه تناص خفي مع الشطر الثاني من قول الطغرائي[84]:

قد رشّحوك لأمرٍ إنْ فطِنتَ لهُ فاربأ بنفسكَ أن ترعى مع الهَمَلِ

وبيت العويس من قصيدة يشيد فيها بالسيف ويعطيه الأولوية على العلم حتى تتحرر بلاد العرب من الاستعمار، يقول العويس:

طالب بسيف ولا تُلهيك مدرسةٌ سيف من الحق من علامة بطل
حتى إذا تم أمر الله واتسعت يد العروبة من غادٍ ومختبل
فاستأذن العلم إذ يغزو مدارسها لا تطلب العلم إلا كثرة العمل

ثم يدلل على أهمية السيف بفعل ابن سعود الذي حرر به نجداً والحجاز، في البيت موضع الشاهد. ولعل في استدعائه بيت الطغرائي المشهور من لاميته المعروفة بلامية العجم، وهي مليئة بالحكم والمواعظ، ما يدل على أنها كانت في لا وعيه حيث صاغ قصيدته على وزنها وقافيتها.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (أشهر من نار على علم) في مدح النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)[85]:

دعا إلى الله فاستهدى بسيرته قوم أتى قسمهم من أعظم القسم

ففيه تناص خفي مع قول الإمام البوصيري في البردة[86]:

دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم

ومنها أيضاً قوله في القصيدة نفسها[87]:

كفاك للمرء بالتوحيد مرقبةً يظل منها بعين الناقد الفهم

فالشطر الأول فيه تناص خفي مع الشطر الأول من قول البوصيري في البردة[88]:

كفاك بالعلم في الأمي معجزةً في الجاهلية والتأديب في اليُتم

والشطر الثاني فيه تناص خفي مع الشطر الثاني من قول البوصيري[89]:

لاتَعْجَبَنْ لحَسُودٍ راحَ يُنْكِرُها تَجاهُلاً وهُوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ

والتناص مع البردة يبدو متناسباً ومتسقاً مع قصيدة العويس لاتفاق القصيدتين في الغرض

وتشابههما في الوزن والقافية.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (حكم وتأملات) يصف الليل[90]:

فإذا الليالي كالإماء سواريا ونجومها يرفلن بالزينات

ففيه تناص خفي مع قول المعري[91]:

ليلتي هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جُمانِ

فالعويس –مثل المعري– يشبه ليلته في شدة سوادها بالأمة الزنجية، ونجومها بالزينة والقلائد. إلا أن ليلة المعري واحدة، أما العويس فلياليه كثيرة وكلها متشابهة في حلكة السواد. وهو تصوير لحالة الابتلاء التي يتعرض لها المؤمن، وينبغي عليه أن يصبر عليها، ويتقبل حكم الله فيها.

ومن التناص الخفي قوله في مطلع قصيدة بعنوان (الغوص واللؤلؤ)[92]:

لمن السفينُ تلوح كالأطلالِ بعد الزعامة والمقام العالي

ففي البيت تناص خفي مع قول علي محمود طه[93]:

لا بل سفينٌ لُحْنَ تحت لواء لِمَن السفينُ تُرى وأيَّ لواءِ

وقصيدة المهندس عن طارق بن زياد ومطلعها:

أشباحُ جنٍّ فوق صدر الماء تهْفُو بأجنحةٍ من الظلماءِ

وقصيدة العويس في وصف سفن اللؤلؤ، وما يمارسه أصحابها من ظلم للبحارة والعمال. ويصفها الشاعر بكل سوء:

رفعت لواء المسرفين وأنبتت داء السلال بكل من ذي مالِ

وفي استدعاء العويس لقصيدة المهندس ما يوحي بأنه يشبه هذه السفن بأشباح الجن، في خبثها وشرها. وبعد أن يعدد ما يقترفه أصحاب هذه السفن من تعذيب للبحارة، وضرب بالخيزران كي يندفعوا إلى البحر الذي يموتون فيه في الحال لضعفهم؛ يخاطب السفينة، والمقصود أربابها: أين **الشريعة من صنيعك فاذكري يوميك عند زعيمك المختالِ**

خاتمة

وهكذا تجولنا في ديوان الشاعر سالم بن علي العويس، وتتبعنا مظاهر التناص الديني والأدبي بنوعيه الخفي والجلي، في شعره، وكيف وظفها الشاعر لخدمة النص.

التناص في شعر خلفان بن مصبح

مقدمة

يعد الشاعر خلفان بن مصبح (1923م1946-م) من أبرز شعراء الإمارات في القرن العشرين. وقد حالت وفاته المبكرة دون أن يجمع شعره في ديوان، وما وصلنا منه -على قلته- يدل على موهبة فذة، وتمكن من ناصية القريض، وروح تتوق إلى الحرية والانطلاق. وكان أحد ثلاثة أصدقاء متقاربين في السن، جمع بينهم انتماؤهم إلى إمارة الشارقة وحبهم للشعر والأدب، والآخران هما الشاعران سلطان بن علي العويس والشيخ صقر بن سلطان القاسمي. وقد أتيح للشاعر خلفان على حداثة سنه أن يطلع على أمهات كتب الأدب شعراً ونثراً، الموجودة في مكتبة والدي صديقيه، يقول جامع ديوانه: «ولا شك أن سعة اطلاعه الأدبي وقراءاته المستفيضة في آثار العرب وحفظه لكثير من أشعارهم أورثته ثقافة أدبية مكنته من تقويم لسانه، وسبق أقرانه كسلطان العويس والشيخ صقر القاسمي في نظم الشعر مبكراً»[94]. وقد أثمرت قراءاته المكثفة في كتب الأدب العربي القديم والحديث فجاءت تجربته الشعرية غنية ناضجة، وظهرت ثقافته واضحة من خلال أشعاره التي وصلت إلينا.

ومن الطبيعي أن نجد أصداء في شعره لنصوص غائبة من التراث العربي الشعري، منها ما جاء مباشراً جلياً ومنها ما جاء خفياً مستتراً. وسنحاول في السطور الآتية الوقوف على نماذج من التناص في شعر الشاعر خلفان بن مصبح، من خلال النصوص القليلة التي وصلتنا من شعره.

التناص الأدبي

يتمثل التناص في شعر خلفان بن مصبح في الجانب الأدبي، إذ لا نكاد نعثر على شيء من التناص الديني في شعره. ولعل ذلك يرجع إلى أمرين أحدهما قصر تجربته الشعرية، إذ توفي وهو دون الثلاثين من عمره، والأمر الآخر هو عدم وصول شعره كله إلينا. فلعل فيما لم يصلنا من شعره ما يمثل هذا الجانب المفقود.

أما التناص الأدبي فقد تمثل في مظهرين: الأول هو استدعاء أبيات كاملة أو أشطار لشعراء سابقين على سبيل التضمين، وهو ما يمثل التناص الجلي، والمظهر الثاني هو استدعاء ألفاظ أو تراكيب تشي بنص غائب كان في وجدان الشاعر وهو ينظم تلك الأبيات وهو ما يمثل التناص الخفي. وسنتناول أمثلة منها في السطور الآتية.

التناص الجلي:

يظهر التناص الجلي (المباشر) عند خلفان بن مصبح في قصيدة واحدة فقط، وهي بعنوان (رفيقة العود)[95]:

قالت: ففنّ لنا شيئاً فقال لها (يا نظرة قدحت في القلب نيرانا)
فاستضحكت ثم قالت: إن ذا حسنٌ لكن أريد سوى هذا فغنانا:
(إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا)
(يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا)
وفي القصيدة نفسها أيضاً يقول[96]:
ثم استفاقت تغني وهي باسمة والعود يوقد نحل الكفّ نيرانا
(كن كيف شيت فما لي عنك من بدلٍ أنت الزلال لقلب بات ظمآنا)

وفيها أيضاً يقول:
وجدّد الأنس إذ غنت على طرب:
(يا ليل طلتَ على من بات سهرانا)

والأبيات الموضوعة بين أقواس هي أبيات غناها المطرب للفتاة أو غنتها الفتاة، فهي مستدعاة على سبيل التضمين. وتضمين الأغاني أسلوب معروف في الشعر العربي القديم وقد أكثر منه أبو نواس، ومن أمثلته قوله[97]:

وَغنّني قَد أَجابَ العودُ شائقَه وَحَرّكَ النايُ مِنّي بَعضَ وَسواسي
(يا موقِدَ النارِ قَد أَعيَت قَوادِحُهُ اقبِس إِذا شِئتَ مِن قَلبي بِمِقباسِ)

وباستثناء بيتي جرير عن العيون التي في طرفها حور، فإن الأبيات الأخرى هي -فيما يبدو- للشاعر خلفان بن مصبح نفسه. ومما يؤكد هذا أنها بعد أن أنشدها المصرع الأول: (يانظرة قدحت في القلب نيرانا)، استضحكت وطلبت منه أن يغني غير هذا، مما يدل على أنها عرفت أنها للشاعر خلفان بن مصبح.

ومما يقوي هذا الرأي أيضاً أن الشاعر خلفان بن مصبح سبق أن أورد بيتاً له في قصيدة بين قوسين، هو قوله في آخر قصيدة (الجحيم)[98]:

(ستفنى الضلوع الطاويات على الأسى وحبك في تلك الضلوع مقيم)

وقد ذكر جامع الديوان في الهامش أن «البيت ورد في» المنتخبات« بين مزدوجين، للدلالة على أنه ورد في قصيدة سابقة، للشاعر نفسه أو لشاعر آخر».

وقد استخدم الشاعر خلفان التناص لإيصال رسالة إلى المحبوبة، فحين طلب منها أن تعطي الإذن للمغني أن يغني، قائلاً لها:

هذا مغنٍّ آغنُّ الصوت ذو هيف العود في يده يرجوك إيذانا

قالت له: غن شيئاً، فاقترح المغني -كما لقنه الشاعر على ما يبدو- أن يغنيها (يانظرة قدحت في القلب نيرانا).. وسواء كان هذا الشطر لخلفان أو لغيره فقد فطنت المحبوبة أنها المقصودة به، فضحكت وطلبت غيره، فغناها أبيات جرير دون أن يستأذنها هذه المرة حتى لا تقترح غيرها. وأبيات جرير تتحدث عن العيون، مثلما يتحدث ذلك الشطر المجهول قائله. وهكذا استخدم الشاعر التناص مع الأغاني وسيلة لإيصال رسالته إلى المحبوبة لأنه لم يستطع أن يصرح بها. وقد فهمت هي الرسالة فردت عليه بأغنية تقول:

(كن كيف شيت فما لي عنك من بدلٍ أنت الزلال لقلب بات ظمآنا)

وهكذا أدى التناص المباشر هنا دوره، فأغنى القصيدة، وأوصل الرسالة التي أراد الشاعر إيصالها إلى المحبوبة.

التناص الخفي:

أما التناص الخفي (غير المباشر) فهناك عدة نماذج منه في شعر خلفان بن مصبح، منها قوله يصف آلام المرض وما لاقاه من نكران الأهل والأصدقاء[99]:

لا الأهل أهل إذا يمّمت ساحتهم وقت البلاء ولا الإخوان إخوان

وتركيب البيت يتناص مع قول أحمد شوقي يصف المسجد الأموي[100]:

فَلا الأَذانُ أَذانٌ في مَنارَتِه إِذا تَعالى وَلا الآذانُ آذانُ

والتناص هنا مناسب لجو القصيدة الذي يدل على تغير الأهل والإخوان، فهم في ظاهرهم أهل وإخوان ولكنهم في حقيقتهم شيء آخر، تماماً مثلما تغير الأذان الذي كان يتصاعد من منارة المسجد الأموي أيام عز الأمويين، وإن كان في ظاهره هو نفس الأذان، ولكنه مختلف عنه في الحقيقة، وكذلك تغيرت الآذان التي كانت تستمع إلى هذا الأذان، وإن كانت في ظاهرها أنها مثلها في الشكل، ولكنها ليست مثلها في الحقيقة.

ويبدو تأثر الشاعر خلفان بن مصبح بالشاعر أحمد شوقي كذلك في قوله في قصيدة (ركوب البحر)[101]:

ومن خلق العفاف لنا رقيبٌ بطهر الحب في حسن الخلالِ

ففيه تناص خفي مع قول أحمد شوقي[102]:

وَعَلَينا مِنَ العَفافِ رَقيبٌ تَعِبَت في مِراسِهِ الأَهواءُ

على أن شوقي أجمل في ذكر ما حدث بينه وبين محبوبته ولم يفصل، فناسب ذلك أن يذكر العفاف، ليوهمنا بأن ما جرى بينهما لم يخرج عن حد العفاف؛ يقول شوقي قبل ذلك البيت:

يَومَ كُنّا وَلا تَسَل كَيفَ كُنّا نَتَهادى مِنَ الهَوى ما نَشاءُ

أما خلفان فقد فصل ما جرى بينهما من مداعبة ولثم، وهصر وضم:

فقمت أداعب الوجنات منها وألثم ثغرها حكي اللآلي
وأهصر غصنها ضماً ولثماً وألهو باليمين وبالشمالِ

ثم ذكر العفاف، وكأن العفاف عنده، هو ما وراء ذلك. وقد عاب عليه الدكتور شهاب غانم هذا قائلاً: «فهل كان يرى أن مداعبة الوجنات ولثم الثغر وهصر القد واللهو باليمين وبالشمال لا يخدش العفاف؟[103]». وقد ذكر الشاعر في البيت التالي غياب الرقيب:

وقد غاب الرقيب وطاب أنسي وطير الحب يصدح بامتثالِ

فهل قصد غياب الرقيب الخارجي أم غياب رقيب العفاف؟ وعلى كل حال فقد جاء هذا التناص -في رأيي- غير موفق، لأنه لا يتناسب مع سياق الأبيات.

ومن التناص الخفي مع الشعر المعاصر أيضاً قوله:

دعيني أستبي في كل وقتٍ خيالك أستبيه ويستبيني
أرتل لفظه في كل قلبي وأدعوه وإن لم تسمعيني

ففيه تناص خفي مع قول أحمد رامي[104]:

حرمتك هيكلاً ونعمت وحدي بروحك أستبيه ويستبيني
أرتل فيك أشعاري وأصغي إلى ترجيعك العذب الحنونِ

والتناص هنا مناسب لجو القصيدة وموضوعها لاتحاد غرض القصيدتين وهو التغزل والتحبب إلى المحبوبة.

ومن التناص الخفي مع الشعر القديم قول خلفان بن مصبح[105]:

إذا سجى الليل هزتنا مضاجعنا شوقاً إليكم وأشجتنا دواعينا

ففي الشطر الأول تناص خفي مع قول المجنون[106]:

نَهاري نَهارُ الناسِ حَتّى إِذا بَدا لِيَ اللَيلُ هَزَّتني إِلَيكِ المَضاجِعُ

والشطر الثاني فيه تناص خفي مع قول ابن زيدون[107]:

بنتُم وَبِنّا فَما ابتَلَّت جَوانِحُنا شَوقاً إِلَيكُم وَلا جَفَّت مَآقينا

والتناص مناسب لجو القصيدة وموضوعها. وهو الشوق والحنين إلى الأحبة، على بعد الديار وتحول الأحوال. وفي استدعاء بيت المجنون ما يفيد أن الليل يثير أشجان الشاعر خلفان ويذكره بأحبته وخلواته معهم، تماماً كما يتذكر المجنون حبيبته إذا دخل عليه الليل وآوى إلى مضجعه. وباستدعاء بيت ابن زيدون ما يدل على أن خلفان كان متأثراً بقصيدة ابن زيدون وهو ينظم قصيدته، فهي على وزنها ورويها، وتشترك معها في الموضوع، وهو الحنين والذكرى لما شط بهم النوى وتباعدت ديارهم. ويظهر نَفَس ابن زيدون في كثير من أبياتها كما في قوله:

يامن بقلبي قد صيّرتهم سكنا ومن جعلت لهم دين الهوى دينا

ففيه تناص خفي مع قول ابن زيدون[108]:

لَم نَعتَقِد بَعدَكُم إِلّا الوَفاءَ لَكُم رَأياً وَلَم نَتَقَلَّد غَيرَهُ دينا

وقوله:

شهد الحنين إليكم في جوانحنا نارا وأغرقت الذكرى مآقينا

ففيه تناص خفي مع قول ابن زيدون[109]:

بِنتُم وَبِنّا فَما ابتَلَّت جَوانِحُنا شَوقاً إِلَيكُم وَلا جَفَّت مَآقينا

ومن التناص الخفي أيضاً في القصيدة نفسها، قوله:

نعلل النفس بالآمال تسلية لا النفس تسلو ولا الآمال تغنينا

ففيه تناص خفي مع قول الطغرائي في (لامية العجم) [110]:

أعلّل النفس بالآمال أرقُبُها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمَل

على أن خلفان يرى أن الأمل لا يفيد أكثر من التسلية، وأنه لا يغني شيئاً، ولكن يسلي النفس قليلاً، وهو عين ما يقصده الطغرائي من أن الأمل إنما هو تعليل للنفس، وتلهية لها، حتى تسلو همها. والتعلل هو التشاغل والتلهي، جاء في تاج العروس: «تَعَلَّلَ بالأمرِ أي تَشاغَل، أوتعلَّلَ به: تلَهَّى وَتَجَزَّأَ. تعَلَّلَ بالمرأة: تلَهّى بها»[111].

ومن التناص الخفي مع الشعر القديم أيضاً قول خلفان بن مصبح من قصيدة بعنوان (ركوب البحر)[112]:

نشرن غدائراً وسَفرنَ حوراً وكشّفن الوجوه عن اللآلي

ففي تركيب البيت تناص خفي مع قول المثقب العبدي، وهو البيت الذي لقب بسببه بالمثقب[113]:

ظَهَرنَ بِكِلَّةٍ وَسَدَلنَ رَقماً وَثَقَّبنَ الوَصاوِصَ لِلعُيونِ

والتناص هنا مناسب لجو القصيدة وموضوعها. وأبيات خلفان من قصيدة طويلة يصف في بدايتها ليلة وصال خلا فيها مع محبوبته حتى الصباح، حيث ودعها لأنه عازم على التغرب لكسب العيش. ثم وصف رحلته بالسفينة إلى الكويت وما لاقاه فيها من أهوال البحر والرياح، حتى وصل إلى الكويت، ثم يصف الكويت وحسانها في آخر القصيدة بقوله:

بلاد قد زها العمران فيها وشيدت بالرقي وبالجمال
ترى بيض الأوانس سارحات يشابهن الغصون على رمال
نشرن غدائراً وسَفرنَ حورا وكشّفن الوجوه عن اللآلي

وقد جاء التناص مع بيت المثقب العبدي الذي يصف فيه ظُعُناً[114]، مناسباً مع وصف السفر وأهواله، ثم ما رآه من الحسان اللائي أنساه منظرهن ما لقيه من أهوال الرحلة.

خاتمة

وهكذا تنقلنا في القصائد القليلة التي وصلتنا من شعر خلفان بن مصبح وتتبعنا التناص الأدبي فيها بمظهريه الجلي والخفي، ورأينا أن التناص الخفي كانت نماذجه أوفر، فقد ورد تناص مع أبيات من الشعر العربي القديم والمعاصر. رحم الله الشاعر خلفان بن مصبح، فقد كان يَعِدُ بشاعر فحل لو قد امتد به العمر، ولله الحمد على كل حال.

التناص في شعر
صقر بن سلطان القاسمي

مقدمة

يعد الشاعر الشيخ صقر بن سلطان القاسمي (1924م- 1993م) أحد ثلاثة شعراء معروفين في الإمارات متقاربين في تاريخ الميلاد وينتمون إلى بلدة الحيرة في إمارة الشارقة. والآخران هما: خلفان بن مصبح وسلطان بن علي العويس. وقد توفي خلفان بن مصبح في أول شبابه. أما الشاعران الآخران فقد استمرا في العطاء حيث امتد بهما العمر. ولكن الشاعر الشيخ صقر القاسمي يمتاز عن العويس بغزارة الإنتاج وتنوع المواضيع وبروز روح التمرد والكبرياء في شعره، ولا غرو في ذلك فهو من أسرة حاكمة وتولى هو الحكم برهة من الزمن.

والمتأمل في شعر الشيخ صقر القاسمي [115] يجد الهم القومي حاضراً فيه بقوة. فالشاعر كان متفاعلاً مع أحداث عصره السياسية،وله قصائد يناصر فيها حركات التحرر العربية[116]، ويفخر بأنه استخدم شعره لإيقاظ أمته؛ يقول في قصيدة بعنوان: (من وحي مكة)[117]:

وسلسلتُ أشعاري لإيقاظ أمتي وما همني ألا أكون جريرها

وهناك القصائد التي تدعو إلى التمسك بالدين، كما في قوله في قصيدة (الأقصى)[118]:

يا قوم عودوا إلى (القرآن) والتمسوا منه الهدى، فهو نعم المرشد الهادي

وكذلك يكثر الشاعر من القصائد الوطنية، فهو يكثر من الافتخار بوطنه الذي يسميه (عمان)، وهو الاسم الذي كانت تعرف به الإمارات وقتها[119]. كما أن للجانب الأسري مكانة بارزة في شعره، فهناك قصائد كتبها لأبنائه[120]، وزوجته[121].

كما أن الهم الشخصي بارز أيضاً في شعره، فهو يفخر بنفسه وكبريائه وعدم قبوله بالدنية. وثقافة الشاعر الشيخ صقر القاسمي التراثية عميقة، وتظهر بجلاء في شعره من خلال التناص الديني والأدبي في شعره، وهو ما سنحاول أن نعرض لنماذج منه في السطور الآتية.

التناص الديني:

يتجلى التناص الديني في شعر الشيخ صقر القاسمي من خلال تضمين نصوص أو مفردات من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وقد جاء التناص الديني في شعره قليلاً مقارنة بالتناص الأدبي؛ وكله من النوع الخفي، باستثناء حالة واحدة جاء التناص فيها من النوع الجلي، هي قوله من قصيدة بعنوان: (وحي الحقيقة)[122]:

ألم ينادَ بها (لا فضل بينكم)؟ فما لنا نتحداه بعصيانِ

والضمير في (بها) يعود على الجزيرة، المذكورة في البيت السابق:

سل الجزيرة ماذا راعها فغدت حلم الضعيف ووهن العاجز الواني

ففي البيت الأول تناص جليمع قول النبي (صلى الله عليه وسلم):

(لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب)[123].

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة الذي يحث الشاعر فيه على المساواة بين الناس:

لو أننا قبل أن ندري بمطرقها رضنا المساواة ما بؤنا بخسرانِ

فكان استدعاء الحديث الشريف مناسباً لتأكيد معنى المساواة وأن البشر جميعاً خلقوا من التراب.

أما التناص الخفي مع القرآن الكريم فمن أمثلته قوله في قصيدة بعنوان: (أنا لا أبتغي الحياة أماناً)[124]:

هدأ الليل يا هموم فمالي أتحسى منك الكؤوس دهاقا

ففي الشطر الثاني تناص مع قول الله تعالى: (وَكَأْسًا دِهَاقًا) (النبأ، 34). والآية الكريمة تتحدث عن نعيم أهل الجنة، والكأس الممتلئة بالشراب، ولكن الشاعر قلبها إلى الهموم التي جعلها كأساً ممتلئة يتحساها، والتحسي هو أن يشربها قليلاً قليلاً، ويكون ذلك إما تلذذاً بالشراب، أو تجرعاً لمرارته. وأصل (الحسو) هو شرب الطائر، ونقل للإنسان على سبيل المجاز. والتناص هنا موفق لأنه استدعى التشبيه من نعيم الجنة فنقله إلى تحسي الهموم التي شبهها بالكأس المترعة، فنقلها من المعنوي إلى الحسي.

ومن التناص الخفي مع الحديث الشريف قوله في قصيدة بعنوان: (الحقيقة)[125]:

أرى الشرق مهما بدد الغرب شمله وعاثت أيادي البغي فيه بإرغامِ
لكالجسم إما أنَّ عضو لما به تداعت له الأعضاء بالألم الدامي

ففي البيت الثاني تناص خفي مع قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[126].

والتناص هنا مناسب للسياق ولموضوع القصيدة التي يتحدث فيها الشاعر عن علاقة التآلف والتعاطف التي تسود الشعوب العربية والإسلامية فيألم بعضها لمصاب بعض. والحديث الشريف يمثل قمة البلاغة في تشبيه تراحم المسلمين وتوادهم بالجسد الواحد، فناسب استدعاؤه في القصيدة.

التناص الأدبي:

ورد التناص الأدبي في شعر الشيخ صقر القاسمي بنوعيه الجلي والخفي؛ ويظهر من خلاله تضلع الشاعر من التراث الشعري العربي وتمثله له حتى تسرب في ثنايا شعره. وسنعرض في السطور الآتية لنماذج منه.

التناص الجلي:

برز التناص الجلي في شعر الشيخ صقر القاسمي في عدة مظاهر؛ منها ما يعرف بالتشطير، وهو أن يأخذ الشاعر قصيدة معروفة فيضيف شطراً لكل شطر منها، بحيث يضيف للصدر شطراً يمثل العجز، ويضيف للعجز شطراً يمثل الصدر. ومن أمثلة ذلك لدى الشاعر تشطيره لأبيات أبي نواس المشهورة، ومطلعها[127]:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ

وقد شطَّر الشاعر ثلاثة أبيات منها، وهي أربعة، ومن ذلك قوله في تشطير المطلع[128]:

«يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة» ... واستقبلتني بالعذاب جهنمُ
وقدمتُ لا عملٌ لديك يغيثني ... «فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ»

وقد طلب الشيخ صقر العفو في الآخرة، حيث تخيل نفسه يساق إلى الجحيم وليس لديه عمل يقيه منها، ولكن عفو الله يتداركه؛ أما أبو نواس فكان طلب العفو منه في الدنيا قبل الممات. ولاشك أن حالة التوبة التي كان يستشعرها الشيخ صقر هي التي أوحت إليه بتشطير تلك الأبيات بالذات، لتناسبها مع حالته الوجدانية، ولذلك جاء تشطيره لها مناسباً مع حالته الشعورية، متسقاً معها.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (وحي الكارثة)[129]:

أحقاً يهان (الشيخ) في عقر داره ... وما كان خوارُ الفعال ذليلُ[130]
وما كان إلا السهم في كل موقف ... (تؤول لما قال الكرام فعول)

ففي البيت الثاني تناص جلي مع قول السموأل[131]:

إذا سَيِّدٌ مِنّا خَلا قامَ سَيِّدٌ ... قَؤُولٌ لِما قالَ الكِرامُ فَعُولُ

وقد جاء التناص مناسباً مع جو القصيدة وموضوعها، حيث يتحدث الشاعر فيها –على ما يبدو– عن محنة والده، وهو –في رأي الشاعر– لا يستحق ما جرى له؛ فقد كان كريماً في أقواله وأفعاله. وكأن الشاعر يلمح باستدعاء بيت السموأل إلى الشطر الأول منه الذي يشير إلى أنه يشبه

والده ويسير على نهجه.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (شعور الواجب) مخاطباً أرض القدس[132]:

تبارى إليك الشرق إذ كنت قلبه ... وأنت له ما عشت فوزٌ ومغنمُ
(على كل طاوٍ تحت طاوٍ كأنه ... من الدم يسقى أو من اللحم يطعمُ)

فالبيت الثاني للمتنبي من قصيدته التي يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها[133]:

إذا كانَ مَدحٌ فالنَسيبُ المُقَدَّمُ ... أكُلُّ فَصيحٍ قالَ شِعراً مُتَيَّمُ

والتناص مع بيت المتنبي مناسب لجو القصيدة وموضوعها وهو الفخر بشجاعة العرب وبسالتهم، والتهديد للأعداء؛ فهو يقول في البيت الذي يليه:

أعد نظراً يا غربُ ما الشرق أعزلٌ ... وما بينيه الشوس إلا غشمشمُ[134]

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (الحقيقة)[135]:

ويؤلمني وحي الحقيقة إذ أرى ... مقاصير آمالي تهد وأحلامي
(ولو كان سهماً واحداً لاتقيته) ... ولكن جيوش من سهامٍ وأقلامِ

وقد وضع الشاعر الشطر الأول من البيت الثاني بين قوسين للدلالة على أنه تضمين ليس من شعره. وفيه تناص جلي مع قول القاضي أبي بكر ابن العربي[136]:

يهز عليّ الرمح ظبي مهفهفٌ ... لعوب بألباب البرية عابثُ
ولو كان رمحاً واحداً لاتقيته ... ولكنه رمح وثان وثالثُ

ولكن الشاعر استبدل السهم بالرمح، ليتناسب الشطران. والتناص هنا مناسب لجو القصيدة وموضوعها، وهو خيبة أمل الشاعر وتهدم أحلامه، حيث جاءته الرزايا من جهات شتى فلم يستطع ردها؛ على أن الشاعر قد قلب معنى البيت الأصلي من الهزل والغزل إلى الجد وطلب المجد. والشاعر لم يستدع الشطر الثاني من البيت الذي يشير إلى ثلاثة رماح، وإنما جعل السهام الموجهة إليه (جيوشاً)، وأضاف إليها الأقلام ليشير بذلك إلى ما كتب ضده في الصحف والمجلات.

ومن التناص الجلي الذي ينحى منحى المعارضة قصيدة بعنوان: (نهج لامية العجم)[137] التي يعارض بها –كما يظهر من العنوان– لامية العجم للطغرائي، التي مطلعها:

أصالةُ الرأي صانتْني عن الخَطَلِ ... وحليةُ الفضل زانتني لدى العَطَلِ

ومطلع قصيدة القاسمي:

طلابي المجد أقصاني عن الكسلِ ... وسوء ظني نجاني من الخطلِ

والشاعر منذ المطلع يؤكد على طلاب المجد، وهو بهذا يختلف عن الطغرائي الذي لم يكن طالب

مُلك، وإنما كان يشكو غربته وقلة ذات يده.

وقد جاء التناص مع لامية العجم مناسباً، فكلا الشاعرين يشكو صروف الدهر وتنكر الأصحاب؛ فالطغرائي لا يثق بأحد، ويدعو إلى الاعتماد على النفس وحدها[138]

وإنّما رجلُ الدُّنيا وواحِدُها من لا يعوّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ

والقاسمي يقول في المعنى نفسه، مخاطباً نفسه:

كوني عصاميةً وابني بعزمك ما بنى الجدود وللأوهام لا تئلِ

وكلا الشاعرين يفخر بنفسه ويظهر تماسكه أمام الأحداث، لا يرضى بالضيم ولا يقيم عليه. يقول الطغرائي [139]:

إن العُلَى حدَّثتني وهي صادقةٌ فيما تُحدِّثُ أنّ العزَّ في النُقَلِ

ويقول القاسمي:

يا لائمي في طلاب المجد عن سفهٍ عذراً فليس قبوع الدار يصلح لي

إلى أن يقول:

دعني أجوب الفيافي المقفرات فلا تلقى سوى الجد درعي والعلا سُبلي

وهكذا وجد القاسمي في (لامية العجم) تمازجاً مع همه، فراح يصوغ قصيدته على منوالها، فجاءت قصيدته متماسكة قوية، لها كيانها المستقل بها، فالشاعر فيها يمتح من تجربته الخاصة، ولم يكن مقلداً للطغرائي ولكن متماهياً معه، ممتزجاً فيه.

ومن التناص الجلي مع الشعر الخليجي قوله في قصيدة كتبها عندما «اختطف الصومال نفراً من الفرنسيين رهائن حتى يفك أسرى منهم»[140]:

لولا افتخاري بجدودي الألى شادوا وسادوا الدهر فيما غَبَرْ

لقلت يا ماو ماو هل عندكم لي صبغة أو فلفلاً من شَعَرْ

وذكر في الهامش أن البيت الثاني «من قصيدة للمرحوم الشاعر خالد الفرج رحمه الله»، لكنه لم يضعه بين قوسين. والتناص متناسب مع جو القصيدة وموضوعها، فالشاعر معجب بفعل الصومال، وقد حياهم في مطلع القصيدة بقوله:

حيى بني الصومال وأنعم بهم شعباً وأرضاً للأباة السُمُرْ

وبلغ من إعجابه بهم أن كاد يتمنى أنه منهم، لولا اعتزازه بنسبه العربي وبجدوده الأبطال. فكان استدعاء بيت الشاعر خالد الفرج مناسباً للمقام، معبراً عن أمنية الشاعر في أن يكون من الصومال.

ومن التناص الجلي مع النثر قول الشاعر في قصيدة بعنوان (نداء الوطن)[141]:

إلى وطن تفديه نفسي وعترتي وكل أبي فيه من عزة إرثُ

فقد طمثت فيه الرجال ولم يكن وربك عهدي أن يمسهم الطمثُ

وفي الهامش ذكر الشاعر أن البيت الثاني «تضمين كلمة الأخ الدكتور أحمد الشرباصي المشهورة: لقد حاضت الرجال وما كان العهد بها أن تحيض».

والتناص مناسب لجو القصيدة وموضوعها، فالشاعر يشتكي إلى صديقه الدكتور مصطفى الشكعة، الذي أهدى القصيدة إليه، ما لاقاه من بني وطنه من خذلان بعد أن دعوه للقدوم إلى الوطن فترك مصر (خير بقعة) كما يصفها، ولكنهم خذلوه بعد ذلك وتخلو عنه؛ لذلك وصفهم بهذا الوصف القاسي بأن رجالهم أصبحوا نساء، واستعار تشبيه الدكتور الشرباصي فضمنه في قصيدته.

التناص الخفي:

أما التناص الخفي فكثير في شعر الشيخ صقر القاسمي، ومن أمثلته قوله في قصيدة بعنوان (إباء)[142]:

لو أن نفسي أبت يوماً مصاحبتي لقلت يا نفس عني راضياً بيني

ولو يميني تأبى ما أريد لها لقلتُ عنها شمال الكف تكفيني

ففي البيتين تناص خفي مع قول المثقب العبدي[143]:

فَإنّي لَو تُخالِفُني شمالي خلافَك ما وَصَلتُ بها يَميني

إذاً لَقَطَعتُها وَلَقُلتُ بيني كَذَلِكَ أَجتَوي مَن يَجتَويني

والتناص هنا مناسب لروح العزة والإباء التي يريد الشاعر تصويرها، ولذلك ناسب أن يستدعي بيت المثقب. على أن الشاعر –في رأيي– قد بالغ كثيراً حين ذكر أن نفسه لو خالفته لقال لها بيني، وهو بذلك سيفقد حياته. ثم إن ذكره في البيت الثاني لليمين يعد حشواً بعد أن قال لنفسه (بيني)، فهو قد ضرب المثل بالنفس، وذلك أبلغ من اليد، فلم يعد لذكر اليد بعد ذلك من داع. على أنه لو كان قد عكس فبدأ باليد ثم ذكر النفس لكان في ذلك وجه، لأنه تدرج من الأقل إلى الأعلى.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة (وطني منبت الكرام عمان)[144]:

قد كفى أنني أعيش بهمي إذ ترفعتُ عن جدا كل جبسِ

ففي الشطر الثاني تناص خفي مع قول البحتري في سينيته الشهيرة[145]:

صنتُ نفسي عما يدنس نفسي وترفعتُ عن جدا كل جبسِ

وقد عددناه من التناص الخفي لأن الشاعر لم يضع الشطر الثاني بين قوسين مع أنه تضمين كامل لشطر البحتري. والتأثر بقصيدة البحتري واضح من خلال الوزن والقافية التي تطابق قصيدة البحتري؛ كذلك فإن الشاعر قد أورد شطراً آخر من سينية البحتري ووضعه بين قوسين هذه المرة، وهو قوله [146]:

قف (بنزوى) وانظر هناك بناء (يتجلى كصنع جنٍ لإنسِ)

على أن الشطر لا يتطابق تماماً مع شطر البحتري، ولهذا لم نعده من التناص الجلي، وبيت البحتري يقول [147]:

لَيسَ يُدرى أَصُنعُ إنسٍ لِجنٍ * سَكَنوهُ أَم صُنعُ جنٍ* لإنسِ

والتناص مع شعر البحتري مناسب للسياق، حيث القصيدة كلها، كما أشرنا، تشبه المعارضة لسينية البحتري، فلا غرو أن نجد بعض أشطار قصيدة البحتري متناثرة في القصيدة.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة (وقفت على التاريخ) [148]:

أعلل بالآمال نفسي وأين لي مجال أرى لي فيه تحقيق آمالي

ففي الشطر الأول تناص خفي مع قول الطغرائي في لامية العجم [149]:

أعلِّلُ النفس بالآمالِ أرقُبُها ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأمَلِ

والتناص هنا موفق جداً، لأن الشاعر يصور حالته بعد أن تخلى عنه قومه، ولم يؤازروه في استرداد حقه، فتحمل آلامه صامتاً، وقبله يقول:

أعلل بالآمال نفسي وأين لي مجال أرى لي فيه تحقيق آمالي

فهو يعلل نفسه بالآمال، ولكنه يرى المستقبل مظلماً، فكان استدعاء بيت الطغرائي هو النافذة على الأمل، وكأنه يصور ضيق عيشه حيث يرى أن الأمل شبه معدوم.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (وحي الكارثة) [150]:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له أخو همة صعب المراس فعولُ

ففيه تناص خفي مع قول النابغة الجعدي [151]:

وَلا خيرَ في حِلمٍ إذَا لَم تَكُن لَهُ بَوَادِرُ تَحمي صَفوَهُ أَن يُكَدَّرا

ورغم تطابق الشطرين الأولين في البيتين إلا أننا عددناه من النوع الخفي لأن الشاعر لم يضعه بين قوسين، ولم يقدم له بما يشير أنه من شعر غيره، مما يدل على عدم وعيه به. وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة وموضوعها، وقد سبق الحديث عنه ضمن الحديث عن التناص الجلي في

القصيدة؛ فكأن الشاعر يلوم (الشيخ) على أن حلمه هو الذي جرأ القوم عليه، وأن الحلم الذي لا يكون صاحبه (صعب المراس)، فإن بوادره تُكدر، وصاحبه (يُهان في عقر داره).

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (أمتي) [152]:

والبهاليل من بني (عبد شمس) أثلوا للخلود صرحاً عليا

ففي الشطر الأول تناص خفي مع قول يزيد بن مفرغ الحميري [153]:

البَهاليلُ مِن بَني عَبدِ شَمسٍ فَضَلوا الناسَ بِالعُلا وَالفعالِ

واستدعاء بيت الحميري يوحي بأن الشاعر يرى أن العرب أفضل من غيرهم من الشعوب بأفعالهم المجيدة. وقد جاء التناص متناسباً مع جو القصيدة وموضوعها الذي هو الفخر بالأمة العربية ومدح للرئيس جمال عبد الناصر، يقول الشاعر بعد البيت السابق:

باركوا في الجهاد عزم (جمالٍ) وهو يمضي حراً عزيزاً أبيا

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (إلى التوحيد) [154]:

فطهرتِ الأذهان من كل ريبةٍ وحررتِ الأفكار بعد توهمِ

ففي الشطر الثاني تناص خفي مع الشطر الثاني من قول عنترة [155]:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهمِ

وكذلك قوله في القصيدة نفسها:

فهيا إلى التوحيد شعبَ محمدٍ فما ترك التوحيد من متردمِ

ففي الشطر الثاني تناص خفي مع الشطر الأول من قول عنترة السابق.

والشاعر يدعو المسلمين (شعب محمد) كما أسماهم، إلى العودة إلى منابع التوحيد، لأن في اتباع الشريعة الإسلامية العز والنصر. ويذكر أن الشريعة هي التي هدت الناس بعد الحيرة و(التوهم)، وأن الإسلام لم يترك من (متردم)، أي مُستصلح. والمعنى أن الإسلام لم يترك شيئاً فيه صلاح الناس إلا أرشدهم إليه، فلم يدع مقالاً لقائل، كما أن الشعراء الذين سبقوا عنترة، لم يتركوا له مجالاً للقول. وقد جاء التناص مناسباً للمعنى المراد، متسقاً معه.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (يا من يناديا) التي كتبها جواباً على قصيدة من الشاعر سالم بن علي العويس [156]:

فالشرق أجمعه على أطواره وطني، له نفسي جلت أسرارها
إن أنَّ في أرض (بالشآم) معذبٌ أنَّت له، فكأن ذاك أثارها

ففي البيت الثاني تناص خفي مع قول أحمد شوقي في القصيدة التي نظمها بمناسبة مبايعته بإمارة الشعر(157):

كان شعري الغناءَ في فرح الشرق وكان العزاءَ في أحزانه
كلما أنَّ في العراق جريحٌ لمس الشرق جنبه في عمانه

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة وجوها. وإذا كان شوقي قد ضرب المثل بالعراق، فالقاسمي ضرب المثل بالشام.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (الحقيقة)(158):

نذرتُ له عمري فإما حياته كما يشتهي حراً يلقى بإكرام
وإما ممات يُعذر الجهد بعده وأرتاح فيه من همومي وآلامي

ففي البيت الثاني تناص خفي مع قول امرئ القيس (159):

بَكى صاحبي لَمّا رَأى الدَربَ دونَه وَأيقَنَ أَنّا لاحقان بِقَيصَرا
فَقُلتُ لَهُ لا تَبكِ عَينُكَ إِنَّما نُحاوِلُ مُلكاً أَو نَموتَ فَنُعذَرا

والضمير في قول الشاعر صقر القاسمي (نذرت له) يعود على الشرق المذكور قبل ذلك. والتناص مع قول امرئ القيس مناسب لموضوع القصيدة، فكأن الشاعر لا يرى فائدة كبيرة ترجى من المقاومة المسلحة، ولكنه يعد ذلك أقل ما يجب فعله، وهو بذلك يدفع عن نفسه اللوم بالتقصير. واستدعاء بيت امرئ القيس مع ما فيه من الإشارة إلى المُلك الذي يحاول استعادته مناسب لنفسية الشاعر الذي فقد ملكه ويتمنى استعادته، وإن كان في هذه القصيدة يتحدث عن الشرق وما يعانيه من ويلات الاستعمار.

خاتمة

وهكذا تجولنا في شعر الشيخ صقر القاسمي وتتبعنا التناص في شعره. ورأينا أن نماذج التناص الديني قليلة في شعره، وأغلبها من النوع الخفي. أما التناص الأدبي فقد كان أكثر بروزاً في شعره وقد ورد بنوعيه الجلي والخفي؛ وقد مثلنا لكل نوع منهما ببعض الأمثلة.

التناص في شعر سلطان بن علي العويس

مقدمة

يعد الشاعر سلطان بن علي العويس (1925م- 2000م) من الشعراء الإماراتيين المقلين، وقد ذكر في إحدى اللقاءات الصحفية معه أنه نظم الشعر على كِبر، ونشر أول قصيدة له سنة 1970م[160]. ويغلب على شعر سلطان العويس المقاطع القصيرة التي قد لا يتجاوز بعضها البيتين أوالأربعة، ويكاد يقتصر شعره على الناحية الوجدانية. فالمطلع على ديوانه الذي يشتمل على حوالي 150 مقطوعة، يجد أن أكثر من ثمانين بالمائة منها يدور حول التغزل بالحسناوات.

وقد درج الشاعر على إطلاق أسماء معشوقاته على عناوين بعض قصائده، فنجد (لولا- ص83)، و(سليمى-ص 97)، و(عبير-ص 131)، و(إيمان-ص 122)، و(ميشيلين-ص 136)، و(علياء-ص 156)، و(فرح-ص 158)، و(سحر-ص171)، و(رانية-ص 198)، و(دلال-ص 202)، و(فنس-ص 214)، و(ليلى-ص 226)، و(يسرى-ص 282)، و(رحاب-ص 284)، و(أمل-ص 287)، كما ذكر أسماء أخريات في القصائد دون العناوين. وقد تكون بعضها أسماءً مستعارة، خاصة أسماء مثل (ليلى) و(هند) إلا إنه قد يصرح أحياناً بالاسم الكامل للمعشوقة كما في قصيدة (بنت الهلال) التي أهداها إلى الآنسة داليا هلال في فندق شيراتون بالقاهرة (ص 194).

والملاحظة الأخرى التي يخرج بها قارئ ديوانه، هي أن الشاعر كان مولعاً بالأسفار. ولذا نجد قصائده –التي حرص على تحديد مكان وتاريخ كتابة كل منها- مكتوبةً في بلدان متفرقة، تمتد بين الشرق والغرب، تشمل دبي، والشارقة، وبيروت، والقاهرة، ودمشق، واللاذقية، وكراتشي، وبومبي، وريو دي جانيرو، ولاهور، ولندن، وباريس، وهامبورغ، والبرتغال. بل إن بعضها كتبه في الطائرة، كما هو الحال في (لولا-ص 83) و(بسمة الفجر-ص 96) التين كتبهما في الطائرة بين كراتشي ودبي، و(ألوان الصور-ص 162) التي كتبها في مضيفة في رحلة من لبنان إلى دبي.

ورغم ثقافة الشاعر الدينية والتراثية، إلا أننا نجد أن التناص الديني والتراثي قليل في شعره. ربما لأن الشاعر كان يحاول أن يعبر عن نفسه من خلال مفرداته الخاصة به، دون اللجوء إلى التناص إلا فيما ندر. وقد تجلى التناص في شعر العويس في ثلاثة أنواع: ديني وأدبي وتاريخي؛ وسنتناول أمثلة لها فيما يأتي، ونرى كيف وظف الشاعر التناص لخدمة الغرض الذي جاء به من أجله

التناص الديني

الملاحظ على التناص الديني لدى الشاعر هو قلته مقارنة بالتناص الأدبي والتاريخي. وقد جاء التناص الديني بنوعه الخفي من خلال استخدام مفردات أو تراكيب قرآنية، أو استخدام مفردات دينية. فمن أمثلة التناص مع التراكيب القرآنية قوله في قصيدة بعنوان (هدف الحسن)[161]:

قال عذالي: كثيرٌ مثلها قلت: أمضوا واجعلوا منهن صفْ
ثم هاتوا حكماً من أهلكم أترى الشمس تغطى بالأكفْ

فالبيت الثاني فيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا) (النساء، 35)، والآية –كما هو معروف- جاءت في سياق التوفيق بين الزوجين المتخاصمين من أجل الإصلاح بينهما؛ ولكن الشاعر استخدمها في مجال الغزل للتدليل على أن معشوقته لا نظير لها. واستدعاء الآية الكريمة في البيت يوحي بأن الاختلاف بين الشاعر وعذاله بلغ حد الشقاق الذي يستدعي تدخل حكم بينهم للإصلاح.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (تحية مصر)[162]:

ألا فاهبطوا مصراً لكم ما سألتمو من الأمن والنعماء من دونما أجر

ففي البيت تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ) (البقرة، 61).

ورغم أن سياق الآية الكريمة هو في موقف الذم لبني إسرائيل لإيثارهم الثوم والبصل على المن والسلوى، إلا أن الشاعر قصد باستدعائها أن يشير إلى أن في مصر كل ما يطلبه الزائرون من (الأمن والنعماء)، كما فسرها بعد ذلك.

ومن أمثلة التناص مع المفردات القرآنية قوله في قصيدة بعنوان (قُبلة)[163]:

تنفس الصبح والأحلام حائرة لما رأت قدراً يسعى لمحتوم

ففي البيت تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) (التكوير، 18). والشاعر في البيت يصف طلوع الصبح إيذاناً بانصراف المحبوبة؛ فلا يتناسب معه –في رأيي- وصف الصبح بالتنفس الذي يوحي بالجمال والرقة والهدوء.

ومن أمثلة التناص مع المفردات القرآنية أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (سمر)[164]:

أنى التقت فتية والحب زادهمو مدلهين تعاطوا كأسهم غدقا

ففي البيت تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا) (الجن، 16)، أي مطراً غزيراً. واستدعاء الآية الكريمة يوحي بأن هؤلاء الفتية مولعين بالكأس إلى درجة تعاطيها بغزارة كغزارة المطر. على أن الشاعر لم يوفق –في رأيي- في استخدام هذا التناص لأن الآية الكريمة تتحدث عن الاستقامة على الطريقة، والشاعر استخدمها في سياق وصف كأس الخمر التي حرمها الله، فأنزلها بذلك من قدسية الاستقامة إلى رجس المعصية.

ومن أمثلة التناص مع المفردات الدينية قوله في قصيدة بعنوان (عصا الكليم) يصف فيها راقصة في فندق الميريديان- بدمشق، مخاطباً صاحب العصا[165]:

رقصت عصاك مع الحسان فخلتها بيد (الكليم) تسبح الخلاقا

والتناص هنا –في رأيي- غير موفق، حيث لا ترابط البتة بين عصا الكليم وعصا الراقصة، فعصى الكليم موسى (عليه السلام) انقلبت إلى حية (تلقف ما يأفكون) أما عصا الراقصة فمستسلمة لها تهزها وتلعب بها كيفما شاءت. كما أن البيت يوحي –والشاعر قطعاً لم يقصد ذلك- أنه يشبه الراقصة بالكليم، وذلك قوله (فخلتها بيد الكليم)، وهو في الحقيقة يقصد (فخلتها عصا الكليم)، ولا يغفر للشاعر أن جعل العصا (تسبح الخلاقا).

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (سجدة الشوق)[166]:

فافتحي الصدر وقولي ها هنا سجدة الشوق وغفران الزللْ

فمفردات (السجدة) و(غفران الزلل) هي مفردات ذات دلالة دينية، ولكن الشاعر استخدمها في مجال الغزل؛ وهو بذلك لم يوفق –في رأيي- لأن هذه المفردات لا تتناسب مع الصورة المجونية للصدر المفتوح على مصراعيه، الذي يستدعي طلاب الشهوة أن هلموا.

وهذا التجاسر على المفردات التعبدية (كالسجود)، يتكرر لدى الشاعر، كما في استخدامه لمفردة (التقوى) في موقف التحذير للمحبوب من أنه إذا لم يصله ويدنو منه، فسوف ينقطع للتقوى ويكسر دن الخمر، وذلك قوله في قصيدة بعنوان (إليها)[167]:

ولما أن يئست من التداني نزعتُ إلى التقى وكسرت دني

التناص الأدبي:

جاء التناص الأدبي –كما هو الحال في التناص الديني- من النوع الخفي (غير المباشر). وقد جاء التناص إما من خلال استخدام تشبيهات سبق إليها الشعراء، أو من خلال تراكيب تشي بنص غائب. فمن أمثلة الأول قول الشاعر في قصيدة بعنوان (تحية مصر)[168]:

وما (مصر) للأحرار إلا مظلةٌ وأم رؤوم تلصق الحر بالصدرِ

ففيه تناص خفي مع قول إيليا أبو ماضي في قصيدة (صاحب القلم) متحدثاً عن مصر[169]:

أحنى على الحر من أم على ولدٍ فالحر في مصر كالورقاء في الحرمِ

وتشبيه مصر بالأم الرؤوم سبق إليه أبو ماضي، وقد أجاد أبو ماضي في تشبيه الحر في مصر بالحمام في الحرم، لأنه لا يُصاد ولا يُهاج، فأعطى مصر بذلك قدسية الحرم. كما أن فيه إشارة إلى أن هناك قوانين في مصر تضمن الحرية للمقيمين فيها، مثلما أن هناك تعاليم دينية تمنع صيد حمام الحرم، فجاء بيته أجود فنياً من بيت العويس.

ومن أمثلة التراكيب التي تشي بنص غائب قول الشاعر في قصيدة بعنوان (فنس)[170]:

تُهديك من وجهها ما شئت من نعم قطفاً من الورد أو رشفاً من اللَّعَسِ

ففي تركيب الشطر الثاني من البيت تناص خفي مع قول البوصيري[171]:

وَكلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ غَرْفاً مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

على أن الشاعر هنا لم يوفق –في رأيي- لأنه نقل التركيب من المديح النبوي إلى الغزل.

ومن أمثلته أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (فراق)[172]:

وللشفاه اختلاج في تساؤلها ماتت به كلمات واختفت جملُ

ففي تركيب الشطر الأول من البيت تناص خفي مع قول ابن زيدون[173]:

وَلِلنَسيمِ اعتِلالٌ في أصائله كَأَنَّهُ رَقَّ لي فَاعتَلَّ إِشفاقا

والتناص هنا مناسب لجو القصيدة وموضوعها، فكلا البيتين في الغزل. وكأن الشاعر يشبه الشفاه في رقتها بالنسيم العليل الذي يهب في لطف.

ومن أمثلته أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (إلى أمتي)[174]:

أقول لقومي بعد أن جد جدهم دعوا ما مضى واستقبلوا الأمر بالحزمِ

ففيه تناص خفي مع قول أبي فراس الحمداني[175]:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ

والتناص هنا موفق لأنه مناسب لموضوع القصيدة، وكأن الشاعر يشبه حال العرب اليوم بالليلة الظلماء التي فُقد فيها البدر، فجاء تشبيهه مناسباً لموضوعها وهو حث قومه على التأهب للأمر واستقباله بالحزم.

ومن أمثلة التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (زايد بن سلطان)[176]:

وأبو الجميع قيادة وريادةً هو (زايد) تجلى به الظلماءُ

ففي الشطر الثاني من البيت تناص خفي مع قول عبيد الله بن قيس الرقيات في مدح مصعب بن الزبير[177]:

إنَّما مُصعَبٌ شهابٌ من اللَّه تَجَلَّت عَن وَجهه الظَلماءُ
مُلكُهُ مُلكُ رحمةٍ لَيسَ فيهِ جَبَروتٌ وَلا بِهِ كِبرِياءُ

وقد جاء التناص هنا مناسب لسياق القصيدة وموضوعها، فكلاهما في المدح. وفي استدعاء بيت الرقيات ما يوحي بأن ملك الشيخ زايد وحكمه رحمة وأنه ليس فيه جبروت ولا كبرياء بل هو متواضع لشعبه، فأعطى بذلك النص قوة وجمالاً.

التناص التاريخي:

جاء التناص التاريخي في شعر سلطان العويس من خلال استدعاء بعض الشخصيات التاريخية، والرمز بها لشخصيات معاصرة. فمن ذلك قول الشاعر في قصيدة بعنوان (زايد بن سلطان) التي ألقيت في اتحاد نساء الإمارات[178]:

يا أيها الأم الصبورة جددي — عهد الإباء فأمك (الخنساءُ)
لا تطلبن من الرجال كرامةً — إن غاب عن لبن الرضيع إباءُ

فقد استدعى الشاعر شخصية (الخنساء) ورمز بها إلى المرأة المعاصرة في الإمارات. والشاعر هنا اختار (الخنساء) لأنها رمز للمرأة الصابرة التي احتسبت أبناءها الأربعة الذين استشهدوا في معركة القادسية، فكانت مثالاً للأم الصابرة التي تتحمل فقد أبنائها في سبيل العزة والكرامة. وقد نجح الشاعر في استدعاء شخصية (الخنساء) ليحث من خلالها المرأة الإماراتية على أن تتأسى بها في صبرها وفي تنشئة أبنائها على العزة والكرامة.

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (ميشلين)[179]:

(ميشلينُ) يا طرباً في كل جارحة — العود غناك؟ أو غنيت للعود؟
كأنما أنت في الأقدار حاملةٌ — ألحان (زرياب) في نغمات (توحيد)

فاستدعاء الشخصيات التي اشتهرت بالغناء والطرب عند العرب، مناسب لجو القصيدة التي قيلت –على ما يبدو– في مطربة. وقد يقول قائل إن الشاعر لم يوفق كل التوفيق في هذا الاستدعاء لأمرين، الأول أن (ميشيلين) –كما يظهر من اسمها– غير عربية، فتشبيهها بالمطربين العرب غير موفق، ولكني أرى أن الشاعر أراد مجرد التجويد والعبقرية الفنية في الغناء. والأمر الآخر هو أن (ميشلين) أنثى وتشبيهها (بزرياب) الذكر، غير مناسب؛ والرد على هذا أن الشاعر انتبه لهذا الأمر، حين شبه ألحانها بألحان (زرياب) لا صوتها، وهي لفتة ذكية من الشاعر. على أنه وَهِم في اسم (توحيد) فالمغنية المشهورة في التاريخ هي (وحيد) لا (توحيد)، وقد خلدها ابن الرومي في قصيدة من روائعه مطلعها[180]:

يا خَلِيلَيَّ تَيَمَّتْني وَحيدُ — فَفُؤادي بها مُعَنًّىً عَميدُ

وفيها يقول وهو من أجود أبيات القصيدة[181]:

تتغنَّى كأنها لا تُغَنِّي — من سكونِ الأوصالِ وهي تُجيدِ

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (جمال الحب)[182]:

فدع (ليلاك) يقليها (المعري) — وقلي ما (حُبابة) من (يزيد)

والشاعر هنا يقابل بين موقف (المعري) من المرأة، وبين موقف (يزيد) منها. وموقف المعري من المرأة معروف، فهو لم يتزوج قط. أما (حبابة) فكانت مغنية من مغنيات المدينة، والذي أغرم بها واشتراها هو (سليمان بن عبد الملك) لا (يزيد) كما توهم الشاعر؛ وإن كان يزيد أيضاً مغرماً بالمغنيات وهو الذي اشترى سلاّمة. وعلى كل حال فالتناص مناسب لجو القصيدة وموضوعها، والشاعر يعلن أنه من الرجال الذين يتعشقون النساء ويغالون في البذل في سبيل الحصول عليهن، مثل (يزيد)، وليس ممن يقلونهن ويعفون عنهن (كالمعري).

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (تحية مصر)[183]:

فثار (أبو حفص) لأدنى ظلامة — وأمست حقوق الفرد أولى من الفخرِ
فكان لإبن الأكرمين قصاصه — جهاراً ولم تجد القرابة من (عمرو)
متى كانت الأرحام تقذف أعبداً — أتستعبدون الناس والحر كالحرِ

و(أبو حفص) هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، و(عمرو) هو عمرو بن العاص (رضي الله عنه) فاتح مصر ووالياها من قبل عمر. والشاعر يشير إلى قصة ابن عمرو بن العاص الذي ضرب القبطي وقال له: (خذها وأنا ابن الأكرمين)، فشكاه القبطي إلى عمر فاقتص له عمر، وقال لعمرو قولته الشهيرة: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

والتناص مناسب لجو القصيدة وموضوعها في (تحية مصر) وتعداد مناقبها، وأنها أحن على الحر من الأم. وجاء ذكر قصة القبطي مع ابن عمرو مناسباً لسياق الحديث عن الحرية، فقد قال عمر قولته الشهيرة ليعلن أن الناس كلهم يولدون أحراراً، فلا ينبغي إذلالهم. وكأن الشاعر يشير إلى أن ما في مصر من جو الحرية هو من صميم الدين الإسلامي الذي يكفل الحرية والمساواة للجميع على اختلاف ألوانهم وأديانهم، فجاءت القصة مناسبة للسياق.

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (سيدتي)[184]:

ماذا أردت من التسويف سيدتي — وفي شفاهك لو قبلتها عمُرُ
لا تجعلي الحب (قيساً) تحلمين به — (قيس) له صفة ما حازها البشرُ

وشخصية (قيس) هي علم على الحب العذري العفيف الذي يقتصر فيه العاشق على محبوبة واحدة فيهيم بها حباً، ويكون عفيفاً طاهراً في مشاعره وأحاسيسه تجاهها. والشاعر يعلن هنا لمحبوبته أنه ليس (قيساً)، وأن مذهبه غير مذهب (قيس)، وأنه قد ضاق ذرعاً بتسويفها في المواعيد، وهو لا صبر لديه، فإما أن تأتي أو فلتذهب فغيرها كثير. ويقول لها صراحة إنها إن كانت تحلم بشخص مثل (قيس) فقد أخطأت، (فقيس) ليس من البشر–حسب تعبيره، أما هو فبشر له شهوة البشر، فإما أن تستجيب له وإما أن تبحث عن غيره وتدعه وشأنه. وبهذا فإن استدعاء شخصية (قيس) جاء مناسباً هنا للمعنى الذي أراده الشاعر.

على أن الشاعر قد يحاول أحياناً أن يخدع فتاته بالادعاء بأنه مثل (قيس)، ليستدرجها إلى الوقوع في فخه، دون أن يكون هو حقيقة مثل (قيس)، كما في قوله في قصيدة بعنوان (فديتك)[185]:

أنا (قيس) يا (ليلى) أنا العود عازفاً أنا القدر المكتوب في اللوح فأمري

ولعله يقصد أن يشبه نفسه (بقيس) في درجة العشق، لا في عفافه واقتصاره على امرأة بعينها.

ومن التناص التاريخي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (أبو نواس وصحبه)[186]:

صحب شرابهم الطّلى فكأنما ماء السحاب على الصحاب حرامُ

فالعنوان يستدعي شخصية (أبي نواس) المشهورة في التاريخ الأدبي بالمجون والعكوف على اللذات، ولعل الشاعر يشبه نفسه بأبي نواس ويشبه صحبه بصحب أبي نواس، الذين عكفوا على شرب الخمر (الطلى) حتى كأن الماء محرم عليهم. وبذلك جاء التناص متناسباً مع موضوع القصيدة وجوها.

خاتمة:

وهكذا تجولنا في ديوان سلطان العويس، وتتبعنا نماذج من التناص في شعره الذي جاء قليلاً. ورأينا أن التناص بأنواعه الثلاثة الديني والأدبي والتاريخي قد ورد في شعر العويس. ومثلنا لنماذج من كل نوع، وقد جاء التناص في مجمله متناسباً مع مواضيع القصائد التي ورد فيها، متسقاً معها، إلا في مواطن قليلة نبهنا عليها.

التناص في شعر أحمد أمين المدني

مقدمة

الشاعر أحمد أمين المدني (1931م- 1995م) من أشهر شعراء الإمارات في العصر الحديث، ويعد رائد الشعر التفعيلي في الإمارات، هو أول إماراتي يحصل على درجة الدكتوراه. وقد أصدر في حياته ثلاثة دواوين شعرية هي: (حصاد السنين، 1968م) و(أشرعة وأمواج، 1973م)، و(عاشق لأنفاس الرياحين، 1990م). وبعد وفاته أصدر الباحث أحمد عبيد مجموعة قصائد للمدني بعنوان (قصائد ضائعة). كما أصدر اتحاد كتاب وأدباء الإمارات الأعمال الشعرية الكاملة للمدني، بما فيها القصائد الضائعة في كتاب في أكثر من خمسمائة صفحة سنة 2006م.

والمتأمل لشعره يجد أن شعر المرحلة الأولى (القصائد الضائعة) يغلب عليها النفس الطويل والالتزام بالقافية الواحدة مهما طالت القصيدة، مثل قصيدته التي نظمها في الترحيب بالرئيس السوداني السابق جعفر النميري وجاءت في حوالي ثمانين بيتاً[187]. ويغلب على مواضيع شعر المرحلة الأولى الإخوانيات والمناسبات الدينية مثل (ليلة الإسراء) والمديح والرثاء خاصة رثاء الحسين بن علي رضي الله عنهما، فقد خصص له الشاعر قصيدتين هما (يوم الحسين)[188]، وقد ألقاها في حفل شيعي يوم عاشوراء[189]، و(شهيد الطف)[190]، والثانية تقع في حوالي مائة بيت.

أما شعر المرحلة الثانية فيميل فيه الشاعر إلى المقاطع القصيرة والتنويع في الوزن والقافية والإكثار من شعر التفعيلة. وبالنسبة للمواضيع فهي متنوعة بين الوجداني والوطني والتأملات.

والتناص بنوعيه الديني والأدبي قليل في شعر المدني، والنماذج الموجودة تبرز في شعر المرحلة الأولى (قصائد ضائعة). وسنحاول في السطور الآتية تتبع نماذج من هذا التناص وإبراز أثره في السياق الذي ورد فيه.

التناص الديني:

لا نكاد نعثر على أمثلة من التناص الديني في شعر المدني، سوى في بيتين من قصيدة واحدة، جاء فيهما تناص خفي مع آيات من القرآن الكريم، وذلك قوله في قصيدة (قصيدة) التي يخاطب فيها المرأة الإماراتية[191]:

صوّرتك شرائع الناس ظلماً ... ذات خدر ودمية للسرير
ومراماً لكل لاه غرير ... كيفما شاء أو متاع الغرور
كلما قمت تطلبين حقوقاً ... لك قد نُص في الكتاب المنير

ففي قوله (أو متاع الغرور) تناص خفي مع قول الله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (الحديد، 20). وكذلك في قوله (الكتاب المنير) تناص خفي مع قول الله تعالى: (فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) (آل عمران، 184).

وقد جاء التناص مناسباً لسياق القصيدة وموضوعها، (فمتاع الغرور) يتناسب مع مراد الشاعر من رفضه حصر دور المرأة في المتعة، ولذلك كان استدعاء الآية الكريمة مناسباً لما فيها من تعداد اللهو واللعب، وتكاثر الأولاد، فكأن الشاعر أراد باستدعاء هذه الآية الإشارة إلى فهم بعض الناس القاصر الذي يحصر دور المرأة في اللهو والإنجاب.

وكذلك في البيت الآخر جاء وصف الكتاب بالمنير مناسباً مع المعنى الذي يريده الشاعر من عدم فهم الناس للحقوق التي نص عليها الله تعالى في كتابه العزيز. ووصف الكتاب بالمنير يوحي بأن هؤلاء الناس الذين لا يفهمون حقيقة إنصاف الإسلام للمرأة هم في الحقيقة عميٌ لا يبصرون، وإلا فإن الكتاب المنير ينير سبيل الحق ويوضحه للسالكين؛ كما أن في استدعاء الآية الكريمة ما يوحي بأن هؤلاء الذين ينكرون حقوق المرأة يكذبون بنصوص الكتاب المنير، كما تشير الآية.

التناص الأدبي:

أما التناص الأدبي فقد ورد بنوعيه الجلي والخفي. وسنحاول في السطور الآتية تقديم أمثلة منه.

التناص الجلي:

جاء التناص الجلي (المباشر) في قصيدة (تفنيد الطلاسم) التي ينقض فيها الشاعر قصيدة إيليا أبو ماضي الشهيرة (الطلاسم). وقد أهداها الشاعر إلى سمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم، ونشرها في مجلة (أخبار دبي) سنة 1972م، وقد قدم لها الشاعر بمقدمة نثرية ذكر فيها أنه سيفند قصيدة أبو ماضي كلها، وسيتناول في كل عدد من (مجلة أخبار دبي) قسماً منها، ولكن الباحث أحمد عبيد أشار إلى أنه عثر على ثماني رباعيات فقط، بسبب عدم العثور على بقية أعداد مجلة (أخبار دبي)[192].

وإذا كان أبو ماضي ينهي كل رباعية بقوله: (لست أدري)، فإن المدني كان ينهي كل رباعية بقوله: (هكذا شاء القدر). وهذه هي الرباعية الأولى من رباعيات المدني[193]:

جئتُ للدنيا ولكن من ظلام لظلامْ
لأعاني العمر ما بينهما حتى الحمامْ
تارةً حرباً أعانيها وأحياناً سلامْ
إن تساءلت لماذا؟ رن صوتٌ
هكذا شاء القدرْ

وكما يتضح من هذا المقطع، فإن رباعيات المدني جاءت ضعيفة من حيث الفكرة، ركيكة من حيث البناء، ولم يقدم فيها إجابة شافية على تساؤلات أبو ماضي، وإنما رد الأمر إلى (مشيئة القدر). وقد اختار المدني لقصيدته عنوان (البداءة)، كما أشار الباحث في الهامش. والبداءة – من حيث اللغة- تعني البداية، ولكن (للبداء) معنىً خاصاً في مصطلحات عقائد الشيعة، وخلاصته أن «المصير أو المقدر يتغير ويتبدل بالأعمال الصالحة والطالحة وشكر النعمة وكفرانها»[194]، فهل قصد المدني هذا المعنى؟ علماً بأن المدني كان سنياً[195].

التناص الخفي:

جاء التناص الخفي في شعر المدني إما من خلال استخدام وزن وروي قصيدة مشهورة أو من خلال إيراد مفردات خاصة وردت في شعر مشهور. فمن نماذج النوع الأول، قصيدة (مرثية فقيد المروءة) التي نشرت في مجلة (أخبار دبي) في سنة 1972، دون الإشارة إلى شخصية المرثي، ومطلعها[196]:

كل شيء مصيره للنفادِ حاضراً كان في الزمان وبادي

فالقصيدة منذ المطلع، تستدعي إلى الذاكرة قصيدة المعري الشهيرة [197]:

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باكٍ ولا ترنم شادي

ومن التناص الخفي في هذه القصيدة، قول المدني:

أدرك الفكر كل شيء وعاه غير كونٍ مصيره للفسادِ

ففيه تناص خفي مع قول المعري[198]:

واللّبيبُ اللّبيبُ مَنْ لَيس يَغْترْ ر بِكَوْنٍ مَصيرُهُ للفَسادِ

وكذلك قول المدني بعد البيت السابق:

ظل لغزاً أعيا العقول جميعاً من عميق الآزال والآمادِ

ففي الشطر الثاني منه تناص خفي مع الشطر الثاني من قول المعري[199]:

وَدَفِينٍ عَلى بَقايا دَفِينٍ في طَويلِ الأزْمانِ وَالآبادِ

أما الشطر الأول من قول المدني: (ظل لغزاً أعيا العقول جميعاً)، ففيه تناص خفي مع قول المعري[200]:

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

وقد جاء هذا التناص مناسباً لجو القصيدة التي قيلت في الرثاء كما هو الحال في قصيدة المعري، وقد جعل المدني من مسألة الموت مجالاً للتفكر والاتعاظ، مثل المعري، فجاءت أبياته كلها في التفكر في الموت وفلسفة الفناء، ولم ينل المرثي في قصيدة المدني إلا بيتين فقط، هما قوله:

قد فقدنا من عز يوماً علينا أن نرى مثله على الأعوادِ
قد بكتــه أفعاله وهــي كثــرٌ مشرقات لكل بادٍ وغادِ

ومن التناص الخفي مع بعض القصائد المشهورة أيضاً، قصيدة بعنوان (قصيدة)[201]،التي وجهها الشاعر «لبنت الإمارات الطالعة»، ومطلعها:

أنت فجر مفوَّفٌ بالزهورِ وصباحٌ مغرورق بالعطورِ

ففي القصيدة تناص خفي مع قصيدة أبي القاسم الشابي الشهيرة (صلوات في هيكل الحب)، ويتجلى هذا التناص في تكرار كلمة (أنت)، ومنها قوله:

أنتِ ما أنتِ؟ رحمةٌ قد تهامت بالمسراتِ من فيوض القديرِ

حيث نجد فيه تناصاً خفياً مع قول الشابي في تلك القصيدة[202]:

أَنتِ مَا أَنتِ أَنْتِ رسمٌ جميلٌ عبقريٌّ من فنّ هذا الوُجُودِ
أَنتِ مَا أَنتِ أَنتِ فجرٌ من السّحرِ تجلّى لقلبيَ المعمودِ

وقد جاء التناص مناسباً للسياق، فالمدني يعدد محاسن الفتاة الإماراتية وصفاتها، كما كان الشابي يعدد محاسن فتاته وصفاتها. وإن كان الجو العام للقصيدتين مختلفاً فالشابي كان عاشقاً يتغزل، بينما كان المدني يدافع عن حقوق المرأة الإماراتية.

وهناك تناص آخر في القصيدة نفسهامع قصيدة أخرى للشابي أيضاً، هي قول المدني:

كلما قمتِ تطلبين حقوقــاً لك قد نُص في الكتاب المنيرِ
أخرسوا صوتك الإلهي زوراً ثم هاجوا وأعولوا بالثبورِ

ففي قول المدني (كلما قمتِ) و(أخرسوا صوتك الإلهي) تناص خفي مع قول الشابي في قصيدة (تونس الجميلة)[203]:

كلَّما قامَ في البلادِ خَطيبٌ مُوقظٌ شعبَهُ يُريدُ صَلاحَهْ
أَخْمَدوا صَوْتَهُ الإلَهيَّ بالعَسْفِ أَماتوا صُدَاحَهُ وَنُواحَهْ

وقد جاء التناص أيضاً موفقاً، لأن الشابي كان يتحدث عن واعظ ينصح الناس ويبين لهم الدين الحق، فناسب أن يوصف صوته بالإلهي لأنه يبلغ وحي الله، وكذلك المدني يتحدث عن فتاة تطالب بحقوق كفلها لها الشرع الحكيم، فناسب أن يوصف صوتها بالإلهي. على أن الضمير في (أخرسوا) عند المدني يعود على الجهلاء من الناس الذين ينكرون حقوق المرأة، بينما يعود الضمير في (أخمدوا) عند الشابي، على الطغاة من الحكام.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (ويح الرفاق)[204]:

ما لأمرئ القيس لما ثار والهه إلى عنيزة نادى وهو يرتجلُ
لا تحرميني جناك وارفقي بفتىً إليك من شوقه قد جاء يبتهلُ

ورغم أن الشاعر قد قدم في البيت الأول بما يوحي أن البيت الثاني من شعر امرئ القيس، إلا أننا آثرنا أن نعده تناصاً خفياً لأن الشاعر لم يذكر بيت امرئ القيس بنصه، وإنما عبر عن معناه بأسلوبه. وبيت امرئ القيس الذي يشير إليه الشاعر هو قوله في المعلقة[205]:

فَقُلتُ لَها سيري وَأَرخي زِمامَهُ وَلا تُبعِدينِي مِن جَناكِ المُعَلَّلِ

فالشطر الأول من بيت المدني يتفق من حيث المعنى مع الشطر الثاني من بيت امرئ القيس، والشطر الثاني من بيت المدني إنما هو حشو أراد أن يتمم به البيت.

وفي القصيدة نفسها تناص خفي آخر مع شعر عنترة، وذلك في قول المدني:

ولابن شدادَ لم ينسَ عُبيلته فكان يذكرها والسمر تنتهلُ

منه وتقطر بيض الهند من دمه نشوانةً ولظى الهيجاء يشتعلُ

ففي قوله (تنتهل منه وتقطر بيض الهند من دمه) تناص خفي مع قول عنترة في المعلقة[206]:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

وقد جاء التناص مع شعر امرئ القيس وعنترة مناسباً لسياق قصيدة المدني التي موضوعها العشق، فذكر من أمثلة ممن سبقه من الشعراء العشاق، وكيف عبروا عن ولههم وعشقهم، إلى الحد الذي جعل امرأ القيس يقفز على هودج عنيزة حتى كاد الهودج أن يميل بهما، وكيف تذكر عنترة عبلة في موقف كانت السيوف تقطر من دمه، فود لو يقبل السيوف لأنها حين لمعت ذكرته بثغر عبلة.

ومن أمثلة التناص الخفي أيضاً قوله على لسان الحسين رضي الله عنه في قصيدة (شهيد الطف)[207]:

أنا الغريب وقد عز المعين هنا أنا الحسين بجدي الرسلُ قد خُتموا

ففي الشطر الثاني تناص خفي مع قول الفرزدق في مدح علي زين العابدين رضي الله عنه[208]:

هذا ابن فاطمةٍ إن كنتَ جاهله بجده أنبياء الله قد خُتموا

وقد جاء التناص متناسباً مع جو القصيدة وموضوعها، فقد قيلت الأولى في علي زين العابدين بن الحسين، وقيلت قصيدة المدني في الحسين رضي الله عنهم، وإن كانت الأولى مدحاً والثانية رثاء، إلا أن موضوعهما واحد وهو بيان منزلة آل البيت ومكانتهم في نفوس المسلمين.

خاتمة

وهكذا تجولنا في ديوان الشاعر أحمد أمين المدني، وتتبعنا أمثلة من التناص في شعره. ورأينا أن التناص الديني لم يأت إلا في موضعين فقط، وكان من النوع الخفي، أما التناص الأدبي فقد جاء بنوعيه الجلي والخفي ولكن أمثلته قليلة وكلها في شعر المرحلة الأولى التي نشرت بعد وفاته بعنوان (قصائد ضائعة).

التناص في شعر حمد بن خليفة أبو شهاب

مقدمة

يعد الشاعر حمد بن خليفة أبو شهاب (1936م- 2002م) من الشعراء المتمكنين من ناصية اللغة. وقد استطاع بجهده الذاتي أن يكوِّن له رصيداً معرفياً غزيراً باطلاعه على كتب التراث في الدين واللغة والتاريخ، مما أسهم في إغناء تجربته الشعرية «فجاءت ألفاظه جزلة واضحة ومعانيه رفيعة راقية، ولغته سليمة سلسة»[209]. وقد انعكست ثقافته الدينية والأدبية تلك على شعره، فجاء شعره مليئاً بالإشارات والإحالات إلى نصوص دينية وأدبية متفرقة، تنتظم كل العصور الأدبية بدءاً بالعصر الجاهلي وانتهاء بالعصر الحديث.

وسنحاول في السطور الآتية تتبع نماذج من التناص الديني والأدبي في شعر حمد أبو شهاب، لنرى كيف كان متشبعاً من التراث حتى سال على أسلة قلمه، وفلتات شعره.

التناص الديني:

يتمثل التناص الديني في شعر أبو شهاب في تلك الاقتباسات والتضمينات من القرآن الكريم والحديث الشريف. ومن هذا التناص ما جاء مباشراً جلياً، ومنه ما جاء خفياً غير مباشر.وقد جاء التناص الديني عموماً في شعر أبو شهاب قليلاً مقارنة بالتناص الأدبي، وسنعرض أمثلة له فيما يأتي.

التناص مع القرآن الكريم

جاء التناص مع القرآن الكريم في شعر أبو شهاب خفياً غير مباشر، وذلك من خلال استخدام ألفاظ ذات مدلولات قرآنية، مستخدماً إياها في سياق آخر غير الذي جاءت له في القرآن الكريم، فمن ذلك مثلاً قول الشاعر من قصيدة بعنوان (ربيع العمر)[210]:

فيا عجبا لأمر الحسن إني لمأخوذ به أخذا وبيلا

فقوله (أخذاً وبيلاً) تناص مع لفظ قرآني، هو قول الله تعالى: (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا) (المزمل- 16)، وقد آثر الشاعر هذا اللفظ القرآني القوي ليبين مقدار سطوة حسن المحبوب عليه، حتى ليأخذه أخذاً شبيهاً بأخذ الله تعالى لفرعون؛ حيث أغرقه الله في اليم، وكذلك الشاعر غرق في يم الحب.

ومن التناص مع القرآن الكريم أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (إلى القمة الإسلامية)[211]:

وفي القصاص حياة فاغتدوا شعلاً تهدي وتحرق من بالغدر يرمينا

ففي الشطر الأول تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَلَكُم فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة، 179). وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة وموضوعها، فالشاعر يخاطب مؤتمر القمة الإسلامية ويطالبه بإعلان الجهاد ضد المغتصبين الصهاينة:

لا حل أعرف غير الحرب نضرمها فالحرب عن لجنة التوفيق تغنينا

ثم يأتي البيت موضع الشاهد ليقدم الشاعر الدليل من القرآن الكريم على أن العرب حين يعلنون الحرب على المغتصبين الصهاينة فإنهم لا يعتدون وإنما هم ينتصفون لأنفسهم، ويستردون حقهم، ويقتصون من البغاة جزاء ما اقترفته أيديهم من قتل للأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال. فكما أن تنفيذ القصاص في القاتل يعد عدلاً، فكذلك إعلان الحرب على المجرمين الصهاينة إنما هو قصاص وعدل. والشاعر يطالب قادة العرب أن يكونوا (شُعُلاً) تهدي قومها، وتحرق من تسول له نفسه المساس بكرامة الأمة ومقدساتها.

ومن التناص القرآني أيضاً قول الشاعر في مطلع قصيدة بعنوان (العبور)[212]:

ربيعك ريحانٌ وورْدٌ ونرجسُ ووجهك فجرٌ صبحه يتنفسُ

ففي قوله (صبحه يتنفس) تناص خفي مع قول الله تعالى:(والصبح إذا تنفس) (التكوير- 18). وقد ناسبت لفظة «يتنفس» ألفاظ الريحان والورد والنرجس، فأشاعت رائحة ذكية في البيت، وجاءت صفة (الصبح الذي يتنفس) مناسبة للوجه الصبوح الذي تضوع منه أنفاس عطرة.

ومن التناص القرآني أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (أثر النكسة)[213]:

تحد من التمادي في ظلالٍ وتسحق كل أفاكٍ أثيم

ففي الشطر الثاني تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) (الجاثية، 7).

والبيت من قصيدة يتحدث فيها الشاعر عن نكسة سنة 1967م ويرى أن سبب مآسي العرب أنهم تركوا الجهاد، وأن الحل الوحيد لاسترداد عزة الأمة وكرامتها هو في الحرب:

ولا حلٌ سوى حربٌ عوانٌ مسعرةٌ كنيران الجحيمِ

لأن هذه الحرب هي التي ستحد من تمادي العدو، وتسحق كل أفاك أثيم. واستدعاء الآية الكريمة مناسب للسياق، لأنها تنذر كل أفاك أثيم بالويل والثبور. فكأن الشاعر يهدد هؤلاء المعتدين بأن العرب إذا اتخذوا قرار الحرب، فالويل لهم عند ذلك.

التناص مع الحديث الشريف

جاء التناص مع الحديث الشريف أيضاً من النوع الخفي (غير المباشر). فمن ذلك قول الشاعر

في قصيدة موجهة لصديقه معالي أحمد بن خليفة السويدي[214]:

كل ابن آدم خطاءٌ وخيرهمُ التائبون ورب العرش توابُ

ففيه تناص خفي مع الحديث الشريف: (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[215]: والتناص هنا مناسب لموضوع القصيدة وهو الاعتذار عن هفوة بدرت منه في حق صديقه، فسارع بالاعتذار إليه متوسلاً بالحديث الشريف الذي يؤكد أن الخطيئة ملازمة للبشر، ولكن خيرهم الذي يبادر بالتوبة عن خطيئته والاعتذار عن خطأه، وهكذا فعل أبو شهاب فسارع بالاعتذار قائلاً:

إن كان ساءك منا هفوة بدرت فإن صدرك يا ذا الحلم مرحابُ
فلا تؤاخذ محباً ما تعمد في لفظ يسيء وللزلات أسبابُ

وقد قبل صديقه عذره ورد عليه قائلاً:

فلو جرى ما جرى من هفوة عبرت فاعلم يقيناً بأن الود غلابُ

ومن التناص مع الحديث الشريف أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (إلى القمة الإسلامية)[216]:

فنحن جسمٌ إذا عضو شكا ألماً له سهرنا ولبينا منادينا

ففيه تناص خفي مع قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[217].

والتناص مناسب لجو القصيدة وموضوعها الذي يخاطب فيه الشاعر مؤتمر القمة الإسلامية مطالباً لهم بأن يتخذوا قرارات عملية تجاه قضية فلسطين بدلاً من الخطابات والتنديد. ثم يخاطب الشاعر فلسطين قائلاً:

إيه فلسطينُ كم في النفس من كمدٍ وآلمُ الجرح ما أدمته أيدينا
لا البعد يشغلنا حتى ولو بعدت ديارنا لا ولا الأهوال تثنينا
فنحن جسمٌ إذا عضو شكا ألماً له سهرنا ولبينا منادينا

فجاء التناص مع الحديث الشريف منسجماً مع معنى الأبيات التي يؤكد فيها الشاعر تعاطفه وتعاطف كل أبناء الإمارات مع فلسطين، لأن فلسطين والإمارات وبقية الدول العربية أعضاء في جسم واحد، فإذا تألم عضو سهرت له بقية الأعضاء وهبت لنجدته.

وقد جاء التناص الخفي أيضاً من خلال استخدام ألفاظ اشتهر استخدامها في الحديث الشريف، مثل لفظة (الغثاء) في قوله في قصيدة بعنوان (جهاد)[218]:

ونحن كما كنا غثاءً مبعثراً تهرأ من طول العنا وتعفنا

ففي البيت تناص خفي مع حديث ثوبان المشهور[219]:

(توشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت).

والبيت من قصيدة يتحدث فيها الشاعر عن الجهاد ولكن بأسلوب ينضح بالسخرية المرة:

جهادٌ ولكن ليس بالسيف والقنا فذلك أمرٌ مفزعٌ يحمل الفنا
جهادٌ ولكن باجتماعات قادة لغير عداها لن تذل وتجبنا
جهادٌ ولكن من خطيبٍ مفوَّهٍ يعللنا بالنصر حيناً وبالمنى

إلى أن يقول:

جهادٌ أضاع العرض والأرض والدما وخلف داءً في الجوانح مزمنا

ويصف كيف تجرأ العدو على الأمة نتيجة هذا الخنوع فيها، ثم يأتي البيت موضع الشاهد ليشير الشاعر من خلاله إلى أن الأمة لا تفعل ذلك عن قلة في العدد، بل للغثائية التي وصفها بها الحديث الشريف، حيث ينزع الله المهابة من قلوب أعدائها لها، ويقذف في قلبها الوهن، وهو حب الدنيا وكراهية الموت. وكأن الشاعر هنا يدعو الأمة إلى أن تتخلى عن هذه الغثائية وتزهد في الدنيا وتقبل على الموت لتوهب لها الحياة.

التناص الأدبي

يتمثل التناص الأدبي في شعر أبو شهاب في مظهرين: جلي وخفي، وسنعرض فيما يأتي لنماذج من كل نوع على سبيل المثال لا الإحاطة.

التناص الجلي

يظهر التناص الجلي في تمثل الشاعر وتضمينه لأبيات أو أشطار من شعر شعراء سابقين، وقد أوردها بين علامتي اقتباس للتدليل على أنها ليست من شعره. ومن أمثلته قوله في قصيدة موجهة إلى سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم[220]:

«حلف الزمان ليأتين بمثله» حنثت يمين الدهر مثلك لن يُرى

فالشطر الأول مأخوذ من بيت للشاعر عمارة اليمني في مدح الوزير شاور بن مجير السعدي[221]:

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة وموضوعها وهو مدح سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، ولي عهد دبي آنذاك، وبيان ما تفرد به من ثاقب الرؤية وبعد النظر، وحسن القيادة، والجمع بين السيف والقلم، ولذلك فهو واحد عصره، وفريد زمانه، ولن يستطيع الزمان أن يأتي بمثله:

أنت الفريد قيادةً ومهابةً وفطانةً منها ترى ما لا نرى

ومن أمثلة التناص الجلي أيضاً تضمينه لشطر بيت للمتنبي، في قصيدة بعنوان (لبيك) يخاطب فيها الشيخ حمزة أبو النصر، مطلعها[222]:

لبيك يا منقذ الفصحى من اللدد ومنصف الشعر من دعوى بلا سندِ نرى

وهي مليئة بالإشارات إلى الشعراء منذ الجاهلية حتى العصر الحديث، وموطن الشاهد فيها قوله[223]:

بل أين رب القوافي من تنبؤه «بقلبه ما ترى عيناه بعد غد»
وشاغل الناس والدنيا ومالؤها وناقش الحكم الغراء في الصلد

ففي الشطر الثاني من البيت الأول، تناص جلي مع الشطر الثاني من قول المتنبي[224]:

ماضي الجَنانِ يُريهِ الحَزمُ قَبلَ غَدٍ بِقَلبِهِ ما تَرى عَيناهُ بَعدَ غَدِ

من قصيدته التي مطلعها:

ما الشَوقُ مُقتَنِعاً مِنّي بِذا الكَمَدِ حَتّى أَكونَ بِلا قَلبٍ وَلا كَبِدِ

وقد جاء التناص مناسباً لوصف المتنبي، فكأن الشاعر يرى أن أبا الطيب لقب بالمتنبي لأنه كان يتنبأ بما سيحدث في الغد، وكأنه يرى بقلبه قبل غد ما ستراه عيناه بعد غد. وقد أحسن الشاعر استخدام التناص الذي قاله المتنبي في ابن يحيى يصف حزمه وبعد نظره حتى كأنه يرى ما سيحدث في الغد، جعله الشاعر أبو شهاب صفة للمتنبي نفسه. والشطر الأول من البيت الثاني فيه تناص خفي مع قول ابن رشيق في العمدة عن المتنبي: « ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس»، وقد جاء التناص مناسباً للسياق، وكأن الشاعر يرى أن ملكة (التنبؤ) التي امتاز بها المتنبي هي السبب ليوصف بأنه «مالئ الدنيا وشاغل الناس».

التناص الخفي

أما التناص الخفي فهو كثير، وهو يدل على عمق ثقافة الشاعر التراثية وتشبعه بأشعار السابقين وتمثله لها، حتى ظهرت في ثنايا أشعاره. ونسوق هنا بعضاً من الأمثلة للتدليل. فمن ذلك قوله في

قصيدة بعنوان (من وحي العلم)[225]:

فلله در العلم كيف ارتقت به عقول أناس كن بالأمس بلها

فالتركيب اللغوي في قوله: «كن بالأمس بلها»، يتناص مع قول البحتري في وصف الربيع[226]:

وَقَد نَبَّهَ النَوروزُ في غَلَسِ الدُجى أَوائِلَ وَردٍ كُنَّ بِالأَمسِ نُوَّما

فكأن أبو شهاب يرى أن العقول تزدهر بالعلم وتتفتح به، كما تتفتح الأزهار والورود بحلول الربيع. فالورود قبل أن يحل بها الربيع كن نائمات، وكذلك العقول قبل أن يشحذها العلم ويصقلها، وينبه مراكز العبقرية فيها، كن بلها لا خير فيهن.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (كنوز الحب)[227]:

ليت الليالي التي أبليت جدتها بحثاً عن الحق أقفوه وإن حجبا

ففي الشطر الأول تناص خفي مع قول ابن زريق البغدادي[228]:

عَسى اللَيالي الَّتي أَضنَت بِفُرقَتَنا جِسمي سَتَجمَعُني يَوماً وَتَجمَعُهُ

على أن الشاعر أبو شهاب كان أقنط من ابن زريق، إذ استخدم ابن زريق (عسى) وهي للترجي، وهي لما يُرجى وقوعه، أما أبو شهاب فاستخدم (ليت) وهي للتمني، والتمني يكون لما لا يرجى وقوعه. والشاعر أبو شهاب يتحدث عن كتب التاريخ وما فيها من التزييف للحقائق، ويتمنى أن:

تذاكر الناس عن جهدٍ ومعرفةٍ وتسترد من التاريخ ما سلبا

ويطالب بتمحيص أقوال المؤرخين:

لا بد لا بد من تمحيص ما نقلوا وما رووا منه شعراً كان أم أدبا

ولعلمه بكثرة هذه الأغاليط التاريخية، يرى أن تمحيصها ضرب من التمني وليس الترجي.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (أثر النكسة)[229]:

أرى النكسات لا تنفك تترى ونحن ضحية الفهم السقيم

ففي الشطر الثاني تناص غير مباشر مع قول المتنبي[230]:

وَكَم مِن عائِبٍ قَولا صَحيحاً وَآفَتُهُ مِنَ الفَهمِ السَقيمِ

والبيت من قصيدة يتحدث فيها الشاعر عن نكسة سنة 1967م ويرى أن سببها هو (الفهم السقيم) لطبيعة المعركة مع العدو الصهيوني، ويرى الشاعر أن الحرب هي السبيل الوحيد لاسترداد كرامة الأمة ومقدساتها، كما أشرنا من قبل. ولهذا ناسب استدعاء بيت المتنبي، وكأن

الشاعر يفترض أن هناك من سيعيب قوله ودعوته للحرب، فيرد بأن قوله صحيح ولكن الفهم السقيم هو سبب هذا اللوم.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (إن العروبة بالإسلام عزتها)[231]:

أتوا إلى القدس باسم الله فانتصروا ولو أتوا باسم قحطان لما غلبوا

ففيه تناص خفي مع قول أبي تمام[232]:

أَجَبتَهُ مُعلناً بالسَيف مُنصَلِتاً وَلَو أَجَبتَ بِغَيرِ السَيف لَم تُجِب

فالتركيب في قوله: «أتوا ... ولو أتوا» يتناص مع قول أبي تمام: «أجبته ... ولو أجبت».

وفي استدعاء بيت أبي تمام وهو من قصيدته الشهيرة في وصف فتح عمورية، ما يدل على أن الشاعر أبو شهاب يرى أن عزة الأمة وانتصارها لا يتحقق إلا بالسيف. فكما انتصر العرب زمن المعتصم في عمورية بالسيف، سينتصر عرب اليوم بالسيف، شريطة أن يكون جهادهم باسم الله لا باسم قحطان، وهو كناية عن العصبية القومية.

ومن التناص الخفي أيضاً وجود بعض التشبيهات المنتزعة من بعض قصائد التراث، كقوله في قصيدة بعنوان (الجمال اليعربي)[233]:

وأخلاق ينمقها حياءٌ كنبت الروض باكره الندي

ففي الشطر الثاني تناص خفي مع قول نجم الدين بن مهذب الدين[234]:

كالروض باكره الندى فلعرفها يا ابن النبي على الندىّ مطاف

وقد جاء التناص متناسباً مع سياق القصيدة، حيث يصف الشاعر أبو شهاب حياء محبوبته فيشبهها بالروض الذي أصابه الندى، وكأنه يشبه حبات العرق التي تتجمع على جبينها من الحياء بحبات الندى التي تتجمع على الزهر عند الصباح الباكر.

ومنه قوله في قصيدة بعنوان (عيناك)[235]:

أقول لها والشعر رهن عيونها إذا أمرته انفض عن لؤلؤ رطبِ

ففيه تناص خفي مع قول جميل صدقي الزهاوي[236]:

ما أحسن الشعر مبثوثاً فرائده كأنّه لؤلؤ رطب ومرجانُ

وقد جاء التناص مناسباً لسياق القصيدة حيث يشبه الشاعر أبو شهاب شعره الذي يكتبه وحياً من عينيها باللؤلؤ الرطب، وهو تشبيه مستوحى من بيت الزهاوي، الذي يشبه فرائد الشعر باللؤلؤ والمرجان.

وقد يأتي التناص من خلال بعض التراكيب التراثية، كما في قوله في قصيدة بعنوان (تتجاهلين)[237]:

إن كنت جاهلة بمنهاج الهوى يممت منهاج الكريم العاذرِ

ففيه تناص خفي مع قول عنترة[238]:

هَلا سَألت الخَيلَ يا ابنَةَ مالكٍ إن كُنت جاهلَةً بِما لَم تَعلَمي

وكأن الشاعر يشبه نفسه بعنترة في فروسيته، ولذلك يتعامل مع محبوبته (بمنهاج الكريم العاذر).

ومنه قوله أيضاً في قصيدة بعنوان (حيي وسلمي)[239]:

لمن عينه ريم ومن جيده رشا ومن خده كالبارق المتبسم

ففيه تناص خفي مع قول عنترة:

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والتناص –في رأيي– غير موفق، فالريم لا تشبه به الحسان في العيون بل تشبه بعيون المها وهي البقر الوحشية، وكذلك الخد لا يشبه بالبارق، بل الثغر لوجود الأسنان فيه التي تلمع كالبرق.

ومنه أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (أثر النكسة)[240]:

فواهاً للعروبة كيف عاثت بعزتها يد الوغد الزنيم

ففيه تناص خفي مع قول فهد العسكر:

ونميمة النذل الوضي عٍ وفريةِ الوغد الزنيم

فكأن الشاعر أراد أن يصف الأعداء بأبشع الصفات، فاستدعى بيت العسكر، لينزه قلمه عن تلك الصفات ويحيل عليها باستدعائه البيت الذي يتضمنها.

ومنه قوله في قصيدة بعنوان: (يئس الصغار من الكبار)[241]:

أهوى الجمال فإن تعذر وصله خلدته بروائع الأشعارِ

ففيه تناص خفي مع قول أبي تمام[242]:

سُوَرُ القُرانِ الغُرُ فيكُم أُنزِلَت وَلَكُم تُصاغُ مَحاسِنُ الأَشعارِ

على أن الشاعر أقر أنه يخلد الجمال بشعره فقط إذا لم يستطع أن يناله، وكان حقه أن يخلده في كل الأحوال؛ كما أن قوله (خلدته بروائع الأشعار) يشي بشيء من الغرور بشعره، وأنه يخلد من

يذكره. أما أبو تمام فقد كان أكثر تواضعاً حين جعل محاسن الأشعار أقل ما يجب على الشعراء تجاه بني هاشم الذين خلد الله ذكرهم في القرآن، فهو يفعل ذلك لأن هذا ما يجب بحقهم، لا تباهياً عليهم وإدلالاً بأن شعره سيخلد ذكرهم.

وقد يأتي التناص من خلال ما يمكن أن نسميه «المعارضة الخفية»، بحيث يصوغ الشاعر قصيدته على وزن وروي قصيدة مشهورة، دون أن يتقصد ذلك أو يتعمده، وذلك لاختلاف الغرض والأفكار بين القصيدتين، ومع ذلك نجد في ألفاظ القصيدة أو بعض التراكيب فيها ما يشي بأن تلك القصيدة القديمة كانت حاضرة في (لا وعي) الشاعر وهو يصوغ قصيدته. فمن ذلك مثلاً قوله في قصيدة في (رثاء جمال عبد الناصر)[243]:

المرء يسعى والمنية أسرعُ والدهر بينهما يسر ويفجعُ

ففيها تناص خفي مع قصيدة المتنبي [244]:

الحُزنُ يُقلقُ وَالتَجَمُّلُ يَردَعُ وَالدَمعُ بَينَهُما عَصِيٌّ طَيِّعُ

والمتنبي يرثي في القصيدة أبا شجاع فاتكاً، فناسب استدعاء بيته في قصيدة أبو شهاب لاتحاد الغرض بينهما وهو الرثاء. على أن المتنبي كان يعبر عن تردده بين الحزن وبين محاولة التصبر، وكيف أن دمعه كان تارة يطيع الحزن فينهمر وتارة يعصيه فينحبس. أما أبو شهاب فقد اتخذ من الموت وسيلة للتفكر في الحياة والموت، وكيف أن المرء يسعى ولا يدري أن الموت متربص به، وأنه أسرع في الوصول إليه من وصول المرء إلى ما يطلبه. وقصيدة أبو شهاب إجمالاً تتحدث عن مصيبة العرب في فقد زعيمهم، أكثر مما تصف لوعة الحزن على فراقه، فناسبها هذا المطلع.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (النكسة)[245]:

إني ليحزنني تخاذل أمتي عن حقها ويزيد في إرهاقي

ففيه تناص خفي مع قول حافظ إبراهيم [246]:

إني لتطربني الخلال كريمةً طرب الغريب بأوبة وتلاقي

وذلك في قصيدته التي مطلعها:

كَم ذا يُكابِدُ عاشِقٌ وَيُلاقي في حُبِّ مِصرَ كَثيرَةَ العُشّاقِ

والشاعر أبو شهاب يشكو في مطلع القصيدة من تفشي الكذب والنفاق في قادة العرب، حيث يخدعون شعوبهم بالخطب، ويحولون النصر إلى هزائم، إلى أن يقول قبل البيت موضع الشاهد:

أضحى النفاق أساس مجتمعاتنا لم يبق مجتمعٌ بغير نفاقِ

فناسب استدعاء بيت حافظ الذي يمتدح الأخلاق الكريمة، في أبيات أبو شهاب التي تشكو من

سوء الأخلاق وتحمل عليها.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (لقاء ووداع)[247]:

في شارع البطل التقينا صدفة من غير توطئة ولا ميعادِ

ففيه تناص خفي مع قول نزار قباني[248]:

في مدخل الحمراء كان لقاؤنا ما أطيب اللقيا بلا ميعاد

والشاعر أبو شهاب يصف لقاء قصيراً جمعه مصادفةً بإحدى الفاتنات في (شارع البطل) في القاهرة. وإذا كان نزار قد رأى في وجه تلك الفاتنة الإسبانية وجهاً ذكره بمدينته دمشق:

وجه دمشقيٌ رأيت خلاله أجفان بلقيس وجيد سعادِ

فإن الشاعر أبو شهاب وجد في تلك الفاتنة بلاده كلها:

حيَّت بخير تحيةٍ فأجبتها أهلاً وحيَّ الله بنت بلادي

وإذا كان نزار قد عانق حبيبته عند وداعها:

عانقت فيها عندما ودعتها رجلاً يسمى طارق بن زيادِ

فإن أبو شهاب ودعها صامتاً:

ودعتها وتركت قلبي عندها ورجعت أحمل لوعتي وسُهادي

خاتمة

وهكذا تنقلنا مع الشاعر حمد بن خليفة أبو شهاب في ديوانه، وتتبعنا شواهد من التناص الديني والأدبي في شعره، ورأينا أن التناص الأدبي عنده أكثر من الديني، وأن الديني قد جاء من النوع الخفي، بينما جاء التناص الأدبي عنده بنوعيه الجلي والخفي. وفي كل النماذج جاء التناص مناسباً للسياق متسقاً مع بناء القصيدة.

التناص في شعر
شهاب محمد عبده غانم

مقدمة

الدكتور شهاب محمد عبده غانم (1941م) شاعر غزير الإنتاج، فقد أصدر في مسيرته الشعرية حتى الآن عشرة دواوين، أولها (بين شط وآخر- 1982م) وآخرها (شموع في ليالي الخريف- 2009م). ثم أصدرت له هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (الأعمال الشعرية الكاملة2009-م)، ومؤخراً أصدرت له مجلة (دبي الثقافية) مختارات من شعره بعنوان: (مائة قصيدة وقصيدة- 2011م)، وهي التي اعتمدناها في هذه الدراسة، لأنها مختارات اختارها الشاعر نفسه لأفضل قصائده، الأقرب إلى نفسه، كما وصفها في مقدمته، كذلك فهي تحوي بعض القصائد التي كتبت بعد صدور الأعمال الكاملة.

وقد عرف الدكتور شهاب كمترجم للشعر، فقد أصدر تسع مجموعات من الشعر العربي المترجم إلى الإنكليزية، وتسع مجموعات مترجمة عن اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربيةلشعراء من مختلف دول العالم، كما أن له العديد من الدراسات النقدية المنشورة.

والدكتور شهاب يكتب الشعر بنوعيه العمودي (أو البيتي- كما يسميه) والتفعيلي، وهو متميز في النوعين. وشعره يميل إلى تغليب الفكرة على العاطفة، خاصة في قصائده التفعيلية، ويبدو أن ذلك نتيجة لتأثره بالشعر العالمي الذي يترجمه.

ورغم أن ثقافة الدكتور شهاب علمية في أغلبها، فهو مهندس حاصل على البكالوريوس في الهندسة والدكتوراه في الاقتصاد من بريطانيا، إلا أن ثقافته التراثية عميقة. فقد نشأ في بيت علم وأدب، فأبوه الشاعر الكبير محمد عبده غانم، وخاله الشاعر المعروف علي محمد لقمان. وتظهر ثقافته التراثية واضحة في شعره، وهو ما سنتناوله في هذه الدراسة من خلال دراسة التناص الديني والأدبي في شعره.

التناص الديني

يظهر التناص الديني في شعر شهاب غانم من خلال تضمينه لنصوص دينية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

التناص مع القرآن الكريم

جاء التناص مع القرآن الكريم في شعر شهاب غانم في معظمه من النوع الخفي، باستثناء حالتين: الأولى هي قصيدة بعنوان: (البداية والنهاية)[249]، وهي أولى قصائد المجموعة وقد صدَّرها الشاعر بآيات من القرآن الكريم، بعضها يتناص مع بعض أبيات القصيدة، ومطلعها:

كانت الأرض والسموات رتقا فأراد الرحمن للجمع فتقا

فمطلع القصيدة يتناص مع الآية الأولى التي صدَّر بها الشاعر وهي قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء- 30). والتناص هنا جلي (مباشر)، ولا يراد منه إلا تقرير حقيقة علمية، وإثبات معجزة القرآن الكريم التي تحدثت عن أمور أثبتها العلم الحديث. والشاعر يتخذ من تلك الحقائق عن بداية الكون التي أثبتها العلم الحديث دليلاً على البعث والنشور والجزاء الذي ذكره الله في القرآن الكريم، فكما صدقت تلك الآيات عن بدء الكون، فإن الآيات التي تنذر بالبعث والنشور ستصدق أيضاً:

ثم يأتي يوم القيامة حتماً ويكون الحساب عدلاً وحقا

والحالة الثانية التي جاء فيها التناص من النوع الجلي أيضاً هي قول الشاعر في قصيدة بعنوان (شياطين وشياطين)[250]:

والعنصرية قد أرسى قواعدها إبليس «ناري أنا خير من الطين»

ففي الشطر الثاني تناص جلي مع قول الله تعالى على لسان إبليس: (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) (ص، 76). وقد وضع الشاعر النص بين قوسين للدلالة على أنه مقتبس من القرآن الكريم، وإن كان قد حوَّر في العبارة ليستقيم له الوزن. وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة التي يتحدث فيها الشاعر عن شياطين الجن والإنس. وبعد أن يعدد الشاعر جرائم إبليس وشياطينه يختم القصيدة بقوله:

لكنهم دون صهيون بما اقترفوا من الجرائم في الشعب الفلسطيني

أما التناص الخفي، فأمثلته كثيرة، والتناص الديني في عمومه أكثر من التناص الأدبي في شعر شهاب غانم، مما يدل على عمق ثقافته الدينية.

فمن أمثلة التناص الخفي قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (الحل)[251]:

واجنحوا للسلام مهما تمادى في التعدي فكهذا المدنية

وفيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الأنفال، 61). والشاعر في القصيدة، لا يدعو إلى السلام مع العدو، ولكنه بنى قصيدته على أسلوب التهكم والسخرية، فهو منذ المطلع يخاطب قومه قائلاً:

اطلبوه من قمة (البندقية) ودعونا من فوهة البندقية

وذكر الشاعر أنه كتب القصيدة «ليلة أعلن الكيان الصهيوني القدس عاصمة أبدية لإسرائيل». فثارت ثائرته، وخاطب قومه مبكتاً لائماً لهم للجوئهم إلى غير ذات الشوكة.

وجاء التناص مع الآية الكريمة موفقاً جداً، فالآية الكريمة تحث على الجنوح للسلم إن جنح العدو لها، أما الشاعر فإنه يأمر قومه –ساخراً– أن يجنحوا هم للسلم مهما تمادى العدو في طغيانه. فكأن الشاعر يشير إلى أن قومه قد عكسوا الآية الكريمة، فوقعوا في الذل والمهانة، ولو فهموا قرآنهم حق الفهم لما صاروا إلى ما صاروا إليه.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (الصندوق)[252]:

هذا الصندوق الوسواس الخناسْ

يبتلع رؤوس جميع الناسْ

وهي قصيدة طريفة يصف فيها الشاعر (التلفاز) ويشبهه بالشيطان (الوسواس الخناس). وفي هذا تناص خفي مع قول الله تعالى في سورة الناس: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾). فكأن الشاعر يستعيذ بالله من شر هذا الصندوق الذي يوسوس للناس، ويخنس إذا استعاذوا بالله منه. وجاء التناص موفقاً لأن التلفاز يشبه الشيطان في وسوسته، والوسوسة هي الصوت الخفي، فكأن التلفاز يحث الإنسان على المعصية بطريقة خفية غير ظاهرة، فشابه بذلك الشيطان الذي يخنس إذا استعيذ منه بالله.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (تجليات في وادٍ غير ذي زرع)[253]:

أتيناك من كل فج عميقْ

نلبي النداءْ.

وفيها تناص مع قول الله تعالى مخاطباً إبراهيم الخليل عليه السلام: (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى * كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (الحج، 27). والتناص جاء مناسباً لموضوع القصيدة، وهو الحج، ومناسباً لألفاظها ومفرداتها. وفي استدعاء الشاعر لهذه الآية تأكيد على أنه قدم من مكان بعيد، فقد ربط الله تعالى في الآية بين الضوامر، وهي الإبل الهزيلة من كثرة السفر، وبين الفج العميق، وهو الطريق البعيد.

وهي من قصيدة كتبها الشاعر بعد أدائه مناسك الحج، كما يبدو، ومطلعها يخاطب المولى عز وجل:

أتينا إليك

نردد لبيك .. لبيك ... لبيك

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (جموح)[254]:

كأنك من صافنات الخيولْ.

وفيه تناص خفي مع قول الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) (ص، 31)[255].والتناص مناسب لجو القصيدة التي يشبه فيها الشاعر حبيبته حين أقبلت تعدو نحوه بالمهرة الأصيلة، وكأنها من الصافنات التي ترفع إحدى يديها ليكون ذلك مناسباً لانتصاب الفتاة. كذلك فإن استدعاء الآية يشير من طرف خفي إلى قصة سليمان عليه السلام مع الخيل التي شغلته عن الصلاة، فكأن الشاعر يريد أن يقول إن هذه الحبيبة قد شغلته عن كل ما حوله.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (وا زايداه) التي رثى بها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله [256]:

ومن يهاجرْ على حقٍ يجدْ أبداً مُراغماً في بلاد الله ينتظرُ

ففي البيت تناص خفي مع قول الله تعالى:

(وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (النساء، 100). وفي القصيدة يشير الشاعر إلى المهاجرين الذين قدموا إلى الإمارات من بلدانهم التي لم يجدوا فيها مجالاً للعيش الكريم، فتلقاهم الشيخ زايد رحمه الله بالعطف والحنو ومنحهم جنسية الدولة فأصبحوا من رعاياها ينعمون بخيراتها، ويعيشون في عزة وكرامة. وجاء التناص مع الآية الكريمة مناسباً لجو القصيدة، حيث تشير الآية إلى أن من يترك وطنه مهاجراً في سبيل الله فإنه يجد في الأرض مراغماً كثيراً، أي «مهاجراً وطريقاً يراغم بسلوكه قومه، أي يفارقهم على رغم أنوفهم» [257]:

ومن التناص الخفي في القصيدة نفسها قول الشاعر [258]:

قد اعتصمنا بحبل الله فاجتمعت ريح لنا قوة نادت بها السورُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران، 103).

والتناص مناسب لجو القصيدة لأن الشاعر يذكر اتحاد دولة الإمارات، وأنه استجابة لأمر الله تعالى الذي أمرنا بالاعتصام بحبله. وفيه أيضاً تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال، 46). فذكر أن (ريحهم قد اجتمعت)، لأنهم لم يتفرقوا كما حذرتهم الآية. وجاء التناص مناسباً لموضوع الأبيات التي تشيد باتحاد الإمارات، وتجمعها، فلم تفشل ولم تذهب ريحها.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (بأبي وأمي أنت يا رسول الله) التي كتبها «من وحي الرسوم الكرتونية الدنمركية»[259]:

هو للعالمين رحمةُ رحمنٍ وللمؤمنين ظلٌ ظليلُ

ففي الشطر الأول تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء، 107).
وفي الشطر الثاني تناص مع قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة، 128).

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة التي تتحدث عن عظمة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وتبين أنه رحمة للعالمين، وأنه حريص على المؤمنين رؤوف بهم.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (هيروشيما صهيون)[260]:

ففي الحجارة ما تجري المياه بها بين الشقوق وما قد تفجر النُهُرُ
وفي الحجارة ما تنهار هابطةً من خشية الله مولاها فتنكسرُ

وفي البيتين تناص خفي مع قول الله تعالى عن بني إسرائيل: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة، 74). وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة التي يتحدث فيها الشاعر عن قسوة قلوب الصهاينة:

قست فما مثلها الجلمود والحجرُ تلك القلوب فما أصحابها بشرُ

ثم يستدعي الآية الكريمة التي تتحدث عن قسوة قلوب بني إسرائيل فهي كالحجارة بل هي أشد.
والقصيدة كتبها الشاعر بمناسبة الحرب التي شنتها إسرائيل على لبنان في صيف سنة 2006م:

واليوم «هروشيما صهيون» نشهدها في كل لبنان لا تبقي ولا تذرُ

ويبدو استدعاء الآية الكريمة مناسباً للسياق، لأن الله تعالى يختم الآية بقوله: (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)، وكأن الشاعر بذلك يؤكد أن الله تعالى لن يترك الصهاينة دون عقاب، وأنه سبحانه يمهل ولا يهمل.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (هذي الحياة)[261]:

فاختر لنفسك دربا ينتهي ورعاً في جنةٍ ما لها عرضٌ ولا طولُ

ففي الشطر الثاني تناص خفي مع قول الله تعالى:
(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران، 133).
قال الزمخشري في تفسير الآية: «المراد وصفها بالسعة والبسطة، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه»[262]:

والشاعر يقصد أن الجنة ليس لها (عرض ولا طول محدد)، وقد حذف الصفة على عادة العرب في ذلك إذا كانت معروفة مشهورة. ومنه قوله تعالى: (وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)

(الكهف، 79)، أي (كل سفينة صالحة)، فحذف الصفة لأنها تفهم من السياق، ومثله قول المرقش الأكبر:

وربَّ أسيلة الخدَّين بكْر مُنَعَّمَة لها فَرْعٌ وجيدُ

فحذف صفة الفرع والجيد لأنه من المعروف أن العرب تحب الفرع (الشعر) الأسود والجيد (العنق) الطويل.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (ألا بذكر الله)[263]:

ألا بذكرك قلبي يطمئن وهل بغير ذكرك قلب المرء يرتاحُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد، 28). والتناص مناسب لجو القصيدة وموضوعها، وهو يشير إلى أن الشاعر مؤمن بالله تعالى، لأن الآية خصت اطمئنان قلوب المؤمنين بذكر الله. ومن التناص الخفي في القصيدة نفسها قول الشاعر:

يا من خلقت الطباق السبع خذ بيدي فملء دربي شياطينٌ وأشباحُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) (نوح، 15).
وكذلك قوله:

كل النفوس إلى النجدين قد هُديت فالوحي والمصطفى والكون شراحُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد، 10).

وكلها متناسبة مع موضوع القصيدة وهو تعداد نعم الله على عباده، فقد خلق لهم هذا الكون وسخره لهم، وهداهم إلى طريق الحق والخير ليتبعوه، وحذرهم من طريق الشر والفساد ليجتنبوه، إلى آخر تلك النعم التي عددتها القصيدة.

ومن التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (تأملات في اللحظات الأخيرة)[264]:

ولقني إذا حشرجت يوماً وجاءتني التي منها أحيدُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ) (ق، 19).
والتناص مناسب لجو القصيدة وموضوعها وهو رغبة الشاعر أن تنتهي حياته على الإيمان، وتكون آخر الكلمات على لسانه شهادة التوحيد:

أريد على لساني حين أقضي شهادةُ أنك الربُّ الوحيدُ

ثم يسأل الله أن يلقنه الشهادة حين تأتيه سكرة الموت، التي يحيد منها كل إنسان، ولكنها آتية لا ريب فيها.

التناص مع الحديث الشريف

جاءت جميع أمثلة التناص مع الحديث الشريفمن النوع الخفي. فمن ذلك قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (الزمن السريالي)[265]:

كثر الهرجُ
وكثر المرجُ
كأن علامات الساعة
تصفع وجهك يا غافلْ.

والتناص هنا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم معدداً علامات الساعة: (لا تقوم الساعة حتى يظهر دجالون ثلاثون كلهم يزعم أنه رسول الله ويفيض المال فيكثر وتظهر الفتن ويكثر الهرج والمرج، قال: قيل أي الهرج؟ قال: القتل القتل القتل، ثلاثاً)[266]:

والتناص مناسب لموضوع القصيدة الذي يتحدث فيه الشاعر عن اختلاط الحابل بالنابل، وكثرة القتل والإبادة الجماعية، فكان استدعاء الحديث الشريف الذي يصف أشراط الساعة، مناسباً وموفقاً، فكل ما يحدث اليوم على الأرض هو تحقيق لهذا الحديث الشريف.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (يا باذل النفس) التي كتبها «إلى أبطال مخيم جنين ونابلس الذين راحوا يسجلون الملاحم بدمائهم وهو يدافعون عن شرف هذه الأمة»[267]:

والمسلمون غثاءٌ في خنوعهم **قد أفرغوا الدين من أسمى معانيه**

ففيه تناص خفي مع حديث ثوبان المشهور:

(توشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت)[268].

والتناص مناسب لجو القصيدة التي تصف تضحية أبناء فلسطين بدمائهم الزكية بينما بقية المسلمين يراقبون من بعيد وكأن الأمر لا يعنيهم. فيصف الشاعر خنوع المسلمين وغثائيتهم ويردها إلى تخليهم عن تعاليم دينهم.

ومن التناص الخفي مع الأحاديث القدسية قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (مناجاة) مخاطباً المولى عز وجل[269]:

وإن أتيتك خطواً جئت هرولةَ **غمرتني بالسنا الفياض والنورِ**

ففي الشطر الأول تناص خفي مع الحديث القدسي: (عن النبي صلى الله عليه وسلم، يرويه عن ربه، قال: إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا

أتاني مشياً أتيته هرولةً)[270].

والتناص مناسب لجو القصيدة وموضوعها الذي هو مناجاة الشاعر للمولى عز وجل، حيث يعدد نعم الله على عباده، ومنها أنه يتقرب إليهم أكثر كلما تقربوا إليه.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (أنشودة لطيور الانتفاضة)[271]:

بل قل إنهم أسراب طيرٍ
من أبابيلْ.

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى في سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

وتشبيه أطفال الانتفاضة بالطير الأبابيل تشبيه موفق، فهم على ضآلة حجمهم وقلة أسلحتهم، وهي الحجارة، إلا أنهم زلزلوا العدو، وفعلوا فيه فعل الطير الأبابيل بجيش أبرهة الحبشي.

وفي القصيدة أيضاً تناص أدبي مع قول شاعر الأقصى يوسف العظم –رحمه الله[272]:

حجارة القدس نيرانٌ وسجيلُ **وفتية القدس أطيارٌ أبابيلُ**

والقصيدتان كتبتا في نفس العام، ولا ندري أي الشاعرين أسبق، ولعل الأمر من توارد الخواطر.

التناص الأدبي

تجلى التناص الأدبي في شعر شهاب غانم من خلال التناص مع أبيات أو أجزاء منها من التراث الشعري القديم والمعاصر. وقد جاء التناص بنوعيه الجلي والخفي، وإن كانت أمثلة الخفي أكثر. وسنورد أمثلة من كلا النوعين.

التناص الجلي

من أمثلة التناص الجلي قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (المجنون)، التي كتبها « من وحي اعتداء غولدمان على المصلين في المسجد الأقصى»[273]:

يتكسر في صدري النصل على النصل
رحم الله أبا الطيب .. كان تعيساً مثلي
لكن.. ما كان ضعيفاً مثلي.

والتناص هنا مع قول أبي الطيب المتنبي[274]:

رَماني الدَهرُ بِالأَرزاءِ حَتّى **فُؤادي في غِشاءٍ مِن نِبالِ**

فَصِرتُ إذا أَصابَتني سِهامٌ تَكَسَّرَتِ النِصالُ عَلى النِصالِ

وقد عددناه من التناص الجلي، رغم أن الشاعر لم يورد النص كما هو، لأنه أشار إلى المتنبي. والتناص مناسب لجو القصيدة الذي يصور ما تتلقاه الأمة من طعنات العدو حتى أصبح جسم الأمة في غشاء من نصال تتكسر على بعضها. وإن كان المتنبي يتحدث عن الأرزاء والنصال المعنوية، إلا أن الشاعر يتحدث عن النصال المعنوية والحسية.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (يا باذل النفس)[275]:

فأين شوقي دم الأحرار يطلبه يسيل من قبضة دقت تناديه

والتناص هنا مع قول أحمد شوقي[276]:

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدقُ

وقد عددناه من التناص الجلي لأن الشاعر أورد اسم شوقي، وإن لم يورد بيته كاملاً. والتناص مناسب لجو القصيدة التي تمجد التضحية بالدماء في سبيل الوطن والعزة والكرامة والحرية.

ومن التناص الجلي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (خمار)[277]:

ويرجع للأشعار أحلى عيونها: «عيون المها بين الرصافة والجسر»

فالشطر الثاني هو تناص جلي مع قول علي بن الجهم [278]:

عُيونُ المَها بَينَ الرُصافَةِ وَالجِسرِ جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا أَدري

والشاعر في القصيدة يصف فتاة تلبس الخمار، يقول في مطلعها:

تنيرين في هذا الخمار كما البدرِ ومن دون «مكياج» ولا رشة العطرِ

وفيها يصف جمال تلك الفتاة ونورانيتها، ثم يصف عيونها في ذلك البيت. وفي استدعاء بيت ابن الجهم الشهير ما يشير إلى أن الشاعر قد أصابته سهام عيونها وجلبت له الهوى من حيث يدري ولا يدري. ولكن الشاعر يختم قصيدته التي نظمها وهو على مشارف السبعين بقوله:

حنانيك لا أبغي من الحسن والسنا سوى ومضة الإلهام في مغرب العمرِ

ومن التناص الجلي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (شياطين وشياطين)[279]:

«وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت» فإن تولت فودعها بياسينِ

والشطر الأول تناص جلي مع قول أحمد شوقي[280]:

وَإِنَّما الأُمَمُ الأَخلاقُ ما بَقِيَت فَإِن تَوَلَّت مَضَوا في إِثرِها قُدُما

وكثير من الناس يخطيء في رواية الشطر الثاني من بيت شوقي، وهو من قصيدته التي مطلعها:

ياراكبَ الريحِ حَيِّ النيلَ وَالهَرَما وَعَظِّمِ السَفحَ مِن سيناءَ وَالحَرَما

وقصيدة الشاعر شهاب يتحدث فيها عن شياطين الجن والإنس:

أعوذ بالله من كيد الشياطينِ جناً من النارِ أو إنساً من الطينِ

ويقرر أن شياطين الإنس أخطر من شياطين الجن لأن شياطين الجن تخنس إذا تعوذ بالله منهم، أما شياطين الإنس فلم تعد تشبعهم الملايين. ثم يذكر بيت شوقي ليؤكد على أهمية الأخلاق وأن الإنسان إذا تجرد منها تجرد من الإنسانية. ويبدو التناص –في رأيي– مقحماً على النص غير متسق معه، فالبيت الذي قبله يتحدث عن شراهة شياطين الإنس في جمع المال:

هذا يسابق هذا في شراهته وكلهم يقتني أموال قارونِ

ثم يأتي البيت موضع الشاهد مقحماً في غير سياقه حيث لم يمهد له الشاعر ببيت يتحدث عن ضياع الأخلاق عموماً، أو عن أهميتها، قبل أن يقدم بيت شوقي.

التناص الخفي

أما التناص الخفي فأمثلته كثيرة، ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (في ربى الأرز)[281]:

ووراء الزجاج في السفح لبيروت بريق من لؤلؤ وجمانِ
تتراءى أضواؤها مثل ألماسٍ ودر في جيد سود الحسانِ

ففي البيت الأخير تناص خفي مع قول المعري يصف ليلته [282]:

ليلتي هذه عروسٌ من الزنج عليها قلائد من جمانِ

والشاعر لم يوفق –في رأيي– حيث شبه أضواء مدينة بيروت في الليل (في السفح) بالألماس والدر في جيد الحسناء السوداءوهي أضواء حمراء وليست بيضاء مثل الجمان واللؤلؤ. أما المعري فيصف النجوم، ولهذا جاء تشبيهه أبلغ.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (عيد)[283]:

والنصر يبدأ بالإيمان منطلقاً وتضحيات وإقدام وإصرارُ
وأنفسٍ فوق حد السيف سائلةٍ ولا طغى فوق وجه الأرض جبارُ

ففي البيت الأخير تناص خفي مع قول السموأل[284]:

تَسيلُ عَلى حَدّ الظُبات نُفوسُنا وَلَيسَت عَلى غَيرِ الظُباتِ تَسيلُ

والأبيات من قصيدة كتبها الشاعر عن العيد، ولكن مآسي أمته منعته من أن يجد للعيد طعماً:

بيا عيد لم يبق في الأعياد أوطارُ كيف السرور وملء القلب أوضارُ

وأرى أن الشاعر لم يوفق في الكلمة الأخيرة في البيت، فالأوضار هي الأدران والأوساخ، وهو يتحدث عن قلبه الذي يأسى لحال أمته، فكيف يصف ما فيه بالأدران؟ ولو قال –مثلاً– (وملء القلب أكدارٌ) لكان أوفق.

وبعد أن يعدد مآسي الأمة، يرسم طريق النصر لها، الذي يبدأ بالإيمان، ثم العلم والتخطيط، ولعله يقصد به الإعداد للمعركة، ثم التضحية والجهاد بالنفوس التي تسيل على حد السيوف. وقد جاء التناص مع بيت السموأل متسقاً مع جو القصيدة التي ترسم طريق النصر للأمة؛ وأبيات السموأل في الفخر بالقبيلة التي تضحي بنفوسها في سبيل العزة والكرامة.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (هو الحب)[285]:

هو الحب كم للحب من سطوة السحرِ إذا حل في قلب تحكم في الأمرِ

وهو مطلع يتناص بخفاء مع قول ابن الفارض[286]:

هو الحُبَ فاسلم بالحشا ما الهَوى سهلَ فما اختارَهُ مُضْنى به وله عقْلُ

والتناص مناسب لجو القصيدة التي تذكر أنواع الحب، وتبين أثره في النفوس. ويتفق الشاعران في بيان شدة أثر الحب، فبينما يراه ابن الفارض يذهب العقل، يرى شهاب أنه يشبه السحر في سطوته.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (من أين أدخل في المرثاة يا أبتي)[287]:

من أين أدخل في المرثاة يا أبتي؟ وكل بابٍ أمامي دون أقفالِ

وقوله: (من أين أدخل في المرثاة يا أبتي) الذي جعله عنواناً للقصيدة وكرره في أكثر من بيت، يتناص مع قول نزار قباني في قصيدة (أنا يا صديقة متعب بعروبتي)[288]:

من أين أدخل في القصيدة يا ترى وحدائق الشعر الجميل خرابُ

وكما كان الشاعر نزار حائراً كيف يبدأ قصيدته، كذلك كان الشاعر شهاب حائراً لا يدري كيف يبدأ في رثاء والده، لتعدد مواهبه، ولتزاحم الأفكار في رأس الشاعر، فلا يدري أيرثي فيه العالم:

من مدخل العلم؟ يا من قد سبقت به كل الرجال بآماد وأميالِ

أم يرثي فيه الشاعر:

عشرون سفراً وديواناً تركت وكم نقشت بالشعر من رسم وتمثالِ

أم يرثي فيه المؤرخ:

يا من دخلت إلى التاريخ في وطن ال تاريخ يزهو بفرسانٍ وأقيالِ

وهكذا جاء التناص متناسباً مع حالة الشاعر حيث شتت الفاجعة أفكاره، فلم يدر كيف يدخل في قصيدة المرثاة، تماماً كما كان نزار مبعثراً من هزائم أمته فلم يدر كيف يدخل في قصيدة هجائها.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في مطلع قصيدة بعنوان: (هيكل الطين)[289]:

كل هذا الجمال يوماً سيمضي وطعاماً للدود سوف يكونُ

إلى أن يقول:

وامنحيني من قبل فوت أوانٍ بعض وصلٍ فنحن ماءٌ وطينُ

وفي مطلع القصيدة تناص خفي مع قول المتنبي[290]:

زَوِّدينا مِن حُسنِ وَجهَكِ ما دامَ فَحُسنُ الوُجوه حالٌ تَحولُ
وَصِلينا نَصِلكِ في هَذِهِ الدُنيا فَإِنَ المُقامَ فيها قَليلُ

على أن المتنبي –في رأيي– كان أوفق، إذ كان أوجز عبارة، فلم يطل في ذلك كما أطال الشاعر شهاب الذي استغرق المعنى منه سبعة أبيات. كما أن المتنبي كان أكثر أدباً مع محبوبته، فهو لم يذكر (الدود) ولا (فناء النهد الجموح)، وإنما اكتفى بالإشارة الخاطفة إلى الموت في قوله: (فإن المقام فيها قليل)، فجمع في البيتين بين زوال الحسن بعوامل السن والكبر، وزواله بالفناء بينما اقتصرت أبيات الشاعر شهاب السبعة على ذكر زوال الحسن بالفناء.

والشاعر شهاب في صنيعه هذا يذكرنا بقول ابن سناء الملك في هذا المعنى:

صِليني وهَذا الحسنُ باقٍ فَرُبَّما يُعزِّلُ بيتُ الوجهِ منه ويُكْنَسُ

وقد عابه القاضي الفاضل وقال عنه: «والقصيدة فائقة في حسنها بديعة في فنها ولكن بيت (يُعزِّل ويُكنس) أردت أن أكنسه من القصيدة»[291].

خاتمة:

وهكذا تجولنا في شعر الدكتور شهاب غانم، وتتبعنا نماذج من التناص الديني والأدبي في شعره. ورأينا أن ورود التناص الديني في شعره أكثر من التناص الأدبي، مما يدل على عمق ثقافته الدينية، ورأينا أن التناص الديني والأدبي قد أتى بنوعيه الجلي والخفي؛ وكان الشاعر موفقاً في معظمها.

التناص في شعر مانع سعيد العتيبة

مقدمة

الشاعر الدكتور مانع سعيد العتيبة (1946م) من الشعراء غزيري الإنتاج، فقد أصدر حتى الآن أكثر من أربعين مجموعة من الشعر الفصيح والنبطي. وهو في شعره الفصيح مخلص للشكل العمودي وليست له تجارب في الشعر التفعيلي. ويغلب على مواضيعه الجانب الوجداني والغزلي، وإن كان قد كتب في عدة مواضيع أخرى، مثل الوصف والشعر الوطني وشعر الأسرة. كما أن عمله كوزير للنفط لأعوام طويلة أثمر عن ديوان خاص بعنوان (قصائد بترولية)، تناول فيها مشكلات وقضايا النفط. وشعره يميل إلى الرقة والسلاسة وإيثار الأوزان القصيرة، والنفس الطويل، فقلما تجد له قصيدة في أقل من عشرين بيتاً.

وله ديوان عبارة عن قصيدة ألفية على قافية واحدة بعنوان: (شمس الخلود)[292]، وقد قسمها إلى مقاطع وجعل لها عناوين فرعية، وجعل لكل منها عنواناً مثل: إهداء، مقدمة، خاتمة، بالإضافة إلى أسماء الممدوحين. وفي الإهداء يقول:

يا أمتي هذا فؤادي فاقرئي خفقاته في أحرفٍ تتواصل

وفي آخر المقدمة يقول تمهيداً لموضوع القصيدة:

ليلى عرفتُ من الرجال كرامهم ما سرني إلا الكريم الفاضلُ

ثم يسجل خواطره وانطباعاته عن الزعماء العرب، بدءاً بالشيخ زايد رحمه الله، الذي أطال في وصفه ومدحه، ثم الشيخ راشد بن سعيد رحمه الله، مروراً بملوك وأمراء دول الخليج، ثم رؤساء بقية الدول العربية الذين عاصرهم والتقى بهم الشاعر، ويزين كل قصيدة صورة تجمع الشاعر بهم، أو صورة مهداة منهم للشاعر بتوقيعهم.

وله ملحمة شعرية عن تاريخ الإمارات بعنوان (المسيرة)، تتكون من مقاطع من ستة أبيات، كل مقطع على قافية، ويجمعها بحر الرمل[293]. كما أن له قصيدةً في ديوان بعنوان: (ليل طويل)[294]، نظمها عام 1987م «في رحلة من أبوظبي إلى طوكيو متأثراً بحدث سياسي كبير كان بمثابة انعطاف تاريخي في مسرة النضال العربي». وهي –مثل ديوان المسيرة– تتكون من مقاطع من ستة أبيات، كل مقطع على قافية، ويجمعها بحر الرمل.

وإلى جانب المطولات فإنه يجيد المقطوعات القصيرة، وله ديوان بعنوان (خماسيات إلى سيدة المحبة) يحتوي على 130 خماسية.

وتبدو ثقافة الشاعر الأدبية والتراثية من خلال شعره، وهو ما سنحاول أن نتلمسه في هذه الدراسة، من خلال تناول التناص في شعره. والملاحظ من خلال الدواوين التي شملتها الدراسة هو قلة أمثلة التناص الديني، أما التناص الأدبي فأمثلته كثيرة.

التناص الديني

تمثل التناص الديني في شعر العتيبة من خلال الاقتباسات من الآيات الكريمة والحديث الشريف. وقد ورد بنوعيه الجلي والخفي، وسنورد بعض الأمثلة فيما يأتي.

التناص مع القرآن الكريم

التناص الجلي

فمن أمثلة التناص الجلي قوله في قصيدة بعنوان (ميسون)[295]:

ويبعد الشك عني ويستقر اليقينُ
بأن دنياي يحلو مالٌ بها وبنونُ
ما قاله الله باق ما غيرته القرونُ

ففيه تناص جلي مع قول الله تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) (الكهف، 46). وقد جاء التناص مناسباً لجو وموضوع القصيدة التي يتحدث فيها الشاعر عن ابنته (ميسون)، ثم يستدعي الآية ليدلل على سعادته بأبنائه، مصداقاً للآية الكريمة التي لم يتغير معناها رغم تعاقب القرون. وقوله: (ما قاله الله باقٍ) هو الذي جعلنا نعدها من التناص الجلي، رغم أن الشاعر لم يورد النص القرآني كما هو بين قوسين.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة ديوان (شمس الخلود)[296]:

لو شاء ربي غير ذلك لم يقل: أنتم شعوب تعارف وقبائلُ
إن لم يميزني التقى عن آخر ما في العروبة حين أنسب طائلُ

ففيه تناص جلي مع قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات، 13). وقد جاء التناص مناسباً لجو الأبيات وموضوعها وهو الفخر بالنسب العربي، ولكن مع الاعتزاز بالإسلام والتقوى. وقد جاء البيتان بعد قوله:

وعلمت أن محمداً من أمتي فأصابني فرح عظيم هائلُ
لكنني أدركت أن عروبتي ليست عباءة فارس يتخايلُ
هي دعوة للحب ما بين الورى والحب خير للبرية شاملُ

فهو يعتز بعروبته وبأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) عربي، ولكن فخره بالعروبة مقيد بالاعتزاز بالإسلام، الذي يدعو إلى المساواة بين الناس، وإلى نشر العدل والحب بينهم.

التناص الخفي

ومن أمثلة التناص الخفي قوله في قصيدة بعنوان (زيارة الحبيب)[297]:

تنفس بعد طول الليل صبحٌ فسر القلب وارتاحت ضلوعُ
فبعد صلاة الاستسقاء لبى إله الكون واخضرت نجوع

ففي البيت الأول تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) (التكوير، 18). وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة وموضوعها، فالشاعر مسرور بحلول الصبح الذي سر فؤاده وأراح ضلوعه، فناسب أن يصفه بالتنفس، لأنه نفس عن كربه من طول الليل.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (زيارة الحبيب)[298]:

وهذا الموقف القدري صعبٌ يشيب لهوله الطفل الرضيعُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) (المزمل، 17). وفي استدعاء الآية الكريمة ما يوحي بأن الشاعر يشبه أهوال موقف الوداع بأهوال يوم القيامة التي يشيب لهولها الولدان؛ مما جعل الصورة أكثر جمالاً وأبدع تصويراً.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (وداعا بشاير)[299]:

فلا حول عندي ولا قوة هو الله حسبي ونعم الحسيبُ

ففيه تناص مع قول الله تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)(آل عمران، 173). وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة وهو رثاء ابنته الطفلة (بشاير)، وجاء استدعاء الآية الكريمة مناسباً لإيمان الشاعر واستسلامه لقضاء الله. وفيه أيضاً ما يوحي بأن الشاعر قد وجد نتيجة هذا الرضاء بقضاء الله، مصداقاً لقوله تعالى في الآية التالية: (فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)(آل عمران، 174).

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (الفراق الأخير)[300]:

لكنني أدعو الإله بحرقة والله للداعين جد قريبِ
أن يمنح الصبر الجميل عيوننا في يوم كشف للحساب عصيبِ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)(البقرة، 186). وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة وموضوعها وهو دعاء الله تعالى أن يمنحه الصبر على مصابه، فجاء استدعاء الآية الكريمة مناسباً ليؤكد على استجابة الدعاء مصداقاً للآية الكريمة.

وفي البيت الثاني تناص خفي مع قول الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام، حين فقد ابنه يوسف: (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)(يوسف، 83). وفي استدعاء الآية الكريمة ما يوحي بأن الشاعر يأمل أن يحقق الله له ما

حققه ليعقوب (عليه السلام) من اللقاء بيوسف بعد أن فقده، وذلك بأن يحقق للشاعر أن يلتقي بابنته في جنة الخلد إن شاء الله.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (في رثاء المغفور له عبد الله بن أحمد العتيبة)[301]:

وكنتَ قريباً كحبل الوريد إذا مسني ذات يوم شقاءْ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)(ق، 16). وفي استدعاء الآية الكريمة ما يوحي بأن المرثي كان ينطلق في رعايته للشاعر من منطلق ديني، حيث كان عم الشاعر، وفي رعايته للشاعر تمثل بما أمر الله به من صلة الرحم. ولهذا جاء تشبيه الشاعر لقربه منه، بما شبه الله به قربه من عباده.

من أمثلة التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (عناد الحبيب)[302]:

عانديني أو فكوني كالجبال الراسياتِ
لن يصيب القلب يأسٌ من عناد الفاتناتِ

ففي البيت الأول تناص خفي مع قوله تعالى: (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) (النازعات، 32). وفي استدعاء الآية الكريمة ما يوحي بأن الحبيبة صلبةٌ عنيدة، لا تتزحزح عن رأيها مثلها مثل الجبال الراسيات التي لا يمكن زحزحتها. وفي هذا مبالغة في تشبيه عنادها، إلا إن الشاعر يقول لها إنه لن ييأس مهما كانت عنيدة، لأنه يعلم أن عناد الفاتنات ينتهي إلى مياسرة، كما قال بشار[303]:

لا يُؤيسَنَّكَ من مُخَدرة قَولٌ تُغَلِّظُهُ وَإن جَرَحا
عُسرُ النساءِ إلى مُياسَرَةٍ وَالصَعبُ يُمكِنُ بَعدَ ما جمحا

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (عذاب الحبيب)[304]:

بكيت بكاء طفلٍ في صلاتي وسار الصوت للسبع الطباقِ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) (نوح، 15). وفي استدعاء الآية الكريمة ما يوحي بأن صوت بكائه بلغ إلى السموات السبع، وهو كناية عن أن الله تعالى قد استجاب لبكائه ففرج كربه.

التناص مع الحديث الشريف

جاء التناص مع الحديث الشريف من النوع الخفي، وأمثلته قليلة، منها قول الشاعر في قصيدة بعنوان (روح الحبيب)[305]:

دعوتُ ودعوة المظلوم حلت رحاب سماء علام الغيوبِ
أجرني من عذاب الشوق ربي فوحش الشوق مسموم النيوبِ

ففي البيت الأول تناص خفي مع قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)[306]. وقد جاء التناص متسقاً مع موضوع القصيدة وهو إحساس الشاعر بأنه مظلوم، فيستغل هذه الصفة ليدعو الله تعالى لعلمه أن دعاء المظلوم مستجاب. ولكنه لا يدعو على المحبوب بل يدعو لنفسه أن ينجيه الله من عذاب الشوق.

ومن التناص الخفي مع الحديث الشريف أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (حكاية الحبيب)[307]:

وإذا قتلنا في الهوى عن عفة فلنا الخلود لأننا شهداءُ

ففيه تناص خفي مع قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد)[308]. وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة وهو تصوير ما يلاقيه العاشق من حر العشق، حتى قد يصل به الأمر إلى الموت. وفي استدعاء الحديث الشريف ما يوحي بأن حب الشاعر حبٌ عفيف، لا تشوبه شائبة، ولذلك فهو يأمل أن يصدق فيه الحديث، فيموت –إذا قتل بسبب الحب– شهيداً.

التناص الأدبي

جاء التناص الأدبي في شعر مانع سعيد العتيبة من خلال استلهام بعض الأبيات المشهورة أو التراكيب المعروفة في الشعر العربي، أو من خلال استدعاء بعض الأمثال والحكم المأثورة. وقد ورد التناص الأدبي بنوعيه الجلي والخفي، وسنمثل لكل نوع في السطور الآتية.

التناص الجلي

من أمثلة التناص الجلي قوله في قصيدة بعنوان (سفينة أوبك إلى أين؟)[309]:

لست وحدي من يداري عنك ما تستنكرينه
«كلنا في الهم شرق» تسمع الدنيا أنينه

ففي البيت الثاني تناص جلي مع قول أحمد شوقي:

نَصَحتُ وَنَحنُ مُختَلِفونَ داراً وَلَكِن كُلُّنا في الهَمِّ شَرقُ

وقد وضع الشاعر النص بين قوسين للدلالة على أنه تناص جلي، وإن لم يشر لقائله لشهرته. وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة، فالشاعر ينصح أعضاء منظمة (أوبك)، ويشير إلى ما يجمعهم وهو مصلحة هذه المنظمة وأن ما يصيبها يؤثر على كل الأعضاء. وهذا هو نفس ما عناه شوقي حين أشار إلى أن ما يمس بلداً من بلدان الشرق (كما يسميه) يؤثر على بقية البلدان.

والشاعر يشير إلى الخلافات التي تشهدها المنظمة، ويقدم نصيحته بشأنها[310]:

أوبك الآن تعاني من خلافات ثخينة

التناص الخفي

ومن أمثلة التناص الخفي مع الشعر قول الشاعر في ديوان (شمس الخلود)[311]:

لا يفسد الود اختلاف في الرؤى بل إن هذا الاختلاف تكاملُ

ففيه تناص خفي مع قول أحمد شوقي[312]:

اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع الأبيات التي يتحدث الشاعر فيها عن علاقته الودية مع الزعماء العرب الذين تعرف إليهم من خلال عمله الدبلوماسي، فربطت بينه وبينهم عرى الصداقة، فرأى من الوفاء أن يتحدث عن ذلك ويدونه في شعر يتلى ويخلد، رغم أنه قد يخالف بعضهم في بعض آرائه ومواقفه، ولكنه يرى –كما يرى شوقي– أن اختلاف الرأي لا يفسد الود والمحبة التي جمعته بهؤلاء الزعماء:

أحببتهم حتى وإن خالفتهم في الرأي أحيانا وغاب تواصلُ

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (هل تذكرين)[313]:

وإذا أطل البدر بان بجانبي بدر تخر له الجبابر ساجدينْ

ففيه تناص خفي مع قول عمرو بن كلثوم في المعلقة[314]:

إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً تخر له الجبابر ساجدينا

وفي استدعاء بيت عمرو ما يوحي بأن الشاعر يشبه ضعف المحبوبة بضعف الرضيع، ولكن الجبابر تخر ساجدة لسطوة حسنها وجمالها، كما تخر الجبابر ساجدين لقوة قبيلة عمرو التي ينتمي إليها الطفل الرضيع. فكما أن الجبابرة لا يسجدون لقوة الرضيع بل لقوة قبيلته، فكذلك الجبابرة في بيت العتيبة لا يسجدون لقوة المحبوب بل لسطوة جماله.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (يا شام)[315]:

إن الذي بيني وبين بني أبي الله أوجده فكيف يزول؟

ففيه تناص خفي مع قول المقنع الكندي[316]:

وَإِنَّ الَّذي بَيني وَبَين بَني أَبي وَبَينَ بَني عَمّي لَمُختَلِفُ جِدّا

وفي استدعاء بيت المقنع ما يوحي بأن الشاعر يناقضه حين يرى بأن ما بينه وبين بني أبيه من الود والرحم ثابت لا يزول لأن الله أوجده، وهو عكس المعنى الذي عناه المقنع حين ذكر أن ما بينه وبين بني أبيه وبني عمه مختلف جداً، لأنه يودهم ويقطعونه.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (تحية إلى الرئيس حافظ الأسد)[317]:

وما تأخر عن بذل وتضحية والبدر في الليلة الظلماء يفتقدُ

ففيه تناص خفي مع قول أبي فراس[318]:

سَيَذكُرُني قَومي إذا جَدَّ جِدُّهُم وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة وهو المدح، حيث شبه الممدوح بالبدر الذي يعرف الناس قدره في الليالي المظلمة، وكأن الشاعر يقصد أن الناس سيعرفون قدر الممدوح بعد وفاته، حين لا يجدون من يسد مكانه من بعده.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (فتاة البحرين)[319] وهي من شعر الصبا:

وقلت لها: ألا حياك ربي فما ردت ولا غضباً أبانت
وضاعت في الزحام فقال كعبٌ أيا ويلاه إنَّ سعاد بانت

ففي البيت الثاني تناص خفي مع قول كعب بن زهير[320]:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ ميتمٌ إثرها لم يفد مكبولُ

وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة وموضوعها وهو رحيل المحبوبة. وفي استدعاء بيت كعب ما يوحي بأن قلب الشاعر قد أصبح متبولاً متيماً بها بعد رحيلها.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (فتاة الاقتصاد)[321]، وهي أيضاً من شعر الصبا:

سقاك الهل يا بغداد غيثاً وأزهر في الحواضر والبوادي
بجسرك والمها قوم تغنوا ومثلهم لعمري جئت شادي

ففي البيت الثاني تناص خفي مع قول علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسرِ جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة وهو التغزل في فتاة بغدادية. وفي استدعاء بيت ابن الجهم ما يوحي بأن الشاعر قد وقع في الهوى الذي جلبنه عيون المها البغداديات.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (عيد الجلوس الأول)[322]:

كالشمس أنتَ إذا طلعتَ فإنما باقي الكواكب من سناك تثارُ

ففيه تناص خفي مع قول النابغة الذبياني[323]:

فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبد منهن كوكبُ

وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة وموضوعها وهو مدح الشيخ زايد –رحمه الله– في ذكرى جلوسه الأول عام 1967م، حيث شبهه بالشمس وشبه غيره من الملوك والرؤساء بالكواكب التي تستمد ضوءها من الشمس، فإذا طلعت الشمس طغت بضيائها عليهن، فلم تعد تُرى. وفي استدعاء بيت النابغة ما يوحي بعظمة الممدوح وعلو شأنه وتشبيهه بالنعمان ممدوح النابغة.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة (ليل طويل)[324]:

واجهوا اليوم عدواً جاء في ثوب الصديقْ

ففيه تناص خفي مع قول أبي نواس[325]:

إذا امتَحَنَ الدُنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَت لَهُ عَن عَدوٍّ في ثِيابِ صَديقِ

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع الأبيات التي يصف فيها الشاعر حال الأمة اليوم بأنها تواجه عدواً جاء إليها في ثوب الصديق، فمعرفة هذا العدو بحاجة إلى رجل لبيب ذكي، يستطيع أن يفرق بين العدو والصديق ولا ينخدع بالمظاهر؛ تماماً كما أن الدنيا تخدع بزخرفها وهي في الحقيقة عدو للإنسان.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (رسالة من روح سناء)[326]:

يا أمتي هذي الرسالة بلغت بأمانة فليقرأ البلغاءُ
كتبت سناءُ حروفها بدمائها فحروفها الحرية الحمراءُ

ففي البيت الثاني تناص خفي مع قول أحمد شوقي:

وللحرية الحمراء بابٌ بكل يدٍ مضرجة يُدقُ

ويبدو من تاريخ كتابة القصيدة أنه كتبها في الاستشهادية اللبنانية سناء محيدلي التي فجرت نفسها في كتيبة من جيش الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان في 9 إبريل سنة 1985م.

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة، وهو تمجيد الشهيدة سناء، فكان استدعاء بيت شوقي متسقاً مع الأبيات لأنه يتحدث عن الحرية التي لا تنال إلا بالدماء.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (السؤال الكبير)[327]:

أهي عين الحب أم عين الرضى من تراني ذات حسن نادر

ففيه تناص مع قول عبد الله بن معاوية[328]:

فَعَينُ الرضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ كما أنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المُساويا

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (عذاب الحب)[329]:

نظمتك في صدر الخلود قصيدة إلى الله فيها خاشعاً أتقربُ

ففيه تناص خفي مع قول الكميت يمدح الهاشميين[330]:

إلى النَّفَرِ البيضِ الذينَ بِحُبِّهم إلى الله فِيمَا نَابَنِي أتَقَرَّبُ

وقد جاء التناص –في رأيي- غير موفق، لأن الشاعر جعل قصيدته في وصف عذاب الحب وعشقه للمحبوبة قربةً إلى الله، أما الكميت فقد جعل حبه لآل هاشم وهم رهط النبي (صلى الله عليه وسلم) قربةً يتقرب بها إلى الله، وذلك أدعى لأن تقبل قرباه.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (وعود الوصل)[331]:

شربت من العيون السود خمراً فغبت عن الوجود وما وعيت

ففيه تناص خفي مع قول أبي نواس[332]:

تَسقيكَ مِن عَينِها خَمراً وَمِن يَدِها خَمراً فَما لَكَ مِن سُكرَينِ مِن بُدّ

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة وهي وصف محاسن المحبوبة وأن عينيها تسكر من نظر إليهما. على أن الشاعر اقتصر على خمر العيون ولم يشر إلى خمر اليد التي أشار إليها أبو نواس، ليوحي بأنه لم يقربها.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (أشباه الحبيب)[333]:

يا ظباء البيد أعياني الندا هل رأيتن غزالي يا ظبا؟

ففيه تناص خفي مع قول المجنون[334]:

بِاللهِ يا ظَبيات القاعِ قُلنَ لَنا لَيلايَ مِنكُنَّ أَم لَيلى مِنَ البَشَرِ

وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة وموضوعها وهو التغزل بالمحبوبة وتشبيهها بالظبية في رشاقتها وخفتها، حتى أن الشاعر أخذ يساءل الظباء عنها وكأنه قد التبس عليه الأمر فلم يعد يدري أهي من الظباء أم من البشر؛ فكان استدعاء بيت المجنون موفقاً في بيان هذا الالتباس الذي وقع فيه كلا الشاعرين.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (منزل الحبيب)[335]:

فعجبت من صبح يطل على الورى في الليل هل ضل الصباح وتاها

ففي البيت تناص مع قول الشاعر حسين بن شهاب الدين[336]:

بدت لنا وظلام الليل معتكرُ فقلت شمس الضحى لاحت أم القمرُ

جاء البشير وقال الشمس قد بزغت ليلاً فصار عياناً ذلك الخبرُ

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة وهو وصف زيارة الحبيبة ليلاً، فكأنها الشمس تشرق في الليل.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في القصيدة نفسها:

وتبسمت فاهتز قلبي عندما بدم الحياء توردت شفتاها

وتكلمت دقاته وتعطلت لغة الكلام فآه ما أحلاها

ففي البيت الثاني تناص خفي مع قول أحمد شوقي[337]:

وَتَعَطَّلَت لُغَةُ الكَلامِ وَخاطَبَت عَينَيَّ في لُغَةِ الهَوى عَيناكِ

وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة وموضوعها، وهو وصف اللقاء بالحبيب، وتعطل لغة الكلام كناية عن أن الحياء الذي ترك المجال للعيون لتعبر عن مكنونات الصدور. على أن تعطل لغة الكلام عند شوقي كان سببه انشغال الفم باللثم، فقد جاء ذلك البيت بعد قوله:

وَدَخَلتُ في لَيلَينِ فَرعِكِ وَالدُجى وَلَثَمتُ كَالصُبحِ المُنَوِّرِ فاكِ

ومنه أيضاً قوله في القصيدة نفسها[338]:

ودخلت في شلال ديجور هما من شعرها فأحاطها وكساها

ففيه تناص خفي مع قول شوقي السابق:

وَدَخَلتُ في لَيلَينِ فَرعِكِ وَالدُجى وَلَثَمتُ كَالصُبحِ المُنَوِّرِ فاكِ

فكلا الشاعرين يشبه شعر الحبيبة بالليل (الديجور)، وقد زاد العتيبة بأن جعله شلالاً يتدفق، كناية عن غزارة الشعر، فأبرز المعنوي (الليل) بصورة الحسي، فزادت الصورة جمالاً.

وكذلك قوله في القصيدة نفسها:

لم أدر ما معنى الزمان وطوله إن الزمان أمامها يتناهى

ففيه تناص خفي مع قول شوقي في القصيدة نفسها:

لا أَمسِ مِن عُمرِ الزَمانِ وَلا غَدٌ جُمِعَ الزَمانُ فَكانَ يَومَ رِضاكِ

وقد جاء التناص أيضاً متسقاً مع الأبيات، فكما كان الزمان بالنسبة لشوقي هو يوم رضا الحبيبة، فإن الشاعر مانع العتيبة لم يشعر بمرور الزمن وهو مع محبوبته، لأن الزمن ينتهي عندها.

ومن التناص الخفي مع الشعر القديم قوله في قصيدة بعنوان (بكاء الحبيب)[339]:

عفو الحبيب فما للحزن قد خلقت هذي العيون ولا للدمع تجريه
قد أمطرت لؤلؤاً عيناه من شجن وانحل عقد نظيم من لآليه

ففيه تناص خفي مع قول أبي الوأواً الدمشقي[340]:

وَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ نَرْجِس وَسَقَتْ
وَرْداً وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالبَرَدِ

على أن الوأواً قد جمع خمس تشبيهات في بيت واحد، أما العتيبة فقد كرر التشبيه في الشطرين مما أضعف بيته.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (العناية المركزة)[341] التي نظمها في ممرضة تعمل في مستشفى (مايو كلينك):

كنا ملوك العشق فرسان الهوى نبع المحبة عندنا لا ينضبُ
لكننا في ذات يوم مظلم نامت نواطير وغافل ثعلبُ
ورمى سموم الحقد في ينبوعنا من يومها ماء الهوى لا يشربُ

ففي البيت الثاني تناص خفي مع قول المتنبي[342]:

نامَت نَواطيرُ مِصرٍ عَن ثَعالِبِها فَقَد بَشِمنَ وَما تَفنى العَناقيدُ

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة التي يحكي فيها الشاعر لمحبوبته أن العرب كانوا ملوك العشق وفرسان الهوى، ولكن (الثعلب) استغل نوم النواطير وزرع بينهم بذور الكره والتعادي. وقد اتفق الشاعران على أن الثعلب لم يكن ليصل إلى مأربه لولا نوم النواطير وغفلتهم، فكلا الشاعرين يلقي باللوم على الحراس الذين فرطوا في الأمانة وأخلوا بواجبهم.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (أم الربيع)، يصف فيها مصيف أم الربيع بمنطقة (خنيفرة) بالمغرب العربي[343]:

أتيتك زائراً فحضنت قلبي بشوق الأم للطفل الرضيع
على أم الربيع قد استرحنا من الهم المخيم في الضلوع

ففي البيت الأول تناص خفي مع قول حمدة الأندلسية[344]:

وَقانا لفحةَ الرمضاء وادٍ
سقاه مضاعف الغيث العميم
حَلَلنا دوحهُ فحنا علينا

حنوّ المرضعات على الفطيم

وفي استدعاء بيت حمدة ما يشير إلى أن الشاعر يصف وادياً، ويصف حنو الوادي عليه كحنو الأم المرضع لطفلها الرضيع. وقد زاد الشاعر على حمدة الأندلسية بأن جعل الوادي يشتاق إليه، مما يوحي بأن زيارات الشاعر لهذا الوادي متكررة، حتى أصبح الوادي يشتاق إليه.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (رثاء راشد)، التي نظمها في رثاء الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم –رحمه الله[345]:

وستذكر الأجيال حسن فعاله
ليس الفتى ما قال بل ما يفعلُ

ففيه تناص خفي مع قول الشاعر[346]:

إنَّ الفَتى مَن يُقولُ ها أَنا ذا
لَيسَ الفَتى مَن يُقولُ كانَ أَبي

وقد جاء التناص مناسباً لسياق القصيدة وموضوعها، وهو رثاء الشيخ راشد وتعديد مناقبه. وفي استدعاء هذا البيت ما يوحي بعصامية الشيخ راشد رحمه الله وعدم اتكائه على إرث الآباء، بل شق لنفسه من المآثر ما خلد ذكره، وجعله مثالاً يحتذى لمن بعده.

ومن أمثلة التناص الخفي أيضاً، قوله في قصيدة بعنوان (وصال الحبيب)[347]:

الحب من سُنن الحياة فإن تجد
من لا يحب فإنه شيطانُ

ففي البيت تناص خفي مع قول المتنبي[348]:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلمُ

وكأن الشاعر يخالف المتنبي في المعنى الذي ذهب إليه، حيث صور الظلم وكأنه طبيعة من طبائع البشر، وأنه الأصل في الإنسان، ويرى العتيبة أن الحب هو الأصل في الإنسان، ومن خرج عن هذه السنة فلا يستحق أن يوصف بالإنسانية بل هو شيطان رجيم؛ وبذلك قلب معنى بيت المتنبي.

التناص التراثي

جاء التناص التراثي من خلال تضمين بعض الأمثال السائرة، سواء الفصيحة منها أو الشعبية.

وقد جاءت أمثلته من النوع الخفي، ما عدا بعض الأمثلة القليلة التي جاءت من النوع الجلي. فمن ذلك قوله في قصيدة (ليل طويل)[349]:

من قديم قال قومي:
رحمةٌ موت الجماعةْ

ففيه تناص جلي مع المثل الشعبي القائل: (الموت مع الجماعة رحمة). وقد قدم له الشاعر بما يوحي أنه تناص جلي، وأنه من الأمثال الشعبية في الإمارات (قال قومي). وقد جاء التناص مناسباً لموضوع الأبيات متسقاً معها، حيث يتحدث الشاعر عن مصاب قومه، ثم يورد المثل على سبيل التهكم والسخرية، بأن الموت مع الجماعة رحمة. فالشاعر يرى أن رضى الأمة بما تشهده أقطارها اليوم من ذل وهزيمة هو من قبيل الإيمان بالمثل القائل: الموت مع الجماعة رحمة؛ وفي هذا من التبكيت للأمة على رضاها بهذا الواقع المهين ما فيه.

أما أمثلة التناص الخفي مع الأمثال السائرة فكثيرة؛ فمن ذلك قول الشاعر في قصيدة بعنوان (يا من تسلط واستبد)[350]:

يا من وفى وعد الهوى والحر يصدق إن وعدْ

ففيه تناص خفي مع المثل القائل: (أنجز حرٌ ما وعد)[351]، ومثله قوله في قصيدة (ليل طويل)[352]:

أيها السالب أرضي قد أتى يوم القصاصْ
وعد الحرُ ووعد الحرِ دين لا مناصْ

ووصف الوعد بالدين كثير في الشعر العربي، ومنه قول بشار بن برد[353]:

إنَّ وَعدَ الكَريمِ دَينٌ عَلَيهِ فَاقضِ وَاظفَر بِهِ عَلى الغُرَماءِ

ومن التناص الخفي مع الأمثال أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (زمن الردة)[354]:

خلط الحابل بالنابل في هذه الأيام فالهادم باني

ففيه تناص خفي مع المثل السائر: (اختلط الحابل بالنابل)[355]، والحابل هو الذي يصيد بالحبل، والنابل الذي يصيد بالنبل (السهام)، ويضرب المثل لاختلاط الأمر على القوم حتى لا يعرفوا وجهه. وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة، وهي الشكوى من أهل الزمن الذي يعيش فيه الشاعر، حيث اختلطت الأمور، فأصبح الهادم بانياً والباني هادما.

ومن التناص الخفي مع الأمثال أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (سحر المقل)[356]:

والحسن في شرع الهوى ذاك الذي قل ودلْ

ففيه تناص خفي مع المثل السائر: (خير الكلام ما قل ودل ولم يطل فيُمل)[357]. وقد جاء التناص

مناسباً لموضوع الأبيات التي يصف فيها الشاعر حسن المحبوبة، ثم يعلن أن خير وصف للحسن ما قل ودل. وفي ذلك ما يوحي بأن الشاعر يرى أنه لو أطال في وصف المحبوبة فإن وصفه سيمل، وأن خير وصف الحسن ما أوجز لفظه، لأن الشاعر لا يمكن أن يحيط بوصفه، مهما أوتي من بلاغة.

ومن التناص مع الأمثال أيضاً قوله في القصيدة نفسها:

قال النجاةُ بعيدةٌ والسيفُ قد سبق العذلْ

ففيه تناص خفي مع المثل السائر: (سبق السيف العذل)[358]، ويضرب المثل للأمر الذي فات، ولا يفيد فيه اللوم؛ وأول من قاله ضبة بن أد حين لامه الناس على قتله قاتل ابنه في الحرم. وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة وهو بيان فوات الأمر، وأن النجاة لم تعد ممكنة، وبالتالي لم يعد ينفع اللوم.

ومن التناص مع الأمثال أيضاً قوله في قصيدة (ليل طويل)[359]:

هذه داحسُ والغبراءُ عادت والبسوسْ
وامرؤ القيس مصرٌ أنه ليل الكؤوسْ
وغداً أمر وضاع الأمر في سكر الرؤوسْ

ففيه تناص خفي مع المثل السائر: (اليوم خمرٌ وغداً أمر)، وأول من قاله امرؤ القيس حين بلغه مقتل أبيه، وهو يلهو ويسكر[360]. وقد جاء التناص مناسباً لجو الأبيات وموضوعها، فالشاعر يصف العرب بأنهم ما زالوا غارقين في لهوهم وسكرهم، ويتوعدون بالثأر غداً، ولكن هذا الغد لم يأت ولن يأت، لأنه ضاع في سكر الرؤوس. وفي هذا سخرية وتهكم بالعرب، الذين يتشبهون بامرئ القيس وهم أبعد شيء عنه.

ومن التناص مع الأمثال السائرة أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (الحبيب المفضل)[361]:

لبيبٌ إن أشرت إليه لبَّى وفي جل الحوادث يُستشارُ

ففيه تناص خفي مع المثل القائل: (كل لبيب بالإشارة يفهم). وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة وموضوعها وهو وصف محاسن الحبيب، ومنها فطنته وسرعة فهمه لإشارات المحبين، مما زاد البيت جمالاً والمعنى وضوحاً.

خاتمة

وهكذا تجولنا في شعر الدكتور مانع سعيد العتيبة وتتبعنا التناص فيه. وقد وجدنا أن أمثلة التناص الأدبي في شعره أكثر من أمثلة التناص الديني. كما تناولنا التناص التراثي في شعره من خلال التناص مع الأمثال السائرة. وقد أوردنا أمثلة لكل مظهر من مظاهر التناص المتعددة في شعره، ووضحنا أثرها في النص.

التناص فس شعر
عارف الشيخ

مقدمة

الدكتور عارف الشيخ عبد الله الحسن (1952م) شاعر مكثر، فله خمس مجموعات شعرية مطبوعة. وهو يميل إلى المطولات في شعره؛ فديوانه (نداء الإسلام) يحتوي على إحدى وستين قصيدة، اشتملت على ألفين ومائتين وواحد وتسعين بيتاً –كما ورد في مقدمة الشاعر، رتبها على طريقة الأقدمين حسب قوافيها. وقد ينوع في قوافي القصيدة الواحدة، ولكنه يدرجها حسب قافية المقطع الأول منها.

والشاعر يعترف في المقدمة أنه ليس من الشعراء، ولكنه يرغب أن يشارك في الدفاع عن الإسلام بشعره، في وقت جند فيه بعض الشعراء –كما يقول– شعرهم للمجون، فرأى أن من واجبه أن يسهم في ملء الفراغ وأن لا يدع الساحة لهؤلاء الشعراء وحدهم.

وتتجلى ثقافة الشاعر الدينية والتراثية بوضوح في شعره، وذلك انعكاس طبيعي لثقافته، فهو متخرج في الأزهر الشريف، وعمل في الحقل التربوي مدرساً ومديراً للمعهد الديني الثانوي في دبي، ثم مديراً لإدارة التقويم والامتحانات بوزارة التربية والتعليم. وهو ذو نفس طويل في شعره، كما أسلفنا، ويمتلك ناصية الوزن والقافية، وتواتيه الألفاظ في سلاسة ويسر، لا يحس القارئ فيها بأي تكلف أو تعسف. كما لا يخلو شعره من روح الطرافة والدعابة، حتى وهو يتناول أكثر المواضيع جدية، كما في قوله، في قصيدة (رمضان مأدبة الإله)[362]، مخاطباً نفسه داعياً لها أن تغتنم موسم الطاعة، وأن لا تضيع الوقت أمام التلفاز:

رمضان مأدبة الإله — لتائب مستغفر
فلتذرفي دمعاً على — ماضيك ولتتحسري
في ليلة القدر التي — تجري سناً كالأنهر
وكفاك ما ضيعته — سهراً مع (توم أندجري)

وتظهر شخصية الفقيه في شعر عارف الشيخ من خلال بعض تشبيهاته، كما في قوله [363]:

طال انتظاري في القيود كأنني — مال اليتيم حُبست عند قضاة

وتظهر شخصية المعلم أيضاً في شعره، كما في قوله في القصيدة نفسها [364]:

أصبحتُ في جمعٍ كجمع مؤنث — بالكسر قد نصبوه عند نُحاة

والتناص في شعر عارف الشيخ يتجلى في معظم دواوينه، بل إن له ديواناً خاصاً بعنوان: (الوردة في تخميس اللامية و تشطير البردة)[365]، ولكننا سنقتصر في هذه الدراسة على ديوانه (نداء الإسلام)، ولن نستقصي أمثلة التناص كلها في الديوان فذاك أمر يطول، إذ قلما تخلو قصيدة من إشارة إلى آية قرآنية أو حديث شريف أو بيت مشهور، أو مثل معروف. ولكننا سنكتفي ببعض الأمثلة

للتدليل وسنبين كيف وظف الشاعر التناص في الغرض الذي أورده من أجله.

التناص الديني:

جاء التناص الديني في شعر عارف الشيخ بنوعيه الجلي (المباشر) والخفي (غير المباشر). وقد تجلى التناص الديني من خلال تضمين مفردات أو عبارات من القرآن الكريم أوالحديث الشريف.

التناص مع القرآن الكريم:

جاء التناص مع القرآن الكريم في شعر عارف الشيخ من خلال استخدام ألفاظ ذات مدلولات قرآنية، تحيل إلى آيات معينة. وقد ورد التناص الديني بنوعيه الجلي والخفي، وسنضرب لذلك بعض الأمثلة فيما يأتي.

التناص الجلي

جاء التناص الجلي مع آيات القرآن الكريم من خلال وضع المفردة القرآنية بين قوسين للدلالة على أنها مقتبسة، أو بالتقديم لها بما يدل على الاقتباس. فمن ذلك قوله في قصيدة بعنوان (حصاد عام)[366]:

أتأتي بعد أن أمضيت عاماً — «بتصدية» هناك « وبالمكاء»

ففي البيت تناص جلي مع قول الله تعالى: (وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) (الأنفال، 35).

والبيت من مقطع يخاطب فيه الشاعر من أسرف على نفسه في المعاصي، ومع ذلك يرغب أن يكون مع الصالحين الذي قضوا العام المنصرم في التضرع والدعاء. واستخدام مفردتي (التصدية والمكاء) موفقة جداً –في رأيي– لأنها تشبِّه صلاة هؤلاء الذين يسرفون في المعاصي، ثم يتظاهرون بالصلاح والتقوى بحال مشركي قريش الذين كانوا يقدسون البيت ويحجونه ويطوفون به، ولكن صلاتهم لم تكن إلا مكاء وتصدية، فظاهر الأمر أنهم يصلون ويتعبدون، ولكن في الحقيقة هم يلعبون ويصفرون ويصفقون.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (وقائع رمضانية)[367]، وهي مليئة بالإشارات إلى الأحداث والانتصارات التي حدثت في رمضان:

ولبرجعن إلى (المعاد) محمدٌ — يوماً فلا يجزعْ أسىً وتحسرا
الله بشر في الكتاب بعودة ال — صحب الكرام محلقاً ومقصرا

ففي البيت الأول تناص جلي مع قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) (القصص، 85). وذلك من خلال وضع كلمة (معاد) بين قوسين للدلالة على وجود الاقتباس. وفي البيت الثاني تناص جلي مع قول الله تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنشَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح، 27). وجاء التناص جلياً من خلال قول الشاعر: (الله بشر في الكتاب)، فهاهنا إحالة مباشرة إلى نص من القرآن الكريم.

واستدعاء الآيتين الكريمتين للتدليل على وعد الله تعالى لنبيه بأن يعيده إلى مكة منتصراً، متناسب مع سياق الأبيات، التي تصف أهم الوقائع التي حدثت في رمضان، ومنها فتح مكة.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (الخير في أمتي)[368]، متحدثاً عن هيئة أبوظبي الخيرية التي كان يرأسها سمو الشيخ محمد بن زايد:

(وهيئة الخير) هذي اليوم مفخرة — للمسلمين (فشيخ) ظل راعيها
أعني (محمدَ) من يمضي (بهيئتكم) — إلى الأمام (فباسم الله مجريها)

وجاء في الهامش: «إشارة إلى الآية الكريمة: (بسم الله مجريها ومرساها)». والشاعر هنا لم يكتف بوضع الآية بين قوسين بل أوردها في الهامش صراحة. والتناص مع الآية الكريمة متناسب مع موضوع القصيدة عن هيئة خيرية، تأسست لنشر التراحم والمودة بين الناس، وإيصال الصدقات للمحتاجين، فلا شك أنها تجري باسم الله تعالى وعلى بركته.

التناص الخفي

أما أمثلة التناص الخفي فكثيرة، منها قوله في قصيدة بعنوان (النخلة)[369]:

يا سميع الدعاء مسني الضر — وأنت المجيب في بلوائي

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (الأنبياء، 83). والشاعر نظم القصيدة على شكل حوار بينه وبين النخلة، والبيت على لسان النخلة، تشتكي ما أصابها على يد قومها، وفيها تقول النخلة [370]:

قلعوني من الجذوع ليبنوا — في مكاني مساكناً للكراء

واستدعاء الآية الكريمة مناسب جداً، حيث فيه أولاً تشبيه لما وقع بالنخلة من ضر، بما وقع للنبي أيوب (عليه السلام)، وتشبيه لصمتها وصبرها على ما لحقها بصبره. وثانياً لأن الآية التي تليها يقول فيها الحق سبحانه وتعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ) (الأنبياء، 84)، فناسب أن تدعو النخلة بدعوة أيوب (عليه السلام) لتأتيها الاستجابة كما أتته. ولعل الاستجابة فعلاً قد

تحققت من خلال ما نشهده من اهتمام رسمي بالنخلة، وكثرة زراعتها في الشوارع والطرقات.

والشاعر عارف الشيخ كتب هذه القصيدة عام 1983م، فلعله يصف وضعاً كان قائماً في ذلك الوقت. على أن الشاعر احتاط فذكر في الهامش أنه يشير إلى قلة اهتمام الناس عموماً بالنخل، أما الحكومة ممثلة في الشيخ زايد –رحمه الله– فإن اهتمامها بالنخل كبير. أما الشاعر سيف المري فقد أشار إلى الاهتمام الذي تلقاه النخلة في الإمارات بقوله في نهاية قصيدة (النخلة) التي نظمها عام 1982م[371]:

لم يقلعوها كي يُشيَّدَ فندقٌ — أو يحرقوها كي يقام بناءُ

فلعل المري قال ما قال على سبيل التعريض بمن يفعل ذلك.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (في فمي ماء)[372]:

لا تؤاخذنا بما قد — فعلته السفهاءُ

ففي البيت تناص خفي مع قول الله تعالى على لسان موسى (عليه السلام): (رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا) (الأعراف، 155).

والبيت من قصيدة يتحدث الشاعر فيها عن نكسة عام 1967م واحتلال القدس الشريف، ويسأل الله تعالى أن يفرج الكرب. والتناص مع الآية الكريمة متناسب مع جو القصيدة من استرحام لله عز وجل، وسؤاله عدم مؤاخذة عموم المسلمين بما فعله السفهاء منهم، فلا شك أن ما وقع بالمسلمين هو ناتج عن بعدهم عن هدي الله وعدم تمسكهم بشرعه.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (تذكرة سفر)[373]:

إذا ما اداركوا فيها جميعاً — فلا مولى هناك ولا محابي

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ) (الأعراف، 38).

والقصيدة فيها نصائح عامة بضرورة الاستعداد لما بعد الموت من جنة ونار. وفي البيت يتحدث الشاعر عن المجرمين الذين (يذوقون العذاب بلا حجاب)؛ والضمير في (فيها) يعود على النار، وليس هناك ذكر لها من قبل. فإما أن الشاعر اعتمد على فطنة القارئ التي ستربط بين مفردة (إداركوا) وبين الآية الكريمة، وإما أن الشاعر جرى على عادة العرب في الاكتفاء بذكر الضمير إذا كان العائد عليه الضمير معروفاً، ومن شواهده قوله تعالى على لسان سليمان (عليه السلام): (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) (ص، 32)، فالضمير في قوله (توارت) يعود على الشمس مع أنها لم تذكر في الآية. ومثله قول لبيد[374]:

حتى إذا ألقت يدا في كافر — وأجن عورات الثُّغور ظلامُها

يعني الشمس تبدأ في المغيب.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (شباب القرن العشرين)[375]:

نحن لسنا أبداً بالقانتات التائبات

عابدات سائحات مسلمات مؤمنات

ففي البيتين تناص خفي مع قول الله تعالى: (عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا) (التحريم، 5).

والبيتان من قصيدة كتبها الشاعر يحذر من الفتيات اللائي لا يقمن وزناً للعفاف ولا للشرف، والبيتان من مقطع على لسان (الهاويات)- كما يسميهن- يدعون الشباب ليأتوا إليهن ليجتنوا منهن (ثماراً يانعات). ويصفن أنفسهن بأنهن لسن قانتات تائبات عابدات سائحات، وهي إشارة ذكية من الشاعر ليظهر المفارقة بين هؤلاء (الهاويات) وأولئك الفتيات اللاتي امتدحهن الله سبحانه وتعالى، وجعلهن أهلاً ليكن زوجات النبي (صلى الله عليه وسلم). وجاء التناص مع الآية الكريمة مناسباً للمقام، بإظهار الصفات التي ينبغي أن تكون عليها الفتيات المسلمات.

التناص مع الحديث الشريف:

جاء التناص مع الحديث الشريف أيضاً بنوعيه الجلي والخفي. وسنورد بعض الأمثلة في السطور الآتية.

التناص الجلي:

من التناص الجلي قول الشاعر في قصيدة بعنوان (رمضان مأدبة الإله)[376] مخاطباً نفسه:

قد قال جل جلاله وعلى لسان مبشرِ

(الصوم لي وأنا الذي أجزي به) فتصبري

ففي البيت الثاني تناص جلي مع الحديث القدسي الذي يرويه النبي (صلى الله وسلم) عن رب العزة والجلال: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)[377]. وقد وضع الشاعر نص الحديث بين قوسين ليدل على أنه مقتبس، ومهد له في البيت السابق بقوله: (قد قال جل جلاله)، وقوله (وعلى لسان مبشر) يدل على أن النص المقتبس هو من الحديث القدسي وليس من القرآن الكريم. ولا شك أن استدعاء الحديث القدسي الشريف مناسب لجو القصيدة التي تتحدث عن فضائل شهر رمضان المبارك، وما في الصوم من عظيم الأجر.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (هيا ثنيات الوداع)[378]:

من قال وهو يودع الوطن الحبي ب فراح عنه مغادراً ومهاجرا

والله لولا أخرجوني ما خرج ت أحب أرض أنت يا أم القرى

ففي البيت الثاني تناص جلي مع قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) مخاطباً مكة: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت)[379].

والتناص مناسب مع موضوع القصيدة الذي يتحدث فيه الشاعر عن ذكرى هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى المدينة، يقول الشاعر قبل البيت موضع الشاهد:

يا عام جئت تذكر الدنيا بهجرة خير من وطئ الثريا والثرى

ومن التناص الجلي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (ولا تقربوا الزنى)[380]:

وتخيَّرْ ذات عرق إنه ال عرق دساسٌ كما قال (الأمين)

وذكر الشاعر في الهامش ما يأتي: «ذات عرق أي ذات أصل والمراد بالأمين رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»[381]. والتناص هنا جلي (مباشر)، فقد أشار إليه الشاعر في البيت حين قال: (كما قال الأمين)، وشرحه الشاعر في الهامش بذكر نص الحديث وتفسير المقصود بالأمين.

والتناص متناسب مع موضوع القصيدة الذي يدعو فيه الشاعر الشباب إلى اختيار ذات الدين العفيفة وترك (بياعة للهوى في السوق تغري المشترين). والقصيدة مليئة بالتناص الخفي أيضاً، وسنذكر بعض الأمثلة منه في المبحث الآتي.

التناص الخفي:

فمن التناص الخفي قوله في القصيدة السابقة (ولا تقربوا الزنى)[382]:

دعك من كاسية عارية عرضت عوراتها للجائعين

إنها والله خضراءُ الدِمَنْ نبتت كالوردِ في بَعرٍ وطين

ففي البيت الأول تناص خفي مع قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا)[383].

وفي البيت الثاني تناص خفي مع الحديث الشريف الذي ذكره الشاعر في الهامش، حيث قال:«الدمن جمع دمنة وهي المزبلة، والخضراء هي الشجيرة نبتت في المزبلة، إشارة إلى الحديث الوارد (إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء في المنبت السوء)»[384].

والتناصان متناسبان مع موضوع القصيدة، التي حاول فيها الشاعر استقصاء كل الآثار التي وردت في الصفات المذمومة في المرأة ليتجنبها الشاب المسلم المقدم على الزواج. وفي التناص مع

حديث (الكاسيات العاريات) وأنهن لا يدخلن الجنة، تنفير من هذا الصنف، وتحذير من الاقتراب منه.

ومن التناص الخفي أيضاً في القصيدة نفسها، قول الشاعر [385]:

رب سوداء تساوي عالَما إن غدت أم بنات وبنين

وذكر الشاعر في الهامش ما يأتي: «إشارة إلى الحديث الوارد: سوداء ودود خير من حسناء عقيم»[386]. وهو تناص لم يوفق الشاعر فيه –في رأيي– لأن العبرة بالأخلاق لا باللون. وقول الشاعر قبل هذا البيت:

لا تفاخرني بحسناء فكم غادةٍ كانت كزيف الزائفين

يوحي، والشاعر قطعاً لم يقصد ذلك، بأن كل حسناء مذمومة وزائفة ولا خير فيها، وهذا غير صحيح. ثم إن الحديث ضعيف، والشاعر متخرج في الأزهر الشريف، ويُستبعد أن يجهل ذلك. ولكن يبدو أن محاولة الشاعر استقصاء كل الآثار التي وردت في الموضوع، جعله يضمن حتى الأحاديث الضعيفة، عملاً بالرأي الذي يجيز الاستدلال بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال. والقصيدة كما ذكرنا مليئة بالتناص الجلي والخفي، ولعلنا نكتفي بهذا القدر من الأمثلة.

التناص الأدبي:

جاء التناص الأدبي في شعر عارف الشيخ جلياً وخفياً مع الشعر العربي قديمه وحديثه. وسنحاول في السطور الآتية إيراد بعض الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر.

التناص الجلي:

فمن أمثلة التناص الجلي مع الشعر قول الشاعر في قصيدة بعنوان (في فمي ماء) [387]:

وتمثلتُ بقولٍ رددته الشعراءُ
«في فمي ماء وهلْ ينطق من في فيه ماء»؟

فالتناص هنا جلي (مباشر) مع قول نزار قباني في قصيدة (إفادة في محكمة الشعر) [388]:

في فمي، يا عراق، ماءٌ كثيرٌ كيف يشكو من كان في فيه ماء؟

وقد جعل الشاعر البيت بين قوسين للدلالة على أنه تناص جلي، وقدم له بقوله: (وتمثلتُ بقول رددته الشعراءُ). والتناص هنا متناسب مع جو القصيدة التي يندب الشاعر فيها حال الأمة وما آلت إليه من ذل وهوان، ووقوف الشعراء والعلماء مكتوفي الأيدي منعقدي الألسن، لا يستطيعون فعل شيء أو قول شيء، وكأن في فمهم ماء. ورغم أن الشاعر لم يذكر مناسبة القصيدة إلا أنه يتضح من تاريخها (1982) أنها تتحدث عن الاجتياح الإسرائيلي للبنان ومجزرة (صابرا وشاتيلا)، وقد

أشار الشاعر إلى شيء من ذلك في آخر القصيدة حين قال[389]:

يا بني الأحزان في (صبرا) لكم منا العزاءُ

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (ميلاد فجر باسم) [390]:

الحرب قد حصدت فلم تترك (لخو لة ثم أطلالاً ببرقة ثهمدِ)

ففي البيت تناص مباشر مع قول طرفة بن العبد في معلقته [391]:

لخولة أطلال ببرقة ثهمدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وقد جعل الشاعر النص بين قوسين للدلالة على أنه اقتباس، وإن كان قد تصرف فيه قليلاً بما يتناسب مع بقية البيت من حيث الإعراب والوزن. والقصيدة نظمها الشاعر بمناسبة مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي نهايتها يخاطب النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله:

يا صاحب الذكرى يمر العام تلو العام لكن جرحنا لم يضمدِ

ثم يفسر ذلك في البيت موضع الشاهد بأن (الحرب قد حصدت) الأرواح والممتلكات ولم تترك حتى الأطلال التي يمكن للشعراء أن يقفوا عليها ليبكوها. ولعل الشاعر يرمز (بخولة) لفلسطين، التي غيَّر اليهود معالمها واسمها، ومحوا منها كل ما يدل على هويتها العربية الإسلامية.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله على لسان (سليمان خاطر) [392] في قصيدة بعنوان (عندما يموت الضمير) [393]:

أنا لا (أبالي حين اقتل مسلماً) فالويل تلو الويل للمتآمرِ

ففيه تناص هنا جلي مع قول الصحابي خبيبِ بن عدي (رضي الله عنه) من الأبيات التي أنشدها حين ساقته قريش ليقتل مصلوباً، بعد أن أُسر [394]:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

وقد وضع الشاعر النص بين قوسين للدلالة على أنه تناص جلي. والشاعر يرفض الإشاعة التي روجتها السلطات أن (سليمان خاطر) قد انتحر في السجن؛ وهو بهذا التناص يجعله في مرتبة الشهداء أمثال خبيب بن عدي (رضي الله عنه) الذي قتل صلباً.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (ذكرى خالدة) [395]:

(لقد علم القبائل من معدٍ) بأن الحزم شيمة أولينا

ففي البيت تناص جلي مع قول عمرو بن كلثوم، وقد ذكر الشاعر ذلك في الهامش[396]:

وَقَد عَلِمَ القَبائِلُ مِن مَعَدٍّ إِذا قُبَبٌ أَبطَحِها بُنينا

والقصيدة مليئة بالتناص الجلي مع معلقة ابن كلثوم، فمن ذلك أيضاً قوله [397]:

أهُنا أم تهاونا بدين فعدنا للجهالة قائلينا
(ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا)

وقوله أيضاً في القصيدة نفسها[398]:

حبانا الله قرآناً كريماً وديناً خير دين الله دينا
أيا من تدعون له انتماء لننهل كلنا منه اليقينا
(لنشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدراً وطينا)

وقصيدة عارف الشيخ نظمها بمناسبة ذكرى مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومطلعها:

دُعينا لاحتفالك يا نبينا محمدُ يا إمام المرسلينا

ويبدو أن الوزن والقافية، وهما يطابقان وزن وقافية معلقة عمرو بن كلثوم، هما اللذان جعلاه يضمّن أبيات عمرو فيها رغم عدم مناسبتهما لموضوع القصيدة، وإن كان الشاعر قد حاول أن يقدم لكل بيت بما يجعله يصلح للتضمين، مثل قوله: (فعدنا للجهالة قائلينا)، وأمثاله.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (وما توفيقي إلا بالله)[399]:

إني (وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه) لركابُ عزمي من ركاب الأولين

ففيه تناص جلي مع قول المعري[400]:

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه لآت بما لم تستطعه الأوائلُ

وقد وضعه الشاعر بين قوسين للدلالة على أنه ليس من شعره. والشاعر يتحدث في هذه القصيدة عن فخره بكونه مسلماً، وأنه لا يبالي بسخرية من يسخر منه لأنه يعلن أنه مسلم ويتبع (خير الأنبيا والمرسلين)؛ ويقول قبل هذا البيت:

فليسخروا مني فلست مبالياً إن يسخروا بي بالجموع الهازئين

وقوله (إن يسخروا بي) جملة اعتراضية اقتضاها الوزن ولا يؤثر حذفها في المعنى. ثم يورد البيت موضع الشاهد ليدل على أنه يتبع السلف الصالح ويتأسى بهم، وأن عزمه في ركابهم. والتناص مع بيت المعري –في رأيي– غير مناسب لأن بيت المعري في مقام الفخر بالنفس، وأنه وإن جاء في زمن متأخر إلا أنه سيأتي بما لم يستطعه الأوائل. أما بيت عارف الشيخ ففي مقام التأسي (بالأولين)،

وأن صلاح آخر الأمة لن يكون إلا بما صلح به أولها.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله يصف فظائع اليهود في قصيدة بعنوان (في ذكرى الإسراء)[401]:

وهناك أشبال العروبة قُطعت أجسادهم بقذائف النيران
وسواعدٌ كسرت على أيدي برا برة العداء كقوائم الخرفان
(هلا سألت الخيل يا ابنة مالك) ما بالها كسرت فهم فرساني

ففي الشطر الأول من البيت الأخير تناص جلي مع قول عنترة في المعلقة[402]:

هَلا سَأَلتِ الخَيلَ يا ابنَةَ مالِكٍ إِن كُنتِ جاهِلَةً بِما لَم تَعلَمي

وفي استدعاء بيت عنترة ما يصور المفارقة بين ماضي العرب وحاضرهم. فقد كانوا أهل عز لا يقبلون الضيم. ثم أصبحوا يسومهم العدو الخسف والظلم، وهو راضون خانعون. ولهذا جاء التناص هنا مناسباً للسياق ولموضوع القصيدة وجوها.

التناص الخفي:

من أمثلة التناص الخفي قول الشاعر في قصيدة بعنوان (هموم داعية)[403]:

يا رفاقي قفوا لنبكِ جميعاً إننا اليوم أمة كالهباءِ

ففي قوله (قفوا لنبك) تناص خفي مع قول الشعراء الجاهليين الذين كانوا يقفون على الأطلال، ويطلبون من رفيقيهم أن يتوقفا عن المسير ليبكوا من ذكرى تلك الأطلال. ولعل أشهرهم هو امرؤ القيس، الذي يقول في معلقته الشهيرة [404]:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وفي استدعاء هذا التركيب وهو الوقوف للبكاء، وربطه بحال (الأمة البلهاء) ما يوحي بأن الشاعر يرى أن الأمة قد أصبحت أطلالاً خاوية بعد أن كانت عامرة بالحياة، فحق لها أن تُبكى كما كان الجاهليون يبكون أطلالهم.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (يا ليلة قدسية النفحات)[405]:

أنا إن ضحكت فكاشرٌ عن نابه وإذا بكيت فعسجدٌ دمعاتي

ففيه تناص خفي مع قول المتنبي[406]:

إذا رأيت نيوب الليث بارزةً فلا تظنن أن الليث يبتسمُ

والقصيدة نظمها الشاعر –فيما يبدو– على لسان المسجد الأقصى، والشاعر لم يصرح بذلك ولكن أبياتها بالإضافة إلى العنوان توحي بهذا. وقبل البيت موضع الشاهد يقول:

يا عصبةً عصفت بكل مشاعرٍ واستسلمت سفهاً لحاخاماتِ
لا تحسبيني دمعةً هدارةً أو أنني يوماً تلين قناتي

فكأن الشاعر يقصد أن المسجد الأقصى، وإن صمت وأغضى على الذل، فإنه سينفجر يوماً ما. وجاء استدعاء بيت المتنبي ليوحي الشاعر من خلاله بأنه إذا كان ظهور أنياب الليث لا يدل على الابتسام، فكذلك صمت المسجد الأقصى لا يدل على رضاه بما آل إليه من أسر في أيدي الحاخامات.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (ميلاد فجر باسم)[407]:

ولد الهدى والنور ملء فؤاده يا حلكة الليل البهيم تبددي

ففي البيت تناص خفي مع قول أحمد شوقي[408]:

ولد الهدى فالكائنات ضياءُ وفم الزمان تبسم وثناءُ

واستدعاء بيت شوقي مناسب لجو القصيدة التي هي في مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وقوله: (يا حلكة الليل البهيم تبددي) يتناسب مع قول شوقي (فالكائنات ضياء)، أكثر مما يتناسب مع الشطر الأول الذي جعل (النور ملء فؤاده)، ولم يجعله يمتد ليشمل كل الكائنات.

خاتمة

وهكذا تجولنا في ديوان (نداء الإسلام) للشاعر عارف الشيخ، وتتبعنا نماذج من التناص الديني والأدبي بنوعيه الجلي والخفي. ورأينا أن الشاعر قد أكثر من التناص الديني والأدبي بنوعيه مما يدل على عمق ثقافة الشاعر الدينية والتراثية؛ وقد جاء التناص في معظمه متناسباً مع موضوع القصيدة وجوها.

التناص في شعر عبد الرحمن العبادي

مقدمة

يعد الشاعر عبد الرحمن العبادي (1956م) من الشعراء المقلين؛ فقد أصدر ديواناً يتيماً عام 1989م بعنوان (بشائر الفجر) ثم توارى عن الساحة الثقافية. ويتميز شعره بغلبة الاتجاه الإسلامي عليه، فجميع قصائد الديوان –كما يوحي العنوان وكما أشار الشاعر صراحة في المقدمة– تعبر عن حال واقع خلال سنة نشر الديوان، وتستشرف إلى أمل عزيز هو «عودة الإسلام المجيد إلى الحياة من جديد»[409]. ولذلك غلبت على قصائده الدعوة إلى تمجيد الجهاد ضد الروس المحتلين، وانتفاضة أطفال الحجارة ضد اليهود الغاصبين.

وقد التزم الشاعر بالشكل العمودي للشعر، ورتب قصائد الديوان حسب الحروف الأبجدية. والشاعر يبدو متمكناً من اللغة، وتميل ألفاظه إلى الجزالة، التي قد تصل إلى حد الغريب، كما في قوله[410]:

فإذا الأرض من لهيب يبابا وإذا الدور منه كالصحصحانِ

والصحصحان هي الأرض المستوية، كما شرحها الشاعر في الهامش.

ورغم تمكنه من ناصية اللغة، إلا أنه قد وقع في بعض الهنات اللغوية كما قوله[411]:

عهدَ الخلافة إننا عطشى إلى ريٍّ فجد لقلوبنا بجهام

والجهام هو السحاب الذي لا ماء فيه، وليس هذا قصد الشاعر، ولعله قصد بالجهام، مطلق السحاب؛ على أنه لو استخدم (الغمام) بدل (الجهام) لكان أبلغ في رأيي.

وهو متمكن أيضاً من الوزن، وقد يلجأ إلى بعض الأوزان المهجورة، كما في قصيدته التي بعنوان (رب ليل)، ومطلعها[412]:

وربَّ ليلٍ يحسبُ العبيدُ أن دجاه سوف لا يحيدُ

فوزنها: (مستفعلن مستفعلن فعولُ)، ويمكن أن نعدها من بحر الرجز التي وقع في تفعيلتها الأخيرة ثلاث علل هي (القطع والخبن والقبض)، كما يمكن أن نعدها من البحور غير المستخدمة. وهي على وزن قصيدة عبيد بن الأبرص المشهورة[413]:

أَقفَرَ من أهله مَلحوبُ فَالقُطَبِيّاتُ فَالذَنوبُ

وهي مضطربة الوزن، حتى قال ابن رشيق في (العمدة) إنها: (كادت تكون كلاماً غير موزون)[414].

وسنحاول في هذه الدراسة القصيرة أن نتلمس التناص في شعر العبادي، الذي ورد بأنواعه المختلفة: الديني والأدبي والتاريخي؛ وسنورد بعض الأمثلة من كل منها.

التناص الديني

جاء التناص الديني من خلال الاقتباس المباشر وغير المباشر من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.

التناص مع القرآن الكريم

ورد التناص مع القرآن الكريم بنوعيه الجلي والخفي. فمن التناص الجلي قوله في قصيدة بعنوان (المستقبل الكوني)[415]:

قد قال الجبار (أعدوا) فافطن للحق ودعوته

ففيه تناص جلي مع قول الله تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) (الأنفال، 60)، كما أشار الشاعر في الهامش.

ومن أمثلة التناص الخفي مع القرآن الكريم قوله في قصيدة بعنوان (نجوى)[416]:

ولك الجاريات في البحر كالأعلا م والمرسلات والأنواءُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ) (الرحمن، 24). ومن ذلك أيضاً قوله في القصيدة نفسها[417]:

أو تشأ تسقط النجوم بأرضٍ فإذا الحي والتراب سواءُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ((سبأ، 9). ومنه أيضاً قوله[418]:

سبح الله فيك كل جمادٍ والروابي والبيد والأرجاءُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (الإسراء، 44)

وقد جاء التناص في الأمثلة السابقة مناسباً للسياق، منسجماً مع جو القصيدة التي ورد فيها وموضوعها.

ومن التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قوله[419]:

فتولى بركنه وتعامى يوم جاءت لهديه الأنبياءُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) (الذاريات، 39-38). وقد جاء التناص مناسباً لوصف «الكفور» في البيت السابق، الذي يكفر بالله بينما المخلوقات من حوله تسبح الله:

غير هذا الكفور حين تناسى فطرة الله واعتراه الغباءُ

ومن ذلك أيضاً قوله[420]:

فأتت في زمانها الرسل تترى رسل الله للهدى سفراءُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) (المؤمنون، 44).

وقد جاء التناص مناسباً لسياق الأبيات التي تتحدث عن الأمم السابقة التي عبدت الأصنام والصخور فأرسل الله إليهم الرسل لهدايتهم.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله، في قصيدة بعنوان (في ذكرى الإسراء والمعراج)[421]:

ومنه جزتَ إلى السبع الطباق فما ونى البراق وما في الأمر إبطاءُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ) (الملك، 3).

وقد جاء التناص مناسباً لسياق الأبيات التي تتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج، حيث عرج النبي صلى الله عليه وسلم، إلى السموات العلى.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (تحية في الملتقى)[422]:

بحروبٍ ذرية تهلك الحر ثَ وتفني لوالدٍ ووليدِ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ((البقرة، 205).

وقد جاء التناص مناسباً لوصف الذين يشعلون الحروب الذرية بأنهم من المفسدين الذين عنتهم الآية الكريمة، الذين إذا تولوا وملكوا القوة دمروا غيرهم من الشعوب واستعبدوها.

ومن ذلك أيضاً قوله في القصيدة نفسها[423]:

جعلتْ ساحة البلاد يباباً فهي في الأرض كالهشيم الحصيد

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) (الكهف، 45)، وقوله تعالى: (فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ)(الأنبياء، 15).

وقد جاء التناص مناسباً للسياق حيث يصف آثار الحرب الذرية المدمرة على البلاد بعد أن ذكر أثرها على العباد في البيت السابق.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (ثورة النصر)[424]:

وما رميت ولكن الإله رمى فإذ هم اليوم مخبولٌ ومنتحرُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاء حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال، 17).

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة التي تتحدث عن ثورة أطفال الحجارة في فلسطين. فهو يشبه أثر رميهم للعدو بالحجارة بمثل أثر رمي الرسول صلى الله عليه وسلم لجيش المشركين في بدر. وفي هذا تأكيد لقدسية هذه الثورة ومباركة الله تعالى لها.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (أحب طلائع الفجر)[425]:

وسلمنا بيمنانا صحائفنا بلا إصرِ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) (الانشقاق، 8-7). وقد جاء التناص مناسباً لسياق الأبيات التي يبتهل الشاعر فيها إلى الله تعالى أن يوفقه ويثبته على الأمر، وأن يسلمه صحائفه يوم الحشر بيمينه، كناية عن دخول الجنة.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (أنات قلب)[426]:

أو بها الآذان وقرٌ فغدت في الفضاء الرحب تشكو الصمما

وقد وردت لفظة (وقر) في آيات كثيرة، منها قول الله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (لقمان، 7)

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة التي يتحدث فيها الشاعر عن أساه وحزنه لغفلة الناس عن الحق، وتغليب شرعة «أبي جهل»، وعبادة الطاغوت. ويتساءل عن سبب ذلك: أبهم مس من جنون، أم بآذانهم وقر عن سماع آيات الوحي؟.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (أمة الجهاد)[427]:

لا تبالوا بالأكثرين فجند ال كفران رغم الجمع في خسرانِ

ذاك وعدٌ للمؤمنين بوحي منزلٌ فيه محكم القرآنِ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)(البقرة، 249).

ومنه أيضاً قوله في القصيدة نفسها:

قد أتتكم ملائك النصر تترى ضربت في العدو كل بنانِ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي

فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)(الأنفال، 12).

وقد جاء التناص مناسباً لسياق القصيدة التي تتحدث عن الجهاد في سبيل الله. والشاعر يبشر المجاهدين بالنصر رغم قلة عددهم وعدتهم مقارنة بجيش العدو المدجج بأحدث الأسلحة، لأنهم على الحق، والله وعد جند الحق بالنصر في كتابة رغم قلة عددهم؛ وأنه سيؤيدهم بالملائكة كما أيد المقاتلين في بدر.

التناص مع الحديث الشريف

جاء التناص مع الحديث الشريف من النوع الخفي، فمن ذلك قوله في قصيدة بعنوان (جد بغيث الزمان)، مخاطباً أمته[428]:

ولماذا العدا إليك تداعوا وسطوا في الحمى على الأقوات

ففيه إشارة خفية إلى حديث ثوبان المشهور: (توشك أن تداعى عليكم الأمم ..). ومثله قوله في قصيدة بعنوان(هل هؤلاء المسلمون)[429]:

فالمسلمون على ربى الـ دنيا غثاءٌ ضائعونْ

ففيه أيضاً تناص خفي مع الحديث السابق.

وقد جاء التناص مناسباً لسياق الأبيات في القصيدتين. ففي القصيدة الأولى يخاطب الشاعر «المارد» الإسلامي ويطلب منه أن يخرج من قمقمه:

أيها المارد الذي ليس يبقى أبد الدهر غارقاً في سبات

ثم يشير إلى أن تداعي الأمم على المسلمين اليوم سببه ضعفهم، ولذلك يطالبهم بالنهوض والأخذ بأسباب القوة حتى يصدوا عدوان المعتدين ويعيدوا أمجادهم.

وفي القصيدة الثانية يصف المسلمين المعاصرين وضعفهم، ويتساءل في استنكار: هل هؤلاء المسلمون؟.

التناص الأدبي

جاء التناص الأدبي بنوعيه الجلي والخفي. فمن التناص الجلي قوله في قصيدة بعنوان (يا ليلاً طال)، ومطلعها[430]:

يا ليلاً طال متى غده أقريبٌ فجرك موعدُهُ

فقد صرح الشاعر في تقديمه لها أنه يعارض بها قصيدة الحصري القيرواني التي مطلعها:

يا ليل الصب متى غدُهُ أقيام الساعة موعدُهُ

وقد كاد مطلع الشاعر أن يطابق مطلع الحصري، إلا أن الشاعر قد قلب المعنى من العشق كما في قصيدة الحصري، إلى الليل المعنوي الذي يغشى العالم، وهو كناية عن الغفلة والبعد عن الله، والفجر الذي ينتظره الشاعر هو فجر الإسلام:

يا ليلاً طال متى يأتي فجر الإسلام وأشهدُهُ

ورغم تمكن الشاعر من الوزن في معظم أبيات القصيدة، إلا أن الوزن قد فلت منه في بعض الأبيات، كما في قوله:

والإنسان حثيثاً يسعى لحياة الأمن فتسعدُهُ

إضافة إلى عيب من عيوب القوافي هو السناد؛ وهو اختلاف ما يُراعى قبل الروي[431]، وقد وقع الشاعر هنا في ما يعرف بسناد التأسيس، ومن أمثلته في هذه القصيدة قوله:

ورماه الجند بجولتهم وسقاه العلقم خالدُهُ

والمقصود (بخالده) خالد بن الوليد.

أما التناص الأدبي الخفي، فهناك أمثلة متعددة له، منها قوله في قصيدة بعنوان (نجوى)[432]:

وإذا شئت فالحياة بضيقٍ وإذا شئت فالحياة رخاءُ

ففيه تناص خفي مع قول أحمد شوقي[433]:

رب إن شئت فالفضاء مضيقٌ وإذا شئت فالمضيق فضاءُ

ومن ذلك أيضاً قوله في القصيدة نفسها[434]:

يوم أن لم يكن هناك بصيص ضياء في ربى الكون والقلوب هواءُ

ففيه تناص خفي مع قول أحمد شوقي[435]:

فاتقوا الله في قلوب العذارى فالعذارى قلوبهن هواءً

ومن أمثلته أيضاً قوله[436]:

هكذا كانت الحياة ظلاماً وضلالاً والكائنات نداءُ

ففيه تناص خفي مع قول شوقي[437]:

ولد الهدى فالكائنات ضياءُ وفم الزمان تبسم وثناءُ

وقد جاء التناص في الأبيات السابقة مناسباً للسياق، حيث بدا الشاعر متأثراً بهمزيات شوقي في كثير من أبياتها. وناسب التناص الجو الديني للقصيدة، حتى في ذلك البيت المتأثر بقصيدة غزلية لشوقي (القلوب هواء)، فشوقي اقتبسه من الآية الكريمة (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء) (إبراهيم، 43)، وقد آثرنا أن نعده من التناص الأدبي مع شوقي، لا من التناص الديني مع القرآن الكريم، لأن الشاعر في هذه القصيدة أكثر من التناص مع همزيات شوقي، مما يدل على أنه نظر إلى قول شوقي، ولم ينظر للآية الكريمة.

ومن أمثلة التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (في ذكرى الإسراء والمعراج)[438]:

محمدٌ خير خلق الله قاطبةً وخير من حملت في الدهر غبراءُ

ففيه تناص خفي مع قول الشاعر راشد بن خميس الحبسي العماني:

محمدٌ خير خلق الله قاطبةً أكرمْ به من نبيٍّ فاق كلَّ نبي

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة وسياقها، وهو مدح النبي صلى الله عليه وسلم والثناء عليه.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (هل هؤلاء المسلمون؟)[439]:

تاهت بي الأفكار في دنيا تسربلها الظنونْ
فتساءلت شفتاي عن هذا التصابي والمجونْ
هل هؤلاء القوم حقاً في البرايا المسلمونْ؟

ففيها تناص خفي مع قول محمود حسن إسماعيل في قصيدته التي عنوانها (المسلمون)[440]:

من هؤلاء الضائعون؟ أفهؤلاء المسلمون؟
أبداً ! تكذبني، وترجمني الحقائق والظنونْ

وقد جاء التناص مناسباً للسياق الذي يتساءل فيه كلا الشاعرين باستنكار عن الحالة التي وصل إليها المسلمون اليوم، بعد أن تخلوا عن تعاليم دينهم التي تحثهم على الأخذ بأسباب القوة.

التناص التاريخي

وردت في الديوان إشارات كثيرة إلى حوادث وشخصيات تاريخية، فهناك قصيدة كاملة عن السلطان عبد الحميد بعنوان: (عبد الحميد والخلافة الضائعة)[441]، وهناك إشارة إلى جهاد

القواسم ضد البرتغاليين[442]، وغيرها. ولكنا سنقتصر هنا على ذكر التناص مع أقوال بعض تلك الشخصيات التاريخية. وقد جاء هذا التناص التاريخي بنوعيه الجلي والخفي.

فمن التناص الجلي قوله في قصيدة بعنوان (جد بغيث الزمان)[443]:

أين عهدٌ نقول للمزن « سيري أينما جدتِ إن خيرك آتِ» ؟

وقد ذكر الشاعر في الهامش أن ذلك «إشارة إلى قول الرشيد للسحابة: أمطري حيث شئتِ فإن خراجك سيأتيني، كناية عن اتساع رقعة الدولة الإسلامية آنئذ». وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة وسياق الأبيات التي يتحدث فيها الشاعر عن ماضي المسلمين المجيد يوم كانوا أقوياء يهابهم الأعداء.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (عبد الحميد والخلافة الضائعة)[444]:

قد قال قولة مدركٍ للكيد والأمر الخطيرِ
«لن تبلغوا البيت المقد س ما بقيت على السريرِ
أعلى فلسطين أقيم لغادرٍ رايات زورِ»؟

ففيه تناص جلي مع رد السلطان عبد الحميد على اليهود الذين حاولوا أن يأخذوا منه صكاً بإعطائهم فلسطين مقابل أن يسددوا كل ديون الدولة، حيث رفض رفضاً قاطعاً أن يفرط في فلسطين ما دام حياً. وقد جاء التناص مناسباً لسياق القصيدة التي يعدد الشاعر فيها مناقب السلطان عبد الحميد، وموقفه البطولي من اليهود الذين حاولوا رشوته للتخلي لهم عن فلسطين.

أما التناص الخفي فلم يرد له إلا مثل واحد هو قوله في قصيدة بعنوان (العروة الوثقى)[445]:

عزة العرب بنور الوحي لا ما يدعي أهل الضلال الجاهلونا
إن من يرجو بغير الله عزاً عثرت خطوته في العاثرينا

ففيه تناص خفي مع قول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما نبتغي العز في غيره يذلنا الله).

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة التي يتحدث فيها الشاعر عن (العروة الوثقى) التي تربط بين جميع المسلمين على اختلاف ديارهم؛ حيث يقول في مطلعها:

وطني كل بلاد المسلمينا وأخي كل أخٍ في المؤمنينا

فهو يرى أن الرابطة الحقيقية التي يجب أن تربط الأمة هي رابطة الدين، لا رابطة العروبة، لأن عزة العروبة إنما هي في الإسلام، لأن العرب هم حملة هذا النور إلى العالمين:

فبها العرب ضياء لربانا وبها العرب هداة العالمينا

خاتمة:

وهكذا تتبعنا التناص في شعر عبد الرحمن العبادي، ورأينا أن أكثره جاء مع القرآن الكريم، وهذا متناسب مع موضوع قصائد الديوان، حيث غلب عليها الطابع الإسلامي. كما ورد التناص الأدبي والتاريخي بنوعيه الجلي والخفي، وقد وظفه الشاعر توظيفاً إسلامياً يخدم موضوع القصائد وسياق الأبيات.

التناص في شعر سيف بن محمد المري

مقدمة

الشاعر سيف بن محمد المري (1962م) شاعر أخذته الصحافة عن الشعر، كما يقول في مقدمة ديوانه، إلا أنه تحت إلحاح زملائه تشجع على نشر ما لديه من شعر في مجموعتين هما (الأغاريد) و(العناقيد) ثم أعاد إصدارهما في مجموعة واحدة تحت عنوان (الأغاريد والعناقيد).

والمتأمل في قصائد المجموعتين يجد أن الشاعر محافظ على الشكل العمودي مخلص له، إلا فيما ندر. ويبدو أن لجوءه للشعر التفعيلي جاء نتيجة الرغبة في الانجاز السريع، فالمجموعة الأولى تحوي أربع قصائد تفعيلية فقط من بين ثمان وثلاثين قصيدة، أي حوالي العُشُر، بينما تحوي المجموعة الثانية إحدى عشرة قصيدة من أصل خمس وثلاثين، أي ما يقارب الثلث. ولعل مرد ذلك إلى انشغاله بالعمل الصحافي أثناء نظم المجموعة الثانية أكثر من ذي قبل. وبالإجمال فشعر سيف يدل على مخزون وافر من المفردات التراثية، وتمكن من الوزن والقافية، وإيثار للمفردات الجزلة التي قد يصل بعضها إلى حد الغريب، كما في قوله في (قصيدة الرياح)[446]:

أهبت على ربعك الحرجفُ　　فأنكرتَ منه الذي تعرفُ

ومنها:

سرى زائراً حملت نشره　　نسائم سجسجها قرقفُ

فمفردات مثل: الحرجف، والسجسف، والقرقف[447]، لن يتمكن القارئ المعاصر من فهمها دون الرجوع إلى المعاجم.

ومع هذا الاحتفال بالتراث والانحياز له، فإن التناص الأدبي يبدو قليلاً في شعر سيف المري مقارنة بالتناص الديني، ولعل مرد ذلك إلى تنشئته الدينية التي تبدو واضحة في شعره، حيث خلا ديوانه مما يمكن أن يوصف بالأدب المكشوف، ومن ذكر الحانات، ووصف النهود. وجاء غزله عفيفاً شريفاً لا يُزنُّ بريبة.

وسنحاول في السطور الآتية تتبع أمثلة من التناص الديني والأدبي في شعر سيف المري، مع محاولة بيان كيف وظفه الشاعر في شعره.

التناص الديني

جاء التناص الديني في شعر سيف المري مع آيات من القرآن الكريم، ولم نجد شيئاً مما يمكن أن يدرج ضمن التناص مع الحديث الشريف، باستثناء قصيدة (شهر الهدى والنصر)[448] التي أورد فيها طرفاً من سيرة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم). وجاء التناص مع القرآن الكريم من النوع الخفي باستثناء حالة واحدة، هي قوله في قصيدة بعنوان (شرف العمل)[449]:

جيلَ الشباب الصاعدين تأملوا　　الله قال بآيه وقل اعملوا

ففيه تناص جلي مع قول الله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة، 105).

والشاعر في القصيدة يحث الشباب على العمل، وبدأ في المطلع بتذكيرهم بمدح الله تعالى للعمل، ثم ثنى بحث النبي (صلى الله عليه وسلم) والأنبياء السابقين له على العمل، وكيف أن داود (عليه السلام) كان حداداً يصنع الدروع، ونوحاً (عليه السلام) كان نجاراً، .. إلى آخر ذلك. ويحثهم على عدم الخجل من أي عمل شريف، بل ينبغي أن يخجلوا من البطالة:

لا تخجلوا من أيما عمل به　　شرفٌ ومن عيب البطالة فاخجلوا

ثم يذكرهم بما قدمته بلادهم لهم من خير، ويطلب منهم أن يردوا لها الجميل:

ردوا لها حُسن الصنيع مضاعفاً　　وببذلكم وبجهدكم لا تبخلوا

ويبدو استدعاء الآية الكريمة مناسباً للسياق، وفيه تذكير بقيمة العمل في الإسلام، وتأكيد على أن يكون العمل متوافقاً مع ما أباحه الله، بعيداً عما حرمه، لأن الله سيرى هذا العمل، وسيثيب أو يعاقب عليه.

أما التناص الخفي فأمثلته كثيرة، منها قوله في قصيدة بعنوان(ليل الأشواق)[450]:

في جنان من الجمال وحورٍ　　تبعث السحر بكرةً وأصيلا

فقوله في الشطر الثاني (بكرة وأصيلاً) تركيب قرآني ورد في آيات كثيرة، منها قول الله تعالى: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا) (الإنسان، 25)، وهو كناية عن المداومة والاستمرار في الذكر وهي الصلاة، وقد خصصها بعض المفسرين بصلاتي الفجر والعصر[451]. والشاعر يتحدث قبل هذا البيت عن قلبه الذي تاه في عالم الحسن:

تاه قلبي في عالم الحسن يرجو　　جدولاً بارداً وظلاً ظليلا

فالبيتان يتحدثان عن أمنية الشاعر أن يجد لقلبه الجدول البارد والظل الظليل في جنان من الجمال وحور تبعث السحر صباح مساء. واستدعاء الآية يتناسب مع ذكر الجنان والحور، فكلها ألفاظ قرآنية. وفيه أيضاً ما يوحي بأن الشاعر ينظر للجمال نظرة تقديس وكأنه يعد التأمل فيه في منزلة الصلاة والذكر.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (قصيدة الرياح)[452]:

وتنسجه ذاريات الدبور　　فيطلقها قاعه الصفصفُ

ففي الشطر الأول تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) (الذاريات، 1). والذاريات هي

الرياح لأنها تذرو التراب وغيره[453]. وفي الشطر الثاني تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا* فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا* لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا) (طه، 107-105)، والقاع هي الأرض المستوية والصفصف هي الأرض المستوية الملساء. والآية تتحدث عن أهوال يوم القيامة، حيث تنسف الجبال حتى تصير هي والأرض سواء. والشاعر يتحدث في القصيدة عن ربعه الذي عفا عليه الزمن وهبت عليه الرياح حتى أذهبت جدته وجعلت أرضه صفصفاً. واستدعاء الآية الكريمة من خلال مفردة القاع الصفصف يوحي بأن ما مر على هذا الربع من أحداث يشبه أهوال يوم القيامة، حتى أن منازله التي كانت شامخة في وقت ما قد أصبحت قاعاً صفصفاً.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في القصيدة نفسها:

عصوفٍ بلا رحمة صرصرٍ ونكباء تقذف ما تقذفُ

ففي الشطر الأول تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) (الحاقة، 6). والشاعر يشبه الريح التي هبت على ربع الحبيبة وديارها بالريح الصرصر، وهي الريح الباردة الشديدة الهبوب، التي أهلكت قوم عاد. وهو بذلك يعطي صورة بشعة مخيفة لتلك الريح التي لا ترحم، كأنها ريح عذاب.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (يوم الحصاد)[454]، وهي القصيدة التي ألقاها الشاعر في حفل تكريم الحاصلين على شهادات الماجستير والدكتوراه الذين حازوا جائزة الشيخ راشد بن سعيد للتفوق العلمي:

فإذا بأعظم أمةٍ قد أخرجت للناس خلف الناسِ بعد تصدرِ

ففيه تناص خفي مع قوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران، 110). والشاعر يتحدث عن أمة المسلمين كيف أصبحت في مؤخرة ركب الحضارة بعد أن كانت في الصدارة منه. وفي ذكر صفة (خير أمة أخرجت للناس) تشنيع وتبكيت للمسلمين الذين رضوا بأن يكونوا (خلف الناس) بدل أن يكونوا قادتهم إلى الخير، يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر. فلو قال الشاعر مثلاً: فإذا الأمة العظيمة غدت خلف الناس، لما كان له الأثر الذي يثيره ذكر الآية الكريمة، لما فيه من إظهار المفارقة العظيمة بين (خير أمة أخرجت للناس) كما ينبغي لها أن تكون وبين وضعها الحالي (خلف الناس). والشاعر يرد تأخر الأمة إلى تخليها عن العلم والسلاح:

والعز إما في سنان يراعة كتبت وإما في سنان السمهري

ومن التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (قولة حق)[455]:

فلا ذل إلا للذي سمك السما هو الله تندك الجبال له ذعرا

ففي الشطر الثاني إشارة إلى قصة موسى مع ربه عز وجل حيث طلب منه موسى أن ينظر إليه، قال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (الأعراف، 143).

والشاعر هنا يصور العزة التي يجب أن يتحلى بها المرء، فلا يحني جبهته ولا يذل إلا لله الذي تندك الجبال لعظمته. والشاعر بذلك يشير إلى أنه لا يخشى من جبروت أي قوي من البشر، لأنه مؤمن بالله ولذلك فلا يخشى إلا الله، جبار السماء الذي تندك لعظمته الجبال قادر على أن يحميه ممن يريد به شراً، وحيث أنه في معية الله، فلا ينبغي له أن يخاف أو يذل لأي جبار على الأرض.

ومن التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (السعادة)[456]:

والظل تحت النخيل دانٍ مبارك طلعها هضيمُ

ففيه تناص مع قول الله تعالى: (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) (الشعراء، 147 - 148). والهضيم: اللطيف الضامر، من قولهم: كشح هضيم. وفي استدعاء الشاعر للآية الكريمة ما يدل على فضل النخل على سائر الشجر. وقد ذكر الزمخشري في تفسيره لهذه الآية أن الله خص النخل بالذكر بعد دخوله في جملة سائر الشجر (جنات)؛ تنبيهاً على انفراده عنها بفضله عليها[457].

وللنخل مكانة خاصة في نفس الشاعر حتى أنه أفرد لها قصيدة بعنوان (النخلة)[458]، مطلعها:

هامت بحب النخلة الشعراءُ فجرت على سنن الهوى الأهواءُ

وفيها يعدد مزايا النخل، ويذكر فضلها وارتباطها بالسيدة مريم العذراء عليها السلام، وذلك في قوله:

وتساقط الرطب المبارك عندما هزت بجذع النخلة العذراءُ

وفي هذا البيت تناص خفي مع قول الله تعالى مخاطباً السيدة مريم عليها السلام: (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) (مريم، 25). وفي استدعاء الآية الكريمة هنا أيضاً تقديس للنخلة وإظهار لفضلها على سائر الشجر، وارتباطها بالأنبياء والقديسين.

وفي نهاية القصيدة يتحدث الشاعر عن معرفة الإماراتيين لقدر النخلة وحقها فهم:

لم يقلعوها كي يشيَّدَ فندقٌ أو يحرقوها كي يقام بناءُ

ولعل الشاعر يعرض بالذين فعلوا ذلك بحق النخل في بعض البلاد العربية التي يكثر فيها النخل، أو لعله تحذير لمن تسول له نفسه التفكير في هذا الأمر. وهو بهذا يخالف رأي الشاعر عارف الشيخ الذي نظم قصيدة على لسان النخلةتشكو إلى الله ما أصابها على يد قومها، وفيها يقول على لسان

النخلة(459):

قلعوني من الجذوع ليبنوا في مكاني مساكناً للكراء

ومن التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (في محراب التفكير)(460):

من شيّد السبع الطباق بأمره وأقام فيها حكمه المفعولا

فارجع بها البصر الذي أوتيته لك ينقلبْ متحسراً مخذولا

ففي البيتين تناص خفي مع قول الله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) (الملك، 4-3). وقبل البيتين يتحدث الشاعر عن صروف الدهر التي (تذر العزيز ذليلاً) وأن النجاة منها إنما تكون باللجوء إلى الرحمن:

فالجأ إلى الرحمن أمنع ملجأ واقصده تلقَ الأمن والمأمولا

ثم يتحدث في البيتين موضع الشاهد عن عظمة الخالق سبحانه، الذي خلق السبع الطباق، التي هي من العظمة بحيث يرتد الطرف عنها خائباً حسيراً لأنه لم يجد فيها فطوراً ولا عيباً. يقول الزمخشري في تفسيره للآية: «أي إن رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدارك العيب، بل يرجع إليك بالخسوء والحسور، أي بالبعد عن إصابة الملتمس»(461). وفي استدعاء الشاعر لآيات سورة الملك، بما فيها من تمجيد لعظمة الخالق سبحانه المتجلية في عظمة الكون من حولنا، تأكيد على أن الله هو أحق من يُلجأ إليه لأنه سبحانه هو مالك الكون ومصرفه.

ومن التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (شهر الهدى والنصر)(462)، التي يعدد فيها معجزات مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثل تنكيس الأصنام، وتصدع الإيوان، وانطفاء نار المجوس، ومن هذه المعجزات:

والشهب ترجم كل شيطان سعى يرجو استراق السمع في إصغائه

ففي البيت تناص خفي مع قوله تعالى على لسان الجن: (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا) (الجن، 9). واستدعاء الآية متناسب مع السياق، وهو تعديد معجزات مولده (صلى الله عليه وسلم) ومنها منع الشياطين من استراق السمع بعد أن كان ذلك متاحاً لهم من قبل.

ومن التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (إمام)(463):

وبسمعي وقر عن العذل فانظر ما ترى في فتى يعاني الغراما

وتشبيه عدم السمع بمن (في أذنيه وقر) من التشبيهات القرآنية؛ والوقر هو الثقل الذي يمنع من السمع. وقد جاءت المفردة في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) (فصلت، 5).

فكأن الشاعر باستخدامه لهذا التشبيه القرآني يشير إلى أن العاشق يعلم ما في أقوال من ينصحونه من حق، ولكنه لغلبة الهوى عليه لا يستطيع أن يطيعهم فيما يدعونه إليه، من ترك الهوى ونسيان المحبوب، تماماً مثلما هي حال الكفار الذين يعلمون أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) صادق في ما يدعوهم إليه، ولكنهم لغلبة الهوى فإنهم لا يطيعونه ولا يتابعونه فيما يأمرهم به. وقد أعطت تلك المفردة (الوقر) للبيت قوة في التعبير لا تستطيع أي مفردة أخرى أن تعطيه، ووفق الشاعر فيها أيما توفيق.

التناص الأدبي:

جاء التناص الأدبي في شعر سيف المري قليلاً –كما أشرنا من قبل– مقارنة بالتناص الديني. وكما هو الحال في التناص الديني، جاء التناص الأدبي أيضاً من النوع الخفي، باستثناء حالة واحدة هي قوله في قصيدة بعنوان (الأمير الصياد)(464) التي قالها في مدح الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، وكان قد مر لزيارته فقيل له إنه سافر للقنص:

قد تذكرت قولة المتنبي عندما هم بالرحيل الهمامُ

(ليت أنا إذا ارتحلت لك الخيل وأنا إذا نزلت الخيامُ)

وذكر في الهامش أن «البيت بين قوسين لأبي الطيب المتنبي في مدح سيف الدولة». والبيت الثاني هو تناص جلي مع قول المتنبي بنصه، وقد جعله الشاعر بين قوسين للتأكيد على أنه ليس من شعره، وقدم في البيت السابق لاسم الشاعر ومناسبة قوله. والتناص هنا مناسب للقصيدة التي قيلت في مدح أمير –كما هو الحال في قصيدة المتنبي– وحال الأميرين أيضاً متشابهة فكلاهما على سفر؛ أحدهما للقنص والآخر للقتال. وفي استدعاء بيت المتنبي تماهٍ بين الشاعر والمتنبي فكأنه يعد نفسه من الشيخ محمد بمثابة المتنبي من سيف الدولة، على الأقل في هذا الموقف الذي يصف فيه كل منهما سفر ممدوحه، ويتمنى الشاعران – المتنبي والمري– أن يكون كلا منهما حصاناً يمتطيه الممدوح في سفره، وخياماً يرتاح فيها إذا نزل، لعلمهما بأنه لا يرحل إلا لمجد، ولا يرتاح إلا ريثما يتأهب لمجد آخر. ولعل الشاعر يشير من طرف خفي إلى بيت المتنبي المشهور في هذه القصيدة:

وَإذا كانَتِ النُفوسُ كِباراً تَعِبَت في مُرادِها الأجسامُ

وينقلها إلى ممدوحه الشيخ محمد بن راشد، وهو يستحقها لسعيه الدائم إلى التميز والتطور. وفي قول الشاعر (عندما هم بالرحيل الهُمامُ) إشارة إلى قول المتنبي في مطلع قصيدته (465):

أينَ أزمَعتَ أيُّهَذا الهُمامُ نَحنُ نَبتُ الرُبى وَأنتَ الغَمامُ

أما أمثلة التناص الخفي فهي كثيرة، منها قوله في قصيدة بعنوان (الدجى والقصيد)[466]:

وما تفعل الأعين الناعسات بمن بات يرعى النجوم الشهودا

والكناية عن السهاد برعي النجوم كثير في الشعر العربي، ومنه قول أبي فراس:

يَرعى النُجومَ السائِراتِ مِنَ الطُلوعِ إِلى الأُفولِ

وقد جاء هذا التناص مناسباً لموضوع القصيدة، وهو يدل على تشرب الشاعر بالتراث الشعري وتمثله له، حتى ظهر في تشبيهاته وكناياته.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان (حيرة)[467]:

فإن تجرأ ذو شأن يعارضه فالبطش والعنف والصمصامة الذكرُ

وتشبيه السيف بالذكر كثير في الشعر العربي، ومنه قول الفرزدق[468]:

ما يُعجِلُ السَيفُ نَفساً قَبلَ ميتَتِها جَمعُ اليَدَينِ وَلا الصِمصامَةُ الذَكَرُ

من أبيات أنشدها حين نبا من يده السيف لما أمره الخليفة سليمان بن عبد الملك أن يضرب عنق أحد الأسرى المحكوم عليهم بالإعدام، فقال هذه الأبيات يداري بها عجزه، ويضع اللوم على القدر الذي لم يشأ للرجل أن يقتل لأن أجله لم يحن بعد؛ يقول الفرزدق بعد البيت السابق:

وَما نَبا السَيفُ مِن جُبنٍ وَلا دَهَشٍ عِندَ الإِمامِ وَلَكِن أُخِّرَ القَدَرُ

والشاعر سيف المري يصف في قصيدته (الملك الجبار) الذي ترهبه الأبطال، والذي يأخذ معارضيه بالعنف والسيف الذكر، فإذا أصابته (الطعنة النجلاء من رشأ) تحول إلى عبد ذليل لها، و(ينثني ورضاها كل مطلبه). وفي هذا من إظهار المفارقة بين شدة الملك على أعدائه ولينه لمحبوبته، ما يبين سطوة الحب وغلبة العشق على ألباب الرجال.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر من قصيدة بعنوان (يوم الحصاد)[469]، وقد ألقاها الشاعر أيضاً في حفل توزيع جائزة الشيخ راشد بن سعيد للتفوق العلمي:

أترى السلافة مزج أنس حديثهم شُجت على برد بماء الكوثرِ

ومزج الخمر بماء الكوثر من التشبيهات المطروقة بكثرة في التراث الشعري العربي، ومن ذلك قول صلاح الدين الصفدي[470]:

نقل الأراكُ بأن ريقة ثغره من قهوة مزجت بماء الكوثرِ

والقهوة من أسماء الخمر، سميت بذلك لأنها تُقهي عن الطعام. والشاعر سيف المري لا يتحدث

في قصيدته عن ريق الثغر، ولا عن خمر حقيقية، ولكنه يصف حديث الكتب عن أمجاد العرب والمسلمين وتاريخهم الزاهي، يقول في مطلع القصيدة:

يا راويات الدهر دونك فانظري تاريخنا الزاهي بمجد الأعصرِ

ولذلك ناسبه –في رأيي– أن يجعل الحديث عن تلك الأمجاد مثل السُلافة (الخمر) الممزوجة بالكوثر (وهو نهر في الجنة)، ليجعل من هذه السُلافة خمراً مطهرة مقدسة، كخمر الجنة، فهي لا تُذهب العقل، بل تعطي النشوة والإحساس بالعزة والفخار.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر من قصيدة بعنوان (ود قديم)[471] في رثاء شيخ قبيلة المرر (المُر بن مجرن):

سهمَ المنايا هل علمتَ بمن رمت كفاك أم من في الأنام تصيبُ

وتشبيه المنايا بالسهام، كثير في الشعر العربي، ومن ذلك قول أم عمرو بنت مكدم ترثي أخاها ربيعة[472]:

لَكِن سِهامُ المَنايا مَن تُصيبُهُ بِها لا يَشفِهِ رِفقُ ذي طِبٍّ وَلا راقِ

والتشبيه للمنايا بالسهم يعني أنها جاءت على قصد، وأن من وجهت إليه لا يستطيع ردها، وأنها تأتي فجأة دون سابق إنذار، لأن الذي يبارزك بالسيف تراه أمامك وتستعد لمواجهته، وتدافعه عن نفسك، أما السهم فراميه يرميه عن بعد، وهو مستتر عنك، فلا تستطيع أن تتقيه. وهكذا المنايا تصيب من تصيبه دون أن يستطيع لها دفعاً. وقد جاء هذا التشبيه متناسباً مع جو القصيدة التي تصف الحزن والخسارة التي مني بها الشاعر لفقد المرثي.

خاتمة

وهكذا تجولنا في شعر الشاعر سيف بن محمد المري، وتتبعنا التناص في شعره، فوجدنا التناص الديني المستمد من القرآن الكريم يفوق التناص الأدبي في شعره. ورأينا أن كلا من التناص الديني والأدبي جاء في معظمه من النوع الخفي غير المباشر، وأوردنا نماذج من كل نوع للتدليل.

التناص في شعر عبد الكريم معتوق

مقدمة

الشاعر عبد الكريم معتوق المرزوقي (1963م) أو كريم معتوق كما يحب أن يدعى، شاعر له حضور في الساحة الشعرية في الإمارات خاصة بعد فوزه بلقب أمير الشعراء في البرنامج التلفزيوني الشهير بهذا الاسم في موسمه الأول سنة 2007م.

ويمتاز شعر كريم معتوق بالبساطة والبعد عن التعقيد اللغوي، كما يمتاز بغلبة الموسيقى عليه. وقد يلجئه الوزن إلى التساهل اللغوي والنحوي، وسنشير إلى أمثلة من ذلك في موضعه من هذا البحث.ومع أنه يجيد الكتابة في اللونين العمودي والتفعيلي إلا أن الأخير –فيما يبدو– هو الآثر لديه لإكثاره منه.

والمتصفح لشعر كريم معتوق يجد إشارات متناثرة هنا وهناك إلى نصوص دينية أو تراثية مما يمكن أن يندرج تحت مسمى التناص. وسنحاول في السطور الآتية تلمس هذه الإشارات وتتبعها معتمدين على ديوانه الشعري (هذا أنا) كنموذج لشعره. وقد وقع الاختيار عليه لأنه يقع في الوسط من تجربته الشعرية تقريباً، فقد سبقته ثلاثة دواوين هي (مناهل- 1988) و(طوقتني- 1990) و(طفولة- 1992)، ثم يجيء هذا الديوان (هذا أنا) بدون تاريخ نشر، ولكن حوالي سنة 1995م، حسب تقدير مكتبة جامعة الإمارات، ثم (أعصاب السكر- 2008) بعد حصوله على لقب إمارة الشعر. وديوان (هذا أنا) ينقسم إلى خمس مجموعات هي: مجنونة، وهذا أنا، وحكاية البارحة، والسامري، ورحلة الأيام السبعة.

التناص الديني:

تمثل التناص الديني في شعر كريم معتوق من خلال استدعاء نصوص من القرآن الكريم والسنة المطهرة. وقد ورد التناص بنوعيه: الجلي والخفي؛ وسنحاول أن نشير إلى أمثلة لكلٍ منهما فيما يأتي.

التناص الجلي

من أمثلة التناص الجلي مع القرآن الكريم قول الشاعر في قصيدة بعنوان (الميراث)[473]:

دعها ودع عبث السؤالْ
إذ كلهن إلى زوالْ
نفنى ولا تنفى الدهورْ
يوماً فهل يفنى الزمانْ
يوماً ستنفضنا القبورْ

فالسطر الأخير تناص جلي مع سورة الرحمن. وقد وضعه الشاعر بين علامتي تنصيص. والآية لا تتفق مع وزن الأسطر، ولذلك جاءت غير متسقة مع سياق القصيدة.

والشاعر يتحدث في القصيدة –كما يتضح من الأسطر الأولى– عن المرأة:

حدق ترى فتن الجمالْ [474]
في كل فج شاخصات والرجالْ
دوماً يسيِّرها الجمالْ
تلك التي تدعى عفافْ
أو تلك من تدعى دلالْ
....
لا تدعي عشقاً لهن [475]
فكلهن إلى زوالْ.

فكأن الشاعر يوصى بعدم الوقوع في عشق الجمال لأنه زائل. ويدعو إلى التفكر في ما بعد الموت:

يوماً ستنفضنا القبورْ

ولعل الشاعر يقصد بذلك رقدة القبر، ومن الأنسب حينئذ أن يقول –مثلاً– (يوماً ستحضننا القبور)، إذ النفض يجعل الذهن ينصرف إلى موقف النشور من القبور. ولكن الشاعر يقصد المعنى الأول، بدليل اقتباسه للآية الكريمة: (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، وهو بذلك يشير إلى آيتين في هذه السورة، تتناسبان مع السطر السابق، وهما قوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ) (الرحمن، 27-26)، ثم تليهما الآية الكريمة: (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ). فذكر هذه الآية الكريمة دل على الآيتين المحذوفتين، واستغنى الشاعر عن ذكرهما بذكر هذه الآية التي تتكرر في السورة.

ومن التناص الجلي مع الحديث الشريف، قول الشاعر في قصيدة بعنوان (اليوم الثاني)[476]:

قد عز له أن يجدا
قوت أطفال إذا ما اعتنق السُنَّة
إذ قالت على قول النبي أحمدا
تكاثروا إني مباهٍ فيكم الناس بيوم الحشرِ
فيكم عددا

والتناص هنا جلي حيث أشار الشاعر مباشرة إلى السُنة وإلى النبي أحمد (صلى الله عليه وسلم)، وإلى الحديث: (تناكحوا تناسلوا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة)[477].

والقصيدة تتحدث عن صباح بارد يمر على الشاعر في أوروبا، فيدخل حانة فيأتيه النادل ويحيه

باللغة العربية فيذكره بمأساة العرب، وكيف ترك هذا النادل بلده بحثاً عن أمن وأرض وماء. ثم يتحدث عن هذا المهاجر الذي لم يجد قوتاً لأطفاله الذين أنجبهم استجابة للهدي النبوي. والشاعر هنا يعقد موازنة لا تخلو من مفارقة، فالرجل الذي أنجب أطفالاً كثراً استجابة للهدي النبوي الذي يحث على كثرة الذرية، لا يستطيع أن يجد لهم قوتاً في بلده المسلم لأن بلده –أو حكام بلده– لا يلتزمون بهدي الإسلام في توفير الأمن والحرية لأبناء الوطن. يقول الشاعر بعد ذلك:

يا نبي الله آمنتُ بما قلتَ
فماذا يصنع المسحوقُ في أوطانه
وكل ما يرجوه يوماً بلدا
يرفع الرأس به عزاً
ولا يحنيه إلا لحظةً
إن سجدا.

ومن التناص الجلي مع الحديث الشريف أيضاً قوله في قصيدة (هذا أنا)[478]:

وقرأتُ الكفَّ
لم يسعفني الفنجان في ذاك
ولا الضارب فالْ
فتذكرتُ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»

فالتناص هنا جلي مع حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[479]. وهنا أيضاً يختل الوزن في السطر الأخير المتضمن للتناص. وكان على الشاعر أن يتصرف في صيغة الحديث، كما فعل أبو تمام حين قال[480]:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعلْ ما تشاءُ

والشاعر يتحدث في القصيدة عن فتاة، يصفها بقوله:

نصف ما في الصدر تبديه
ونصف للسؤالْ.

وقد حاول الشاعر معرفة اسمها أو عنوانها لينشئ معها صداقة –ربما:

وتساءلتُ عن الاسم عن العنوان
عن بارقةٍ للوصل إن كان وصالْ.

وحين عجز عن ذلك ولم يسعفه الكف ولا قراءة الفنجان ولا ضرب الودع، حينها استحضر هذا النص الديني، ليعطي نفسه المبرر في تركها، ليوهمنا أن الحياء هو الذي جعله يتركها وشأنها.

تماماً مثل ذلك الثعلب الذي حاول أن يصل إلى عنقود العنب، فلما أعجزه ذلك قال لنفسه: إنه حامض. ثم يقول كريم:

فغادرتُ إلى أن لا أراها
دميةٌ تتلف أعصاب الرجالْ[481].

التناص الخفي

من أمثلة التناص الخفي مع القرآن الكريم قوله من قصيدة (قمر العشرين) التي كتبها بمناسبة الذكرى العشرين لعيد اتحاد الإمارات[482]:

عشرون عاماً تمر اليوم في وطني كما يمر سحابٌ كله مطرُ

فالتناص هنا خفي مع قول الله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) (النمل، 88). فقد استعار الشاعر هنا التشبيه القرآني ليوحي بثبات الاتحاد ورسوخه كرسوخ الجبال، وجعل مرور السحاب بدل أن يكون تشبيهاً في السرعة وحدها، جعله تشبيهاً في السرعة الحافلة بالمطر والخير.

ومن التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قوله في قصيدة (سمر الفتنة)[483]:

بلقيس لم تكتب وصيتها
وقد جاءوا بذاك العرش
قبل الطرف أن يرتدْ.
ربما كانت على علم
بأن الفتنة الصغرى
من الموت أشد.

ففي المقطع الأول إشارة إلى قصة بلقيس مع النبي سليمان (عليه السلام) عندما أمر بإحضار عرشها قبل أن تأتيه، والتناص هنا مع قول الله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) (النمل، 40). وفي المقطع الثاني تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ) (البقرة، 191). والقصيدة مليئة بالإحالات إلى قصة الهدهد مع بلقيس وسليمان (عليه السلام). ويبدو أن الشاعر ينكر على الهدهد وشايته ببلقيس، حيث فعل ذلك تطوعاً منه دون أن يكلفه أحد بالأمر، ويرى الشاعر أن الهدهد فعل ذلك لينجو من العقاب لتأخره وغيابه:

فلماذا وشيَ الهدهد عن عرش سبأ[484]

وهو لم يأمره بالكشف عن السر أحدْ
حينما علل عن تأخيره
جئتُ إليكم بنبأ

ويبدو أن الشاعر يعد الوشاية نوعاً من الفتنة، بدليل قوله بعد ذلك:

هذه الفتنة قد أضحى لها الآن مددْ
وتقاليد وشايهْ.

ومن هنا جاء التناص مع آية الفتنة في غير سياقه. فقد ذكر الزمخشري في تفسير قوله تعالى: (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ): «أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل،.. وقيل الفتنة عذاب الآخرة»[485].

والشاعر يتهم الهدد صراحة بأنه أول من علم الناس الوشاية:

ربما من ذلك الهدهدِ
جاءتنا البدايهْ.

وفي كل الأحوال فالشاعر لم يوفق –في رأيي– في هذا التناص، لأنه استخدم الآية في غير المعنى الذي جاءت له. أما التناص المتصل بقصة بلقيس والهدهد فقد جاء مناسباً لموضوع القصيدة.

التناص الأدبي:

جاء التناص الأدبي في شعر كريم معتوق من خلال تضمين أبيات أو مفردات من الشعر القديم أو من خلال الإشارة إلى بعض الشعراء أو إلى بعض المعاني الشعرية التي قالوها. وقد ورد بنوعيه الجلي والخفي، وسنمثل لذلك ببعض الأمثلة فيما يأتي.

التناص الجلي

من أمثلة التناص الجلي قوله في قصيدة (الأخير)[486]:

وكآخر الثوار في حرب الخطابة أستريحْ
يوماً على قلقٍ
كأن الريح من تحتي
كما قال الفصيح،
أبو محسَّد حين أقعدنا على قلقٍ وريحْ

فالشاعر هنا يشير صراحة إلى الشاعر المتنبي (أبو محسَّد)، وهو وإن لم يضمِّن بيت المتنبي في قصيدته، إلا أنه يضمن بعض ألفاظه وهي قوله (على قلق كأن الريح من تحتي)، وهي بيت القصيد –كما يقال– أو خلاصة المعنى المبتكر الذي أراده الشاعر من قول المتنبي [487]:

عَلى قَلَقٍ كَأَنَّ الريح تَحتي أُوَجِّهُها جَنوباً أَو شَمالا

والمتنبي يصف عدم استقراره في بلد بأن حاله يشبه حال من يركب الريح فتارة يوجهها جنوباً وتارة يوجهها شمالاً فلا يستقر في بلد. أما كريم معتوق فإنه يقصد أمراً آخر وهو شدة القلق والاضطراب فكأنه يجلس على ريح عاصفة تحركه ذات اليمين وذات الشمال. وكأنه بهذا يؤيد الرواية الأخرى لبيت المتنبي:

عَلى قَلَقٍ كَأَنَّ الريح تَحتي أُوَجِّهُها يميناً أَو شَمالا

وقد يأتي التناص الجلي من خلال تضمين بيت أو سطر لشاعر آخر ضمن قصيدة عن ذلك الشاعر، كما فعل في قصيدة (قل يا صلاح) التي كتبها في رثاء الشاعر صلاح أحمد إبراهيم، فاستعار عبارة كان الشاعر المرثي قد استخدمها في رثائه لشاعر آخر [488]:

قالوا الترابَ
فضج بي منك الصدى
«يا ويب لي يا ويب لي»

وفي الهامش يذكر الشاعر كريم معتوق أن (يا ويب لي) «ضرب من العويل كان الشاعر صلاح احمد إبراهيم قد قاله في مرثية للأديب علي الملك»[489].

وقد أخذ الشاعر كريم معتوق يكرر تلك الصيغة في نهاية كل مقطع من مقاطع القصيدة. وهو بهذا يرثي الشاعر(صلاح) بما رثى به (صلاح) صديقه (علي) من قبل، وفي ذلك إشارة إلى المفارقة التي تجعل الإنسان راثياً مرة ومرثياً مرة أخرى.

وقد يأتي التناص الجلي مع أبيات مغناة مشهورة، كما في مقطع بعنوان (فيروز)[490]:

فيروز الصوت يعرينا يرفع عن أعيننا البرقعْ
غنيت وصوتك عذَّبنا (أجراس العودة فلتقرعْ)
الأقصى غيَّر مطلعها تاريخاً صاغ لمن يسمعْ
في الأقصى صوت يسحرنا آذان العودة فليرفعْ

فالتناص هنا جلي مع قول الشاعر الذي تغنيه المطربة فيروز:

الآن الآن وليس غداً أجراس العودة فلتقرعْ

وقد نجح الشاعر في مناقضة ذلك البيت بأن جعل الأقصى يغيِّره إلى: (أذان العودة فليرفعْ)، في

إشارة إلى أن ثورة الأقصى ينبغي أن تكون إسلامية لكي تنجح، وذلك من خلال استعارة رفع الأذان المرتبط بالمساجد بدلاً من قرع الأجراس المرتبط بالكنيسة. وهو بذلك –في رأيي– يتفوق على نزار قباني الذي اعترض على قول فيروز دون أن يقدم حلاً للمشكلة حين قال:

غنت فيروزُ مرددةً آذان العُرب لها تسمعْ
«الآنَ، الآنَ وليس غداً أجراسُ العَودة فلتُقرَعْ»
عفواً فيروزُ ومعذرةً أجراسُ العَوْدة لن تُقرَع
خازوقٌ دُقَّ بأسفلنا من شَرم الشيخ إلى سَعسَعْ

وإن كانت الضرورة قد ألجأت الشاعر كريم معتوق إلى مد الأذان ليصبح (آذان) وهي جمع أُذُن (آلة السمع)، مما أفسد المعنى، وكان يمكنه –لولا رغبته في محاكاة الأصل– أن يقول مثلاً: (لأذانِ العودة فلنرفعْ).

التناص الخفي

من أمثلة التناص الخفي قوله في مقطوعة بعنوان (الأقرب)[491]:

الأقصى ما زال الأقصى
تعب الإعلام ولم يتعبْ
الأقصى ناءٍ منفردٌ[492]
يبحث في القاصي والأقربْ
والأقرب أفعى أو عقربْ

فالسطر الأخير (والأقرب أفعى أو عقرب) هو تناص خفي مع قول أبي الفضل بن العميد[493]:

إنّ الأقاربَ كالعقارب بل أضر منَ العقارِب

والشاعر يقصد أن مشكلة الأقصى هي في الأقارب الذين أسلموه للأعداء وتخلوا عنه. والأقصى يبحث عن البعيد والقريب لينجده، فلا يجد من القريب إلا النكران والجحود.

وقد يأتي التناص الخفي لدى كريم معتوق من خلال محاكاة أسلوب نص غائب. فمن ذلك مثلاً قوله في قصيدة بعنوان (حبيبتي)، التي نتوهم من خلال أبياتها الأولى أنه يتغزل في معشوقة[494]:

اسمها عاش باسمي جسمها طوق جسمي

ثم يفاجئنا في البيت الأخير بأنه يتحدث عن أمه:

هي إن ضاقت بي الدنيا لها ناديتُ «أمي»

واستخدام هذا «التكنيك» –إذا جاز التعبير– يذكرنا بقصيدة الشاعر اللبناني إيليا أبو ماضي

(هي) التي يتحدث فيها الصحب في الحانة عن عشيقاتهم، ويشربون نخبهن، وأحدهم صامت لا يتكلم، وحين يسألونه عن معشوقته[495]:

وأنت؟ قال الصحب واستضحكوا هل لك حسناءٌ نحيّيها؟
قال: أجل، أشرب سرّ التي بالروح تفديني وأفديها
صورتها في القلب مطبوعة لا شيء حتّى الموتي محوها

ويستمر في وصفها وهم لا يشكون أنه يتحدث عن معشوقة، ثم يسألونه عن اسمها قائلين:

أتخجل باسم من تهوى أحسناءٌ بغير اسم؟
فأطرق غير مكترثٍ وتمتم خاشعاً: أمي

وقد يأتي التناص الخفي لدى الشاعر كريم معتوق معكوساً، بمعنى أن يستحضر الشاعر نصاً غائباً ولكنه يقلب معناه، لغرض يريده. فمن ذلك قوله من قصيدة (أذوب كالمنتفي عن بعضه قطعا)[496]:

الخيل والليل والبيداء تجهلني لا أدعي السيف إن الحرف عنواني

ففي البيت تناص خفي مع قول المتنبي الشهير[497]:

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ولكن الشاعر هنا يعكس المعنى الذي يتضمنه البيت، فالخيل والليل والبيداء تجهله، وكذلك السيف، لأن سلاحه هو الحرف. وهو بذلك ينتسب إلى عصره فلا يدعي بطولة ليست فيه. وهو لا يخدع معشوقته ولا يمنيها الأماني، وإنما يعترف لها أن أقصى ما يملكه هو الحروف، فهو يقول قبل البيت السابق مباشرة[498]:

قايضتكِ الحب في عرشٍ لمملكةٍ من الحروف ترامى طلعها الداني

وقد يأتي التناص من خلال استدعاء قصيدة من المشهورات دون أن يكون هناك تطابق في الغرض أو في الألفاظ. فمن ذلك قصيدة (ثغر) التي مطلعها[499]:

محصنٌ بالخجلِ ثغرك أم بالعسلِ

فهي تستدعي إلى الذاكرة القصيدة المنسوبة للأصمعي، التي مطلعها[500]:

صوت صفير البلبلِ هيج قلبي الثملِ

دون أن تتناص معها في الغرض أو في المعاني، وإنما دل استخدامه للوزن والقافية والحركة

(الكسرة) على تأثره بتلك القصيدة الطروبة، وقد أشرنا في صدر هذا البحث بأن الشاعر كريم معتوق يحفل كثيراً بالموسيقى في شعره.

خاتمة

وهكذا تنقلنا مع الشاعر كريم معتوق في ديوانه (هذا أنا) وتتبعنا التناص الديني والأدبي في شعره، وأشرنا إلى نماذج منه بنوعيه الخفي والجلي، وحاولنا أن نبين كيف وظف الشاعر هذا التناص لخدمة النص الذي كتبه.

التناص في شعر أحمد محمد عبيد

مقدمة

يعد الشاعر أحمد محمد عبيد (1967م) من الشعراء غزيري الإنتاج فقد أصدر ثمانية دواوين حتى الآن أولها (شموع وقناديل - 1990م) وآخرها (همسات على أعتاب الروح- 2007م). كما يعد من الأصوات الشعرية الملتزمة بتقاليد القصيدة العربية التراثية من التزام الوزن والقافية، وقد افتخر في مقدمة ديوانه الأول بأن «جميع قصائد هذا الديوان من الشعر العمودي الجاري على عروض الخليل»[501]، وإن كان قد بدأ في الخروج على عروض الخليل ابتداء من الديوان الثالث (عاشق في زمن الغربة- 1995م) وظل يزاوج منذ ذلك الحين في دواوينه التالية بين الشكلين التفعيلي والعمودي وإن كان العمودي أكثر وأغزر ويبدو أنه آثر إليه.

والمتصفح لدواوين الشاعر أحمد عبيد يظهر له جلياً مدى ثقافته وإلمامه بمفردات التراث العربي الشعري القديم والمعاصر. وسنحاول في هذه الدراسة أن نلم ببعض مظاهر التناص الديني والأدبي في شعره، بنوعيه الخفي والجلي.

التناص الديني:

يتجلى التناص الديني بنوعه الخفي في شعر أحمد عبيد من خلال وجود المفردات والتشبيهات المستوحاة من أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

التناص مع القرآن الكريم:

جاء التناص مع القرآن الكريم من خلال استخدام الشاعر لمفردات قرآنية. وقد جاءت جميع أمثلته من النوع الخفي، فمن ذلك قوله في قصيدة بعنوان: (رسول الله)[502]:

رسولَ الله والأهوال باتت يشيب لهولها شعر الوليد
رسولَ الله والدنيا إذا ما أتيناها هشيماً من حصيدِ

ففي البيت الأول تناص خفي مع قوله تعالى: (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) (المزمل، 17). وفي البيت الثاني تناص خفي مع قوله تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) (الكهف، 45).

وقد جاء التناص هنا مناسباً لسياق القصيدة التي يشكو فيها الشاعر للرسول (صلى الله عليه وسلم) الأهوال التي تمر بالأمة الإسلامية اليوم، فجاء استدعاء الآية الكريمة ليوحي بأن الشاعر يشبه هذه الأهوال بأهوال يوم القيامة التي يشيب لهولها الولدان. وفي البيت الثاني يستدعي الشاعر

الآية الكريمة ليشبه الدنيا بالهشيم اليابس الذي تذروه الرياح، ليدلل على حقارتها وقلة شأنها.

ومن التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قوله[503]:

ذاب الصحاب ولم نذب والمرجفون بنا أنابوا

ففيه تناص خفي مع قوله تعالى:(لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) (الأحزاب، 60). وقد جاء التناص مناسباً لسياق القصيدة التي يتحدث الشاعر فيها عن أعدائه المتربصين به، وجاء استدعاء الآية التي تتحدث عن المنافقين مناسباً وكأن الشاعر بهذا يشبه أعداءه بالمنافقين والذين في قلوبهم مرض، الذين يروجون الشائعات عن المسلمين ليوهنوا عزيمتهم ولكن الله يكشف كيدهم وينجي المؤمنين من شرورهم.

ومن التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قوله[504]:

أنا هاهنا حرفٌ أجوس مع المدى آفاق شدوك هازجاً بربابي

ففيه تناص خفي مع قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا) (الإسراء، 5). والجوس –في اللغة–هو طلب الشيء باستقصاء[505]، وفي استدعاء الآية الكريمة ما يدل على شدة الشاعر وبأسه الشديد وهو يجوس الحروف ويستقصي معانيها في شعره، ليشدو بجمال محبوبته ويترنم بعشقه.

ومن التناص الخفي مع مفردات القرآن الكريم، استخدامه لفظة (الزمهرير) في قوله[506]:

قد تلاقت مع البنادق روحي أنا حقد وغضبتي زمهريرُ

وقوله[507]:

ويسكن حبك الغالي بقلبي ليدفأ من هبوب الزمهريرِ

ففيهما تناص خفي مع قول الله تعالى: (مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) (الإنسان، الآية 13). وقد جاء التناص في البيت الثاني موفقاً حيث يوفر الحب لقلب الشاعر الدفء من هبوب الزمهرير وهو البرد القارس. أما التناص الأول فهو –في رأيي– غير موفق لأن الغضب لا يوصف بالبرد بل بالاشتعال.

التناص مع الحديث الشريف

جاءت أمثلة التناص مع الحديث والسيرة النبوية قليلة في شعر أحمد عبيد، وقد تمثلت في استخدام مفردات وردت في الحديث الشريف؛ فمن ذلك قوله[508]:

موجي فوجه الأرض مخضلٌ بآثار البكاء

ففي البيت تناص خفي مع جزء من حديث الأنصار، وهو قوله: (فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم)[509]، أي حتى بلوا لحاهم. وقد شبه الشاعر هنا المطر بالبكاء، وفي استدعاء الحديث الشريف ما يوحي بأن الشاعر يرى أن المطر هو بكاء السماء من الخشوع لله، كما كان بكاء الأنصار تأثراً من كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي ذكر لهم منزلتهم عنده ودعا لهم.

ومن التناص الخفي مع الحديث الشريف أيضاً قوله[510]:

ينطف الشهدُ على في ض أهازيجي ويسني

ففيه تناص مع جزء من حديث طويل، أوله: (أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل)[511]، أي تقطر قليلاً قليلاً. وفي استدعاء الحديث الشريف ما يوحي بأن الشاعر يتحدث عن حلمه أن يقطر شعره بالعسل، كناية عن شهرته وتقبل الناس له.

التناص الأدبي:

جاءت نماذج التناص الأدبي في شعر أحمد عبيد أكثر من التناص الديني، وقد جاءت جميع النماذج من النوع الخفي، وسنعرض لنماذج منها للتمثيل.

تناص المعارضات:

يعد أسلوب المعارضات من الفنون الأدبية التي ازدهرت في الشعر العربي وكان كثير من الشعراء يعمدون إلى القصائد المشهورة فيعارضونها ليثبتوا بذلك مقدرتهم وتفوقهم الفني. وقلما خلا شاعر قديم أو محدث –خاصة في أول عهده بنظم الشعر– من معارضة لبعض القصائد المشهورة إما تأثراً وإعجاباً بها، وإما محاولة لإثبات المقدرة، وإما لروض القول والتمرن على نظم الشعر. وللشاعر أحمد عبيد قصائد يظهر فيها تأثره بقصائد مشهورة لشعراء معروفينفي القديم أو الحديث واضحاً جلياً.

فمن ذلك أول قصيدة في أول دواوين الشاعر وهي بعنوان«إلى دبا» ومطلعها[512]:

يا قبلة الحب يا سحراً يمنيني بعض المحبة منه في الشرايين

فمنذ المطلع وتكرار حرف النداء بالإضافة إلى الوزن والقافية تطل بوضوح قصيدة الجواهري ذائعة الصيت[513]:

حييتُ سفحك عن بعد فحييني يا دجلة الخير يا أم البساتين

مما يدل على تأثر الشاعر وإعجابه بها، فاختار معارضتها ليعبر من خلال ذلك عن حبه لمدينته (دبا). والجواهري كتب قصيدته وهو بعيد عن العراق، أما أحمد عبيد فقد نظم قصيدته وهو قريب من مدينته، ولذلك جاء التناص مع الشطر الثاني من مطلع قصيدة الجواهري.

ولا يقتصر الشاعر أحمد عبيد على معارضة الشعراء المعاصرين بل نجده يحاول معارضة قصيدة من أشهر قصائد الحب في الشعر العربي وهي قصيدة الحصري القيرواني التي مطلعها[514]:

يا ليلُ الصبُّ متى غده أقيام الساعة موعده؟

وهي قصيدة بلغت من الشهرة أن عارضها عدد كبير من الشعراء، جمعهم أحد الباحثين في كتاب[515]. ولعل الشاعر أحمد عبيد أحب أن يضاف اسمه إلى سجل أولئك الشعراء، فنظم قصيدة على منوالها، جعل عنوانها (ليل العشاق يؤرقه)، ومطلعها[516]:

جفنٌ مبتلٌ إثمدُهُ والليلُ اشتاق له غدُهُ

على أن الشاعر أحمد عبيد لم يوفق –في رأيي– في معارضته، فجاءت قصيدته ضعيفة البناء، ركيكة المعنى، وقد أنهكته القافية الصعبة، فلم يستطع أن يذللها، وأبهضه الوزن السريع فلم يستطع أن يضبطه، وبدت بعض الأبيات أقرب إلى النثر، كما في قوله:

قبسٌ منه يحمل نوراً للعاشق دام تهجدُهُ

ومن الشعراء المعاصرين الذي عارضهم أحمد عبيد الشاعر علي الجارم في قصيدته التي مطلعها[517]:

بَغْدَادُ يَا بَلَد الرَشِيد وَمَنَارَةَ الْمَجْدِ التَلِيد

وقد عارضها الشاعر أحمد عبيد في قصيدة بعنوان (بغداد)، نظمها عام 1989م وأهداها «إلى كل بغدادي أضناه الترحال، وآلمته الغربة، يرقب الفجر الذي يلثم فيه ثرى الوطن»، ومطلعها[518]:

بغدادُ يا لدةَ الزما ن وغُرَّةً بين الخلودِ

ثم عارضها مرة أخرى في قصيدة بعنوان (دنيا الرشيد)، نظمها عام 1991م وأهداها «إلى بغداد الباكية»، مطلعها[519]:

دنيا الرشيد استيقظي من حلو نومك في الخلودِ

وكما يتضح من تاريخ النظم والإهداء، فإن موضوع كل قصيدة يختلف عن الأخرى، ولكن ما يجمع بينهما هو حب الشاعر لمدينة المنصور، التي شهدت أزهى عصور الأدب العربي، وأروع بطولات النصر.

ومن التناص الخفي الذي تجلى في شكل المعارضات أيضاً قوله في قصيدة (قبل الرحيل)[520]:

حبيبةُ قبل بعدكِ زوِّديني حروفاً سوف تندى في جبيني

ففيها تناص خفي مع قصيدة المثقب العبدي التي مطلعها[521]:

أفاطِمُ قَبلَ بَينِكِ مَتِّعيني وَمَنعُكِ ما سَألتُ كأن تَبيني

ويظهر هذا التناص من خلال النداء الذي حذفت أداته (حبيبةُ) و(أفاطمُ)، ومن خلال قوله (قبل بعدك) الذي يقابل قول المثقب (قبل بينك)، بالإضافة إلى الوزن والروي. على أن المثقب يصرح باسم حبيبته، أما أحمد عبيد فيكني عنها. وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة وهو مناشدة الحبيبة التي تزمع هجرانه أن تمنحه شيئاً قليلاً يتزود به على الفراق. وإن كان المثقب قد اختار المتعة فإن أحمد عبيد يسألها أن تزوده بالحروف، كناية عن إلهامه الشعر.

ومن التناص الشبيه بالمعارضات ما يمكن أن نطلق عليه تناص المناقضات. ومن أمثلته قصيدة بعنوان (نبض)[522] يخبرنا في تقديمه لها إنه كتبها بعد أن اطلع على قصيدة للشاعر المصري أحمد بخيت مطلعها:

أجل لي صاحب يبكي وأبكي ولي طلل يليق بمفرداتي
ولي لغتان فصحى أنجبتني ودارجة سأمنحها رفاتي

فما كان من الشاعر أحمد عبيد إلا أن نظم قصيدة على وزنها وقافيتها، ولكنه يناقض الشاعر أحمد بخيت في احتفائه بالعامية ويعلن تمسكه بالفصحى، ويقول في آخرها:

بلا لغة سيعرفني جنوني فيا فصحاي من نجواك هاتي

وإذا كانت المعارضات السابقة جاءت نتيجة لإعجاب الشاعر بتلك القصائد التي عارضها؛ فإن معارضته هنا لم تأتِ—في رأيي- إعجاباً بالقصيدة التي عارضها بل نقضاً لها واعتراضاً على محتواها.

تناص المفردات:

من التناص الأدبي الخفي، ما يظهر من خلال استخدام مفردة واحدة أو مفردات قليلة، تشي بنص غائب وتحيل عليه، وهذا في رأيي يدل على تشرب الشاعر أحمد عبيد لأشعار أولئك الشعراء حتى تجلت في أشعاره هو ومفرداته.

وإذا تتبعنا هذه الظاهرة في شعر الشاعر أحمد عبيد سنجدها تنتظم مجموعة من الشعراء القدماء والمعاصرين، مما يدل على عمق ثقافته وتمثله للتراث الشعري القديم والحديث.

فمن ذلك قوله في قصيدة بعنوان (ليلى)[523]:

وناديتني سبابةً قلت ها أنا فكيف إذا صاحت أناملك العشرُ

ففيه تناص خفي مع قول ابن حيُّوس الغنوي (ت 473هـ)[524]:

وَأنتَ الَّذي يُروى بِسَحِّ بَنانِه فَكَيفَ إِذا فاضَت أَناملُهُ العَشرُ

فالشاعر أحمد عبيد يخبر أن محبوبته تشير إليه بسبابتها فيلبيها فوراً، فكيف إذا نادته بأصابعها العشر كلها. وهو ذات المعنى الذي قصده الغنوي حين أشار إلى أن ممدوحه يروي الناس بفيض أصبع واحدة منه فقط، فكيف إذا فاضت أنامله العشر كلها. وقد جاء التناص غير موفق —في رأيي- لأن المحبوبة لا يمكن أن تنادي حبيبها بأصابعها العشر كلها، وإلا لعافها ونفر منها. أما تشبيه الممدوح بأنه يروي الناس بأصبع واحدة فمناسب لجوده الغزير.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (ولدي)[525]:

يا مهجتي يا ولدي يا قطعة من كبدي

ففيه تناص خفي مع قول أحمد الكساد[526]:

ما عليهم ويحهم لو دفنوا في فؤادي قطعةً من كبدي

ورائد هذا المعنى هو حطان بن المعلى في قوله[527]:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرضِ

وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة وهو الاحتفاء والفرح بمقدم الولد، والتعبير عن حبه، وأنه قطعة من الكبد، يألم الأب لألمه ويفرح لفرحه.

ومن ذلك أيضاً ورود بعض المفردات التراثية مثل: «أنضاء أسفار»، في قوله من قصيدة بعنوان (أناشيد الشاعر السعيد)[528]:

يغرد علَّه يرتا حُ من أنضاءِ أسفاري

ففيه تناص خفي مع قول مهيار الديلمي[529]:

ما طاف بالبيت ماحِي زَلّةٍ وسعى شُعْثٌ أمامَ الصفا أنضاءُ أسفارِ

والشاعر أحمد عبيد يتحدث في القصيدة عن شعره الذي يطير في الآفاقِ مغرداً ليرتاح من كثرة أسفاره التي أهزلت جسمه. وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة، وفيه ما يوحي بهيئته الشعثاء من آثار السفر.

ومن المفردات التراثية أيضاً لفظة «أيهات»، في قوله من قصيدة بعنوان (العجوز والبحر)[530]:

أيهاتَ يا بحرَ الأسى والمبحرين مع العصورْ

وهي لغة في «هيهاتَ»، ويكثر ورودها في الشعر القديم كما في قول جرير(531):

فَأيهاتَ أيهاتَ العَقيقُ وَمَن بِهِ أيهاتَ وَصلٌ بِالعَقيقِ تُواصِلُه

والتناص هنا ليس مع بيت بعينه، وإنما مع المفردة ذاتها التي تدل على الاستحالة. والبيت من قصيدة يصف فيها الشاعر بحاراً قد هرم يفخر بشبابه الذي قضاه يجوب البحار:

اليوم يهزأ بي المشيب وما درى أني الفخورْ
فلطالما عجت البحارَ مغرداً مثل الطيورْ

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (رفيقة الدرب)(532):

طفنا معاً والأماني البيض تتبعنا تخطو فتمضي معاً آهاتنا هربا

ففي البيت تناص خفي قول المعري(533):

عللاني فإن بيض الأماني فنيت والظلام ليس بفاني

وفي استدعاء بيت المعري ما يوحي بسطوة الزمان حيث فنيت تلك الأيام الجميلة التي يصفها الشاعر وانقضت، والزمان باقٍ كما هو.

ومنه أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (آخر الفرسان) في رثاء الشيخ زايد- طيب الله ثراه(534):

يا ساكن الأرواح أنت على الذرى إذ رفعوك على ذرى الأعوادِ

ففي البيت تناص خفي مع قول الشريف الرضي(535):

أَعَلِمتَ مَن حَمَلوا عَلى الأَعوادِ أَرَأَيتَ كَيفَ خَبا ضِياءُ النادي

والتناص هنا مناسب لجو القصيدة وموضوعها، فكلا القصيدتين في الرثاء. ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (وطني)(536):

وطني صفتُ في هواك العُجابا وبلغت المدى ونلت السحابا

ففي البيت تناص خفي مع قول شوقي(537):

مدحتُ المالكين فزدتُ قدراً فحين مدحتك اقتدت السحابا

والتناص هنا مناسب لجو القصيدة وموضوعها؛ فقصيدة شوقي في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقصيدة أحمد عبيد في مدح الوطن.

ومن التناص الخفي مع أبيات شوقي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (وهج القصيد) نظمها في رثاء

الشاعر عمر أبي ريشة(538):

غادرتَ والوطنُ الجريحُ مكبلٌ وعلى يديك عراقُه وعُمانُه

ففي البيت تناص خفي مع قول شوقي(539):

كلما أنَّ في العراق جريحٌ لمس الشرقُ جنبه في عمانه

ويبدو التناص مناسباً لجو القصيدة وموضوعها، فشوقي يتحدث عن تآزر الوطن العربي (أو الشرق كما يسميه) وإحساس كل قطر بألم القطر الآخر، وانعكاس ذلك على شعر شوقي، الذي كان شعره «الغناء في فرح الشرق وكان العزاء في أحزانه»؛ وأحمد عبيد يتحدث عن المعنى نفسه، وانعكاس ذلك على شاعر آخر هو أبو ريشة.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان (بلادي)(540):

أنتِ والعلم كالشعاع تجلى مشرق الوجهِ كالصباحِ الجديدِ

ففيه تناص خفي مع قول أبي القاسم الشابي(541):

عذبةٌ أنت كالطفولة كالأح لامِ كاللحن كالصباحِ الجديدِ

والتناص هنا مناسب لجو القصيدة وموضوعها، وإن كان الشابي يتغزل في محبوبته، فإن أحمد عبيد يتغزل في بلاده. وفي استدعاء بيت الشابي ما يوحي بأن الشاعر يعيش قصة حب مع بلاده، ويصف محاسنها.

ومن التناص الخفي مع الموشحات الأندلسية، قوله في قصيدة بعنوان (أحزان الرحيل الأخير)(542):

أهكذا يا زمان الوصل أنهكنا ليل السُرى فالليالي كلها دجلُ

ففي البيت تناص خفي مع موشحة لسان الدين بن الخطيب الشهيرة:

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلسِ

وفي استدعاء بيت ابن الخطيب ما يوحي بأن الشاعر يتحسر على ذلك الزمان، ويدعو له بالسقيا.

خاتمة

وهكذا تتبعنا نماذج من التناص الديني والأدبي، في شعر أحمد عبيد، ورأينا أن التناص الديني قليل في شعره، أما التناص الأدبي فكانت نماذجه كثيرة تجلى بعضها من خلال أسلوب المعارضات، بينما جاء بعضها الآخر من خلال وجود مفردات تحيل إلى نص غائب. وقد أوردنا نماذج منها للتدليل.

التناص في شعر
علي سيف الشعالي

مقدمة

يعد الشاعر علي سيف الشعالي (1978م) من الشعراء الشباب الذين استطاعوا أن يثبتوا حضورهم في الساحة الثقافية في الإمارات. ورغم قصر تجربته الشعرية المتمثلة في ديوانين هما: «نحلة وربابة»[543] و«وجوه وأخرى متعبة»[544]، إلا إنه يبدو متمكناً من أدواته الشعرية، وهو يمازج في شعره بين الشكلين العمودي والتفعيلي، وإن كان التفعيلي آثر لديه على ما يبدو. وشعره مليء بالرمز والإسقاطات دون الوقوع في شرك الغموض المستغلق. وسنحاول في السطور الآتية تتبع ظاهرة التناص في شعره من خلال ديوانه الثاني «وجوه وأخرى متعبة».

ورد التناص في الديوان بنوعيه الديني والأدبي. وقد جاءت جميع نماذجه من النوع الخفي؛ وسنتناول أمثلة لكل منها للتدليل.

التناص الديني

التناص مع القرآن الكريم

استلهم الشاعر علي الشعالي الكثير من الألفاظ القرآنية التي حملت دلالات غنية، أثرت النص وعمقت فكرته ومنحت رموزه الكثير من الإيحاءات والمضامين. ومن أمثلة ذلك استلهامه لبعض المفردات والتشبيهات القرآنية، كما في قوله: «في لغة البحر اللجي» (ص 63)، ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) (النور، 40).

ومن ذلك أيضاً قوله: «أتخذ سبيلي نحو القمة سَرَبا» (ص 64)، ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) (الكهف، 61).

ومنه قوله: «واستفزز بركاني الخامد..» (ص 66)، ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا) (الإسراء، 64)

وقوله: «سآوي إلى جبلي» (ص 107)، ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) (هود، 43).

ومن ذلك أيضاً قوله: «واشرح صدرك»(ص 126)، ففيه تناص مع قول الله تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) (الانشراح، 1).

وقوله: «قبل أن يرتد طرفي..» (ص 136)، ففيه تناص خفي مع قوله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل، 40).

وقد يجمع بين الإشارة إلى أكثر من سورة في سطر واحد كقوله:

«قل أعوذ بربي الصمدِ» (ص 97)، ففيه إشارة إلى سور (الإخلاص والمعوذتين).

وقد يستدعي الشاعر بعض الرموز القرآنية مثل: جب يوسف، وعصى موسى، ليحملها دلالات ورموزاً عصرية، كقوله: «لا تعبئي بي والدجى يا جب يوسف» (ص 22)، وقوله: «يا عصى موسى بربك من أكون» (ص 22).

وقد جاء التناص في كل تلك الأمثلة متسقاً مع النص، متناسباً مع السياق، وأضفت قدسية الألفاظ القرآنية على النص قوة ومتانة ومنحته جمالاً واتساقاً.

التناص مع الحديث الشريف

يستمد الشاعر علي الشعالي الكثير من رموزه وإسقاطاته من ألفاظ الحديث النبوي الشريف وقصص السيرة المطهرة. فمن ذلك مثلاً قصيدته التي بعنوان (الفاروق)، والتي يتحدث فيها الشاعر –كما يوحي العنوان– عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كرمز للحاكمية العادلة. ففيها يشير الشاعر إلى فضائل عمر، ويستدعي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحداً، وأبو بكر وعمر وعثمان –رضي الله عنهم– فرجف بهم، فقال: (اثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصدِّيق ، وشهيدان)[545]. يقول الشاعر:

بعد قرون
من هزة جبلٍ
يقف عليه ثلاثة رهط
جبل يتلوى شوقاً
من صدِّيق وشهيدين (ص 35-34)

وقوله: «جبل يتلوى شوقا» فيه إشارة إلى قول النبي (صلى الله عليه وسلم): «أحد جبل يحبنا ونحبه»[546].

ومن القصائد التي استلهمت بعض أحداث السيرة النبوية، قصيدة (إيه أهل السَّمُرة)، وهي الشجرة التي انعقدت تحتها بيعة الرضوان، وورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة»(الفتح–18).

والشاعر هنا يستدعي هذا الرمز ليستنجد بأهل السمرة، في هذا الزمن الذي تداعت فيه الأمم على المسلمين كتداعي الأكلة إلى قصعتها. وقد اختار الشاعر التعبير (بأهل السَّمُرة) ليستدعي إلى الأذهان صرخة النبي (صلى الله عليه وسلم) في غزوة حُنين حين انهزم عنه المسلمون لما باغتهم العدو. ورد في صحيح مسلم:

«فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين. فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم

يركض على بغلته قبل الكفار. قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي عباس ! ناد أصحاب السمرة). فقال عباس (وكان رجلا صيتاً): فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك ! يا لبيك ! قال: فاقتتلوا والكفار»[547].

وكأن الشاعر هنا يكرر الصرخة نفسها لينادي المسلمين الذين انهزموا اليوم وتركوا الميدان، يدعوهم إلى أن يثوبوا إلى رشدهم، مذكراً إياهم بالعهود التي في أعناقهم تجاه أوطانهم ومقدساتهم. يقول الشاعر:

إيه أهلَ السَّمُرة ..
لا تجلسوا ولا تناموا
حتى تطالوا النجم حقاً مغتصبْ.
وتُتبعوا سببْ. (ص 48)

وقوله: «وتتبعوا سبب»، إشارة إلى قول الله تعالى عن ذي القرنين: «إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً فأتبع سبباً»(الكهف، 85-84).

وكأن الشاعر يريد أن يذكر المسلمين اليوم بأن الله قد وهبهم أسباب النصر، فلم يبق عليهم أن يُتبعوا تلك الأسباب بأسباب الأخذ بها.

وشبيه بهذه القصيدة، قصيدة (بل أنتم كثير). ومنذ العنوان تطالعنا الإشارة إلى حديث ثوبان المشهور:

«يوشك الأمم أن تتداعى عليكم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة بنا نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قال قائل: يا رسول الله وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت»[548].

فالشاعر هنا يستدعي هذا الحديث ليشير إلى تحققه في واقع المسلمين اليوم، حيث تداعى عليهم العدو الذي أصبح يتلهى بهم تارة بالحرب وتارة بالسلام:

ليغرس في صدر هذا الضجيج
رمحاً محجلة باللهيب
وبالثلج
من كل ناحية
بالسلامْ. (ص 51)
ورغم كثرة المسلمين اليوم، فإنهم كزبد البحر وغثاء السيل:
زحام ..

ولكنه مثلما ينفش البحر اسفنجةً
وهي ظمأى
مثلما تنفخ الريح قبعةً
وهي أوهى من الشيء
لكن من الخلف
بئس الركامْ. (ص 52)

التناص الأدبي

يتجلى التناص الأدبي في شعر علي الشعالي في مظهرين: الأول هو استخدام بعض الألفاظ المعجمية، والثاني هو التناص مع أبيات شعر أو أمثال مشهورة.

فمن الألفاظ المعجمية التي حفل بها الديوان، على سلاسة أسلوبه ورقة لغته، لفظة (زِبرقان) كما في قوله في قصيدة (فرس شقراء):

أزاهرٌ على يديكِ فضةٌ جبينكِ الوضيء زِبرقانْ (ص 90).

والزِّبرقانُ، بالكسر: القَمَرُ، قالَ الشّاعرُ:

تُضيءُ له المَنابرُ حِينَ يَرقَى عَلَيها مِثلَ ضَوْءَ الزِّبْرِقانِ

ومن الألفاظ المعجمية أيضاً، وقد جاء عنوان قصيدة: (لا لعى)، وفيها يقول:

لكِ أن تقولي لانتحاري لا لَعَى (ص 118).

يقال للعاثر: لعاً له، إذا دعوا له. ولا لعاً له، إذا دعوا عليه، وشمتوا به. أي لا أقامه الله من سقطته. قال الأخطل:

ولا هدى الله قيساً من ضَلالتها ولا لَعاً لبني ذَكْوانَ إذ عَثَرُوا

ومن القصائد التي حفلت بالعديد من الألفاظ المعجمية قصيدة (سيف الضحى-ص 76)، وهي من القصائد العمودية القليلة في الديوان، وفيها ألفاظ جزلة وصور جميلة، ومطلعها:

الصبح أطلق جيشه هتافا لك سيدي متلهفاً مشتافا

واشْتَافَ الرَّجُلُ: تَطَاوَلَ ونَظَرَ. ومنها قوله:

عرفتك ألوان الخريطة شامخاً ثبتاً إذا سقف المجرة هافا

ومعنى هافَ: أي سقط، يقال: هاف ورق الشجر يهيفُ: سقط، ومنه الهفوة بمعنى السِّقطة أو الزلة. والقصيدة موجهة –فيما يبدو– لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، حفظه الله، بدليل قول الشاعر فيها:

يا من حرثت البحر حسبك أن ترى نخلاً بهياً في الخليج وغافا

والمظهر الثاني من مظاهر التناص مع التراث في الديوان هو في استدعاء بعض الأبيات والأمثال المشهورة. فمن ذلك قوله:

ليلاي ليلاي

كل يغني (ص 32)

ففيه إشارة إلى المثل المشهور: «كل يغني على ليلاه».

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة (على أي جنب نموت):

ولست أبالي على أي جنب أقول القصيدة (ص 79).

ففيه استدعاء لبيت خبيب بن عدي –رضى الله عنه– من أبياته التي أنشدها حين قتلته قريش وصلبته انتقاماً لقتلاها في بدر:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنبٍ كان في الله مصرعي

والشاعر هنا يستدعي هذا الرمز للشهيد الذي يقتل في سبيل الله، ليقارن بين الشاعر الذي يتلهى بالشعر وبين المجاهد الذي يبذل روحه فداء لوطنه ودينه:

ولستُ أبالي على أي جنب أقول القصيدة

ولستَ تبالي بأي رصاص تموت

كما شئت أنت وشاء الحمام المهاجر

وشاءت حروف القتال

وقفتَ

وكل سيجنح للسلم يوماً سواكْ (ص 82).

وقوله: «وقفتَ» يستدعي إلى الذاكرة بيت أبي الطيب المشهور مخاطباً سيف الدولة:

وَقَفتَ وَما في المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ كَأَنَّكَ في جَفنِ الرَدى وَهوَ نائِمُ

فالشاعر هنا يرمز بهذه الكلمة المختصرة لذلك البيت ليوحي بأن هذا المجاهد اختار أن يقف بمفرده في وجه الموت، وفي وجه رصاص الأعداء بينما يتلهى الشعراء بنظم الشعر، ويجنح الآخرون للسلم.

والجنوح للسلم فيه استدعاء للآية الكريمة:(وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(الأنفال، 61). ولعل في ذلك إشارةً خفية من الشاعر إلى أن أولئك الذين يجنحون للسلم سيبررون جنوحهم هذا ويؤلونه ويجدون له التخريجات الشرعية والوطنية.

وأخيراً، فإن من مظاهر استدعاء التراث الشعري أيضاً قول الشاعر:

وغضبتك المضرية دفاقة في عروقك (ص 127).

ففيه تناص واستدعاء لبيت بشار بن برد المشهور:

إذا ما غَضِبنا غَضبَةً مُضَرِيَّةً هَتَكنا حِجابَ الشَمسِ أَو تُمطِرَ الدَما

وقد وردت الإشارة تلك في قصيدة (نور المعركة)، وتبدأ بقوله:

موجة تلو أخرى

من الجند تذرع تلك الجبال.

وغضبتك المضرية دفاقة في عروقك

الرماح تشير لصدرك

ظامئة للخلود وجائعة للنوال.

وفيها يتحدث –كما يظهر– عن المقاتل الذي يتصدى بمفرده للكثرة من الأعداء الذين يحيطون به، ولكنه كثير بمفرده:

واقفاً كنت ..

شامخاً سوف تبقى

الرجال هنا يسقطون

سواك

فأنت وروحك جمع غفير (ص 130).

خاتمة

وهكذا تتبعنا مظاهر التناص في شعر علي الشعالي، ورأينا كيف أجاد الشاعر في استخدام التناص في شعره، فجاء متساوقاً مع نصوصه، متناسقاً فيها. وقد تجلت أنواع التناص في ديوانه بين التناص الديني المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، وبين التناص الأدبي المستمد من اللغة ومن مشهور الشعر والأمثال.

الخاتمة

عرضنا في الصفحات السابقة لظاهرة التناص في الشعر المعاصر في الإمارات من خلال بضعة عشر شاعراً تم اختيارهم على سبيل المثال لا الحصر. ويمكن أن نلخص أهم نتائج الدراسة في

النقط الآتية:

جاءت أمثلة التناص الديني الجلي والخفي مع القرآن الكريم والحديث الشريف بكثرة لدى أربعة من الشعراء هم: حمد بو شهاب، ومانع العتيبة، وعارف الشيخ، وعبد الرحمن العبادي وكريم معتوق. أما الشعراء: سالم العويس، وصقر القاسمي، وشهاب غانم، وأحمد عبيد، وعلي الشعالي فقد وردت معظم أمثلة التناص الديني في أشعارهم من النوع الخفي؛ وكانت في معظمها مناسبة للسياق متسقة معه.

جاءت أمثلة التناص الأدبي الجلي والخفي في أشعار ثمانية من الشعراء هم: سالم العويس، خلفان بن مصبح، صقر القاسمي، أحمد أمين مدني، حمد بو شهاب، مانع العتيبة، عارف الشيخ، كريم معتوق. أما الشعراء: سلطان العويس، وشهاب غانم، وعبد الرحمن العبادي وسيف المري، وأحمد عبيد وعلي الشعالي فقد جاءت أغلب الأمثلة لديهم من النوع الخفي. وكانت نماذجه في معظمها موظفة توظيفاً مناسباً.

أما التناص التاريخي فقد جاءت معظم أمثلته لدى الشاعرين سلطان العويس وعبد الرحمن العبادي، وجاء موافقاً للسياق، ووظف في القصائد توظيفاً فنياً مناسباً. وأما التناص التراثي، فقد وردت أكثر أمثلته عند الشاعر مانع سعيد العتيبة، وذلك من خلال توظيف الأمثال التراثية الفصيحة والعامية في شعره. وقد جاءت نماذجه مناسبة للسياق الواردة فيه، متسقة مع موضوع القصيدة، وخدمت الفكرة التي أرادها الشاعر.

وفي الختام، أرجو أن أكون قد وفقت في تناول ظاهرة التناص في الشعر المعاصر في الإمارات، مؤكداً مرة أخرى على أن الشعراء الذين شملتهم الدراسة قد تم اختيارهم على سبيل المثال لا الحصر، ولم يكن من أهداف البحث استقصاء كل المشهد الشعري في الإمارات. والله الموفق والهادي إلى الصواب.

الهوامش

1. الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1407هـ/1987م، ص 816
2. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإعلام، الكويت، 1966-1989.
3. عزام، محمد: النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص 12
4. سليمان، عبد المنعم محمد فارس: مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر، أطروحة ماجستير، في اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2005م، ص 12، عن: عبد المطلب محمد: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، لونجمان، مصر، 1995م، ص 137.
5. السعدني، مصطفى (د.): التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م، ص 73
6. السابق، ص 74
7. السابق، عن الحيوان للجاحظ 1/131
8. عزام، ص 12
9. السابق
10. الزعبي، أحمد (د.): التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2000م، ص 11.
11. سلام، سعيد: التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجاً، عالم الكتب الحديث، عمّان، 2010م، ص 63
12. عزام، ص ص 27-26
13. سلام، سعيد: المرجع السابق، ص 102
14. السابق
15. السابق
16. السابق، ص 133
17. السابق
18. السابق، ص 153
19. عبد السلام، مصطفى بيومي (د.): التناص .. مقاربة نظرية شارحة، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 1، المجلد 40، يوليو-سبتمبر 2011م، ص 90

21. السابق، ص 91
22. السابق
23. السابق
24. السابق، ص 92
25. الزعبي، ص 11.
26. زاوي، سارة: جماليات التناص في شعر عقاب بلخير، أطروحة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2008م، ص 14
27. لوشن، نور الهدى (أ.د.): التناص بين التراث والمعاصرة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج 15، ع 26، صفر 1424هـ، ص 1027 عن: د. عبد الملك مرتاض، الموقف الأدبي، العدد 330، ص 1020
28. الزعبي، ص 12.
29. عزام، ص 40
30. لوشن، ص 17
31. زاوي، ص 23
32. السعدني، ص 50
33. عزام، ص 108
34. السابق، ص 111
35. زاوي، ص 29
36. الجعافرة، ماجد ياسين (د.): التناص والتلقي: دراسات في الشعر العباسي، دار الكندي، إربد، 2003م، ص 15.
37. لوشن، ص 1026
38. السابق، ص 1026
39. الزعبي، ص 20، والجعافرة، ص 16-15.
40. الجعافرة، ص 15.
41. الزعبي، ص 37.
42. زاوي، ص 81
43. السابق، ص 88
44. السابق، ص 52
45. السابق، ص 73
46. السابق، ص 81
47. السابق، ص 92
48. الزعبي، ص 29.

49. سالم بن علي العويس: نداء الخليج، الأعمال الكاملة، دار المهد للنشر والتوزيع، عمّان، 1987م، ص 8
50. السابق، ص 9
51. السابق، ص 28
52. السابق، ص 30
53. السابق، ص 50
54. السابق، ص 141
55. السابق، ص 157
56. رواه السيوطي في الجامع الصغير عن سهل بن سعد الساعدي، وقال: حديث صحيح (موقع الدرر السنية).
57. نداء الخليج، ص 147
58. رواه الألباني في فقه السيرة عن عبد الرحمن بن عوف، وقال: صحيح مرسل. (موقع الدرر السنية).
59. نداء الخليج، ص 119
60. حنفي، عبد الحيم (د.): لامية العرب للشنفرى، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، 1981م، ص 12
61. لامية العرب للشنفرى، ص 26
62. السابق، ص 144
63. عاصي، محمود: مجنون ليلى، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص 278
64. السابق، ص 155
65. حمودان، علي المفضل (د.): شرح حماسة أبي تمام، للأعلم الشنتمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1992م، ج 1، ص485
66. شرح حماسة أبي تمام، للأعلم الشنتمري، ج 1، ص484
67. السابق، ص 123
68. السابق، ص 215
69. أبو سويلم، أنور عليان، والشوابكة، محمد علي: ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 1421هـ/2000م، مج 1، ص 239
70. نداء الخليج، ص 31
71. يعقوب، إميل بدع (د.): ديوان قيس لبنى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م، ص 107
72. نداء الخليج، ص 41
73. البرقوقي: عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1400هـ:1980م، ج 2/ ص 144

74. نداء الخليج، ص 57
75. طماس، حمدو: ديوان الخنساء، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 2004م، ص 46
76. كيلاني، محمد سيد: ديوان البوصيري، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،ط2، 1973م، ص 246
77. نداء الخليج، ص 85
78. عبد الحميد، محمد محيي الدين: مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، دار الفكر، ط 3، 1972م، ج 1، ص 425
79. نداء الخليج، ص 123
80. البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار الأندلس، بيروت، ط 3، 1983م، ص 366
81. المرجع السابق، ص 365
82. نداء الخليج، ص 130
83. الهاشمي، السيد أحمد: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت، د. ت.، ج 2، ص 75
84. نداء الخليج، ص 186
85. الطاهر، علي جوا (د.) والجبوري، يحيى (د.): ديوان الطغرائي، وزارة الإعلام، بغداد، 1976م، ص 309
86. نداء الخليج، ص 231
87. ديوان البوصيري، ص 246
88. نداء الخليج، ص 234
89. ديوان البوصيري، ص 247
90. ديوان البوصيري، ص 245
91. نداء الخليج، ص 29
92. المعري، أبو العلاء: سقط الزند، دار صادر-دار بيروت، بيروت، 1383هـ/1963م، ص 94
93. نداء الخليج، ص 50
94. طه، علي محمود: ديوان علي محمود طه، دار العودة، بيروت، 1972م، ص 504
95. رافع، شوقي: الشاعر الجامح خلفان بن مصبح، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، 1990م، ص 11
96. المرجع السابق، ص 71
97. المرجع السابق، ص 72
98. الغزالي، أحمد عبد الحميد: ديوان أبي نواس، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م، ص 705
99. المرجع السابق، ص 29

100. المرجع السابق، ص 32
101. شوقي، أحمد: الشوقيات، د.ن، د.ت، ج 2، ص 101
102. الشاعر الجامح ، ص 82
103. شوقي، أحمد: الشوقيات، ج 2، ص 112
104. غانم، شهاب: شعراء من الإمارات، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2008، ص 57
105. المرجع السابق، ص52
106. الشاعر الجامح، ص 40
107. مجنون ليلى، ص 201
108. فرحات، يوسف: ديوان ابن زيدون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991م، ص 299
109. ديوان ابن زيدون، ص 299
110. السابق
111. ديوان الطغرائي، ص 306
112. الزبيدي، محمد المرتضى: تاج العروس، مادة (ع ل ل).
113. المرجع السابق، ص 85
114. حمود، محمد (د.): ديوان المفضليات، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1998م، 292
115. جمع ظعينة، والظَّعِينَة: الجمل يُظْعَنُ عليه، والظَّعِينة: الهَوْدج تكون فيه المرأة، وقيل: هو الهودج، كانت فيه أو لم تكن. والظَّعِينة: المرأة في الهودج (تاج العروس-ظ ع ن).
116. القاسمي، صقر: الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول، وطنيات، مطابع الشروق، القاهرة، 1402هـ/1982م.
117. انظر على سبيل المثال القصائد: (الجزائر في نضالها المجيد) ص 233 (بطل الريف مرثية)، ص 242، (مصرع النسر تحية وداع للشهيد عبد السلام عارف)، ص 244
118. القاسمي، صقر: الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول، ص 238
119. المرجع السابق، ص 232
120. انظر القصائد: (عمان)، ص 41، (وطني منبت الكرام عمان)، ص 49، (عمان)، ص 56، (وحي الكارثة)، ص 68، (سر من رأى)، ص 72، وقد ذكر الشاعر أن أجداده نزحوا منها، (قومي) ص 132
121. انظر القصائد: (إلى ولدي)، ص 79، (أمنية والد)، ص 81، (هند في عامها العاشر)،ص 83، (ميسون)،ص 85
122. انظر : (مرحبا بالصبا بعد الخمسين)، ص252، حين زارته في السجن، و (إلى زوجتي)، ص 257
123. القاسمي، صقر: الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول، ص 224
124. رواه الألباني في شرح الطحاوية وقال: حديث صحيح (موقع الدرر السنية).

125. القاسمي، صقر: الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول، ص 309
126. المرجع السابق، ص ص 326-325
127. رواه ابن تيمية في مجموع الفتاوى وقال: حديث صحيح (موقع الدرر السنية)
128. ديوان أبي نواس، ص 618
129. القاسمي، صقر: الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول، ص 18
130. المرجع السابق، ص 68
131. جاءت (كان) في البيت تامة لا ناقصة، وهي هنا بمعنى: وُجد، ومثله قول الله تعالى (وَإِن كَا نَذُو عُسْرَة فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَة) (البقرة، 280)
132. شرح حماسة أبي تمام، ج 1، ص264
133. المرجع السابق، ص 294
134. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 4، ص 69
135. الغشمشم مبالغة من الغَشوم، والغَشُوم: الذي يَخْبِطُ الناس ويأخذ كل ما قدر عليه، والأصل فيه من غشم الحاطب، وهو أن يحتطب ليلاً فيقطع كل ما قدر عليه بلا نظر ولا فكر، (لسان العرب:غشم)؛ والشوس: جمع الأشوس، وهو الذي ينظر بمؤخرة العين تكبراً أو تغيظاً، (لسان العرب: شوس).
136. المرجع السابق، ص 327
137. المقري التلمساني، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج2، ص 26
138. المرجع السابق، ص 329
139. ديوان الطغرائي، ص 307
140. المرجع السابق، ص 306
141. المرجع السابق، ص 265
142. المرجع السابق، ص 267
143. المرجع السابق، ص 32
144. المفضليات، ص 291
145. المرجع السابق، ص 49
146. البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد: ديوان البحتري، دار صادر، بيروت، د.ت.، ج 1، ص 190
147. المرجع السابق، ص 52
148. ديوان البحتري، ج 1، ص 194
149. المرجع السابق، ص 59
150. ديوان الطغرائي، ص 306

151. المرجع السابق، ص 68
152. أبو ذياب، خليل إبراهيم (د.): النابغةالجعدي، حياته وشعره، دار القلم، دمشق، 1987م، ص 355
153. المرجع السابق، ص 187
154. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: كتاب الأغاني، تح: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعافين، بكر عباس، دار صادر، بيروت، 2002م، ج 18، ص 196
155. المرجع السابق، ص 215
156. جواهر الأدب، ج 2، ص 53
157. المرجع السابق، ص 262
158. الشوقيات، ج 2، ص 193
159. المرجع السابق، ص 326
160. ديوان امرئ القيس وملحقاته، مج 2، ص 425
161. العويس، سلطان: ديوان سلطان العويس، مطبعة المصباح، دمشق، 1413هـ/1993م، ص 16
162. المرجع السابق، ص 238
163. المرجع السابق، ص 152
164. المرجع السابق، ص 304
165. ديوان سلطان العويس، ص 267
166. المرجع السابق، ص 262
167. المرجع السابق، ص 277
168. المرجع السابق، ص 330
169. المرجع السابق، ص 153
170. شكور، جورج: ديوان إيليا أبو ماضي، دار الفكر اللبناني، 2004م، ص 381
171. المرجع السابق، ص 215
172. ديوان البوصيري، ص 246
173. المرجع السابق، ص 275
174. ديوان ابن زيدون، ص 194
175. المرجع السابق، ص 295
176. شوشة، فاروق: أحلى عشرين قصيدة حب في الشعر العربي، دار العودة، بيروت، 1973م، ص 139
177. المرجع السابق، ص 59
178. عبد الرحمن، إبراهيم (د.): عبيد الله بن قيس الرقيات، حياته وشعره، د.ن، 1980م،

ص 199

179. المرجع السابق، ص 61
180. المرجع السابق، ص 136
181. أحلى عشرين قصيدة حب في الشعر العربي، ص 118
182. المرجع السابق، ص 120
183. ديوان العويس، ص 139
184. المرجع السابق، ص 152
185. المرجع السابق، ص 188
186. المرجع السابق، ص 197
187. المرجع السابق، ص ص 311-310
188. المدني، أحمد أمين: الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، 2006م، ص ص 446-442
189. المرجع السابق، ص 466
190. غانم، شهاب: شعراء من الإمارات، مرجع سابق، ص 98
191. أحمد أمين المدني: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 528
192. المرجع السابق ، ص 498
193. المرجع السابق، هامش ص 459
194. المرجع السابق، ص 458
195. موقع شبكة الشيعة العالمة
196. غانم، شهاب: شعراء من الإمارات، مرجع سابق، ص 98
197. أحمد أمين المدني: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 451
198. سقط الزند، ص 7
199. سقط الزند، ص 12
200. سقط الزند، ص 8
201. سقط الزند، ص 12
202. المرجع السابق، ص 494
203. ديوان أبو القاسم الشابي، ص ص 305-304
204. ديوان أبو القاسم الشابي، ص 58
205. الأعمال الكاملة للمدني، ص 483
206. ديوان امرئ القيس وملحاقه، مج 1، ص 185
207. جواهر الأدب، ج 2، ص 58
208. المرجع السابق، ص 531

209. البحيري، أيمن عبد الجابر: نوادر الخلفاء المسمى: إعلام الناس بما جرى للبرامكة مع بني العباس، دار الآفاق العربية، 1998م، ص 108
210. البدور، بلال: الهزار الشادي حمد بن خليفة أبو شهاب الملامح الشخصية والفنية في شعره، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1423هـ/2002م، ص ص 7-6.
211. المرجع السابق، ص 326
212. المرجع السابق، ص 263.
213. المرجع السابق، ص 301
214. المرجع السابق، ص 226
215. المرجع السابق، ص 171
216. رواه الألباني في صحيح الترغيب عن أنس بن مالك وقال: حديث حسن (موقع الدرر السنية).
217. الهزار الشادي، ص 263
218. رواه مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير (موقع الدرر السنية).
219. الهزار الشادي، ص 216
220. رواه الألباني في السلسلة الصحيحة عن ثوبان مولى رسول الله (موقع الدرر السنية).
221. الهزار الشادي، ص 144
222. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان، تح: د. إحسان عباس، ، دار الفكر، دار صادر، بيروت، 1969م، مج 2، ص 441
223. المرجع السابق، ص 195
224. المرجع السابق، ص 196
225. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 2/ ص 72
226. الهزار الشادي، ص 203
227. ديوان البحتري، ج 1، ص 147
228. المرجع السابق، ص 208
229. أحلى عشرين قصيدة حب في الشعر العربي، ص 171
230. الهزار الشادي، ص 223
231. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 4/ ص 246
232. الهزار الشادي، ص 249
233. الأسمر، راجي: شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992م، ج 1، ص 44
234. الهزار الشادي، ص 275
235. المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 3، ص 145
236. الهزار الشادي، ص 343

237. الزهاوي، جميل صدقي: ديوان الزهاوي، دار العودة، بيروت، ط 2، 1979م، مج 1، ص 376
238. الهزار الشادي، ص 319
239. جواهر الأدب، ج 2، ص 57
240. الهزار الشادي، ص 341.
241. المرجع السابق، ص223
242. المرجع السابق، ص 236
243. شرح ديوان أبي تمام، ج 1، ص 342
244. الهزار الشادي، ص165
245. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج3، ص 12.
246. الهزار الشادي، ص 232.
247. إبراهيم، حافظ: ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م، ج 1، ص 279
248. الهزار الشادي، ص 291؛ وصدفة من الأخطاء الشائعة، صوابها مصادفةً، انظر: يعقوب، إميل: معجم الخطأ والصواب في اللغة، دار العلم للملايين، ط 3، 1991م، ص 321
249. قباني، نزار: أحلى قصائدي، منشورات نزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت، ط 3، 1972م، ص 144
250. غانم، شهاب: مئة قصيدة وقصيدة، كتاب دبي الثقافية 50، يونيو 2011م، ص 12
251. المرجع السابق، ص 200
252. المرجع السابق، ص 51
253. المرجع السابق، ص 56
254. المرجع السابق، ص 82
255. المرجع السابق، ص 158.
256. الصافنات جمع الصافنة من الخيل وهي التي تقوم على ثلاث قوائم وترفع إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر
257. المرجع السابق، ص 166
258. الزمخشري: محمود بن عمر: الكشاف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2006م، ج1، ص 427.
259. غانم، شهاب: مئة قصيدة وقصيدة، ص 167
260. المرجع السابق، ص 172.
261. المرجع السابق، ص 186.
262. المرجع السابق، ص 188.

263. الكشاف، ج1، ص 317.
264. غانم، شهاب: مئة قصيدة وقصيدة، ص 220.
265. المرجع السابق، ص 223.
266. المرجع السابق، ص 132.
267. رواه ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: صحيح على شرط مسلم (موقع الدرر السنية).
268. غانم، شهاب: مئة قصيدة وقصيدة، ص 160.
269. رواه الألباني في السلسلة الصحيحة عن ثوبان مولى رسول الله (موقع الدرر السنية).
270. غانم، شهاب: مئة قصيدة وقصيدة، ص 218.
271. رواه البخاري في صحيحه عن مالك بن أنس (موقع الدرر السنية).
272. المرجع السابق، ص 111.
273. موقع الألوكة
274. غانم، شهاب: مئة قصيدة وقصيدة، ص 62.
275. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 3، ص 141
276. غانم، شهاب: مئة قصيدة وقصيدة ، ص 160.
277. الشوقيات، ج 2، ص 77
278. المرجع السابق، ص 189.
279. مردم بك، خليل: ديوان علي بن الجهم، دار الىفاق الجديدة، بيروت، ط 2، 1980م، ص 141
280. المرجع السابق، ص 200.
281. الشوقيات، ج 1، ص 217
282. المرجع السابق، ص 35.
283. سقط الزند، ص 94
284. المرجع السابق، ص 49.
285. شرح حماسة أبي تمام، ج 1، ص 263
286. المرجع السابق، ص 107.
287. محمود، عبد الخالق (د.): ديوان ابن الفارض، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995م، ص 185
288. المرجع السابق، ص 139.
289. قباني، نزار: الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، ط 5، 1993م، ج 3، ص 638
290. المرجع السابق، ص 202.

291. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 3، ص 267
292. الحموي، تقي الدين أبوبكر بن علي بن محمد بن حجة: ثمرات الأوراق في المحاضرات، صححه وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1971م، ص 29
293. صدرت طبعته الأولى عام 2000م.
294. صدرت طبعته الثانية عشرة سنة 1998م، عن المؤسسة العربية للإعلام، أبوظبي.
295. صدرت طبعته الثالثة والعشرون سنة 2000م.
296. بشاير، ط2، 1996م، ص 51
297. شمس الخلود، ط1، 2000م، ص 11
298. مجد الخضوع، ط 11، 1990، ص 33
299. مجد الخضوع، ط 11، 1990، ص 34
300. بشاير، ط2، 1996م، ص 109
301. أمير الحب، ط 29، 2000م، ص 128
302. خواطر وذكريات، ط 26، 2000م، ص 124
303. قصائد إلى الحبيب، ط 8، 1983م، ص 92.
304. ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر: ديوان بشار بن برد، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2008م، ج 2، ص 72
305. قصائد إلى الحبيب، ط 8، 1983م، ص 96.
306. نشيد الحب، ط 14، 1990، ص 41
307. رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس (موقع الدرر السنية).
308. نشيد الحب، ط 14، 1990، ص 68
309. رواه الزرقاني في (مختصر المقاصد)، وقال: حديث حسن (موقع الدرر السنية).
310. أغاني وأماني، ط 3، 1997م، ص 9
311. أغاني وأماني، ط 3، 1997م، ص 11
312. شمس الخلود، ط1، 2000م، ص 25
313. شوقي، أحمد: مجنون ليلى، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص 9
314. إلى أين، ط 1، 2000م، ص 34
315. جواهر الأدب، ج 2، ص 67
316. الرحيل، ط 13، 2000م، ص 9
317. ديوان الحماسة، ج 2، ص 38
318. الرحيل، ط 13، 2000م، ص 133
319. أحلى عشرين قصيدة حب في الشعر العربي، ص 139
320. خواطر وذكريات، ط 26، 2000م، ص 20

321. جواهر الأدب، ج 2، ص 135
322. خواطر وذكريات، ط 26، 2000م، ص 76
323. خواطر وذكريات، ط 26، 2000م، ص 90
324. البستاني، كرم: ديوان النابغة الذبياني، دار صادر، بيروت، 1980م، ص 19
325. ليل طويل، ط 23، 2000م، ص 51
326. ديوان أبي نواس، ص 621
327. محطات على طريق العمر، ط6، 1990م، ص 103
328. مجد الخضوع، ط 11، 1990، ص 58
329. الأغاني، ج 12، ص 153
330. مجد الخضوع، ط 11، 1990، ص 78
331. سلوم، داود (د.)، والقيسي، نوي حمودي (د.): شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، عالم الكتب، بيروت، 1984م، ص 45
332. مجد الخضوع، ط 11، 1990، ص 110
333. ديوان أبي نواس، ص 27
334. نشيد الحب، ط 14، 1990، ص 8
335. مجنون ليلى، ص 166
336. نشيد الحب، ط 14، 1990، ص 58
337. الحسني، ابن معصوم: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، نسخة إلكترونية، موقع المصطفى، ص 360
338. الشوقيات، ج 2، 179
339. نشيد الحب، ط 14، 1990، ص 61
340. نشيد الحب، ط 14، 1990، ص 82
341. المقري: نفح الطيب في أخبار غصن الأندلس الرطيب، ج 3، ص 599
342. بشاير، ط2، 1996م، ص 18
343. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 2، ص 144
344. أغاني وأماني، ط 13، 2000م، ص 39.
345. المقري: نفح الطيب في أخبار غصن الأندلس الرطيب، ج 4، ص 288
346. أغاني وأماني، ط 13، 2000م، ص 141.
347. ينسب للإمام علي، وينسب للحجاج بن يوسف
348. قصائد إلى الحبيب، ط 8، 1983م، ص 13.
349. لبرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 4، ص 253
350. ليل طويل، ط 23، 2000م، ص 35

351. مجد الخضوع، ط 11، 1990، ص 28
352. مجمع الأمثال للميداني، ج 2، ص 332
353. ليل طويل، ط 23، 2000م، ص 93
354. ديوان بشار بن برد، ج 1، ص 133
355. الرحيل، ط13، 2000م، ص 15
356. مجمع الأمثال للميداني، ج 1، ص 238
357. الرحيل، ط13، 2000م، ص 45
358. الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، تح: د. مصطفى محمد الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 2003م، ص 39
359. مجمع الأمثال للميداني، ج 1، ص 328
360. ليل طويل، ط 23، 2000م، ص 83
361. ديوان امرئ القيس وملحقاته، مج 1، ص ص 7-6
362. قصائد إلى الحبيب، ط 8، 1983م، ص 19.
363. الشيخ، عارف: ديوان نداء الإسلام، د.ن.، 1414هـ/1994م، ص 126
364. المرجع السابق، ص 100
365. المرجع السابق، ص 101
366. الشيخ، عارف: الوردة في تخميس اللامية وتشطير البردة، مطبعة بن دسمال، دبي، 2009م.
367. الشيخ، عارف: ديوان نداء الإسلام مرجع سابق، ص 62، والمُكاء (بضم الميم) الصفير، والتصدية التصفيق بضرب اليد على اليد
368. المرجع السابق، ص 132
369. المرجع السابق، ص 368
370. المرجع السابق، ص 39
371. المرجع السابق، ص 38
372. المري، سيف بن محمد: الأغاريد والعناقيد، د. ن.، الطبعة الرابعة، 2010م، ص 145
373. ديوان نداء الإسلام، ص 49
374. المرجع السابق، ص 89
375. العامري، لبيد بن ربيعة: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، 1966م، ص
376. المرجع السابق، ص 95
377. المرجع السابق، ص 125
378. رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه (موقع الدرر السنية)
379. ديوان نداء الإسلام، ص 142

380. رواه الألباني في صحيح الجامع عن عبد الله بن عدي بن الحمراء (موقع الدرر السنية).
381. ديوان نداء الإسلام، ص 268
382. رواه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى، وقال: لم أجد له إسناداً (موقع الدرر السنية).
383. ديوان نداء الإسلام ، ص 267
384. رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه (موقع الدرر السنية).
385. رواه الألباني في السلسلة الضعيفة، وقال: ضعيف جداً (موقع الدرر السنية).
386. المرجع السابق، ص 269
387. في الأصل: ودود، ولعله خطأ مطبعي، والنص المعروف هو: "سوداء ولود خير من حسناء لا تلد"، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (موقع الدرر السنية).
388. المرجع السابق، ص 43
389. الأعمال السياسية الكاملة، ج 3، ص 407
390. المرجع السابق، ص 53
391. المرجع السابق، ص 121
392. جواهر الأدب، ج 2، ص 68
393. مجند مصري أطلق النار على مجموعة من اليهود في طابا عام 1986، فسجن ثم أعلن أنه انتحر.
394. المرجع السابق، ص 129
395. هارون، عبد السلام: تهذيب سيرة ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1989م، ص 202، وروايته: فوالله ما أرجو إذا مت مسلماً
396. المرجع السابق، ص 302
397. جواهر الأدب، ج 2، ص 66
398. المرجع السابق، ص 304-303
399. المرجع السابق، ص 305
400. المرجع السابق، ص 312
401. سقط الزند، ص 193
402. المرجع السابق، ص 319
403. جواهر الأدب، ج 2، ص 57
404. المرجع السابق، ص 67
405. ديوان امرئ القيس وملحقاته، مج 1، ص 164
406. المرجع السابق، ص 101
407. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 4، ص 85، ورواية الديوان: إذا نظرت
408. المرجع السابق، ص 118

409. الشوقيات، ج 1، ص 34
410. العبادي، عبد الرحمن: بشائر الفجر، مطبعة كاظم، دبي، 1989م، ص 8
411. بشائر الفجر، ص 79
412. المرجع السابق، ص 76
413. المرجع السابق، ص 41
414. ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء
415. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه
416. بشائر الفجر، ص 93
417. المرجع السابق، ص 10
418. المرجع السابق
419. المرجع السابق، ص 11
420. المرجع السابق، ص 11
421. المرجع السابق، ص 12
422. المرجع السابق، ص 15
423. المرجع السابق، ص 37
424. المرجع السابق، ص 37
425. المرجع السابق، ص 57
426. المرجع السابق، ص 59
427. المرجع السابق، ص 66
428. المرجع السابق، ص 78
429. المرجع السابق، ص27
430. المرجع السابق، ص 88
431. - المرجع السابق، ص99
432. معروف، نايف، والأسعد، عمر: علم العروض التطبيقي، دار النفائس، ط 2، 1993م، ص 199
433. المرجع السابق، ص10
434. شوقي، أحمد: الشوقيات، د.ن، د.ت، ج 1، ص17
435. بشائر الفجر، ص 12
436. الشوقيات، ج 2، ص 197
437. بشائر الفجر، ص13
438. الشوقيات، ج 1، ص 34
439. بشائر الفجر، ص15

440. المرجع السابق، ص 88
441. إسماعيل، محمود حسن: المسلمون، مجلة المسلمون، العدد الأول، السنة الأولى، ص91
442. بشائر الفجر، ص51
443. المرجع السابق، ص44
444. المرجع السابق، ص29
445. المرجع السابق، ص53
446. المرجع السابق، ص83
447. سيف بن محمد المري: الأغاريد والعناقيد، د.ن، الطبعة الرابعة 2010م، ص 64
448. الحرجف: الريح الباردة الشديدة الهبوب، السجسج: الهواء المعتدل الطيب، القرقف: البارد
449. الأغاريد والعناقيد ، ص ص 16 - 19
450. المرجع السابق ، ص 112
451. المرجع السابق ، ص 50
452. الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 508
453. الأغاريد والعناقيد، ص 64
454. تفسير الكشاف، ج 4، ص 300
455. الأغاريد والعناقيد ، ص 81
456. المرجع السابق ، ص 105
457. المرجع السابق ، ص 108
458. الكشاف للزمخشري، ج3/ص 248
459. الأغاريد والعناقيد ، ص 145
460. الشيخ، عارف: ديوان نداء الإسلام، د.ن.، 1994م، ص 38
461. الأغاريد والعناقيد ، ص 115
462. الكشاف للزمخشري، ج 4/ص 437
463. الأغاريد والعناقيد ، ص 117
464. المرجع السابق ، ص 148
465. المرجع السابق، ص 96
466. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 4، ص 61
467. الأغاريد والعناقيد، ص 42
468. المرجع السابق ، ص 69
469. الأغاني، ج 15، ص 234
470. الأغاريد والعناقيد، ص 80

471. المستطرف في كل فن مستظرف، ص 344
472. الأغاريد والعناقيد، ص 94
473. الأغاني، ج 16، ص 44
474. معتوق، كريم: هذا أنا، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، دار الموسوي للطباعة والنشر، د. ت.، (1995؟)، ص 240
475. الصواب: ترَ
476. الصواب: لا تدَّعِ
477. المرجع السابق، ص ص 265-264
478. رواه الزرقاني في مختصر المقاصد، وقال: حديث صحيح (موقع الدرر السنية).
479. كريم معتوق: هذا أنا، ص 75
480. رواه البخاري في صحيحه عن عقبة بن عمرو (موقع الدرر السنية).
481. شرح ديوان أبي تمام، ج 2، ص 311
482. قصد الشاعر أن يقول: فغادرت كي لا أراها، ولكن الوزن ألجأه إلى ما قال. وقوله: دميةٌ-بالرفع، وحقها النصب على الحال.
483. كريم معتوق: هذا أنا، ص 191.
484. المرجع السابق، ص 207
485. وشى: من الوشاية، وقد أضطر الوزن الشاعر أن يجعلها: وشِيَ، وقد عدى الفعل (بعن) وحقه أن يعدى (بالباء).
486. الزمخشري: تفسير الكشاف، ج1، ص 181
487. كريم معتوق: هذا أنا، ص 23
488. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 3، ص 341
489. المرجع السابق، ص 227
490. المرجع السابق، هامش ص 231
491. المرجع السابق، ص 46
492. المرجع السابق، ص 45
493. في الأصل: منفردٍ (بالكسر)، وهو خطأ صوابه ما أثبتناه.
494. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان، مج 5، ص 103
495. كريم معتوق: هذا أنا، ص 48
496. أبو ماضي، إيليا: الجداول، دار العلم للملايين، الطبعة 13، مارس 1979م، ص ص 120-121
497. كريم معتوق: هذا أنا، ص 105
498. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 4، ص 85

499. الصواب أن يقول: قايضتك الحب بعرش مملكةٍ، ولكن الوزن ألجأه إلى استخدام حرف الجر (في).
500. كريم معتوق: هذا أنا، ص 232
501. إعلام الناس، ص
502. شموع وقناديل، المقدمة، ص 7، و(هشيماً) حقها الرفع.
503. مع الليل، ص 14
504. بقايا الكلمات، ص 42
505. آخر القوافل، ص 37
506. القاموس المحيط، مادة (جوس)
507. شموع وقناديل، ص 34
508. آخر القوافل، ص 60
509. مع الليل، ص 112
510. رواه الألباني في فقه السيرة عن أبي سعيد الخدري، وقال: حديث صحيح (موقع الدرر السنية).
511. مع الليل، ص 67
512. رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس (موقع الدرر السنية).
513. شموع وقناديل، ص8
514. يوسف، سعدي: محمد مهدي الجواهري، دار المدى للثقافة والنشر، 2001م، ص 134
515. أحلى عشرين قصيدة حب في الشعر العربي، ص 204
516. المرزوقي، محمد: يا ليل الصب و معارضاتها- طرابلس- ليبيا- الدار العربية للكتاب، 1976م.
517. شموع وقناديل، ص 37
518. الجارم، علي: ديوان علي الجارم، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 1990م، ص 172
519. شموع وقناديل، ص 41
520. مع الليل، 61
521. همسات على أعتاب الروح، ص 21
522. المفضليات، ص 291
523. آخر القوافل، ص 17
524. عبيد، أحمد: من أغاني العاشق القديم، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، 1998م، ص 61.
525. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 4،ص 438
526. المرجع السابق، ص 63.

527. المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 4، ص 62
528. ديوان الحماسة، ج 1، ص 102
529. شموع وقناديل، ص 63، والأنضاء جمع نِضو: وهو البعير المهزول، وقد يستعمل في الإنسان.
530. الديلمي، مهيار: ديوان مهيار الديلمي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1925م، ج 2، ص 56
531. شموع وقناديل، ص 51
532. جرير: ديوان جرير، دار صادر، بيروت، 1960م، ص 385
533. بقايا الكلمات، ص 16
534. سقط الزند، ص 94
535. رؤى نابضة، ص 7
536. الشريف الرضي: ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت، 1958م، ج 1، ص 381
537. مع الليل، ص 23
538. الشوقيات، ج 1، ص 72
539. مع الليل، ص 94
540. الشوقيات، ج 2، ص 193
541. عاشق في زمن الغربة، ص 89
542. ديوان أبو القاسم الشابي، ص 303
543. همسات على أعتاب الروح، ص 28
544. علي الشعالي: نحلة ورباية، أبوظبي، د.ن، 2004م.
545. علي الشعالي: وجوه وأخرى متعبة، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، قلم، 1431هـ/2010م
546. رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك.
547. رواه البخاري في صحيحه عن أبي حميد الساعدي.
548. رواه مسلم في صحيحه عن العباس بن عبد المطلب.
549. رواه الألباني في السلسلة الصحيحة عن ثوبان مولى رسول الله.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- البدور، بلال: الهزار الشادي حمد بن خليفة أبو شهاب الملامح الشخصية والفنية في شعره، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1423هـ/2002م.
- رافع، شوقي: الشاعر الجامح خلفان بن مصبح، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، 1990م.
- الشعالي، علي: وجوه وأخرى متعبة، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، قلم، 1431هـ/2010م.
- الشيخ، عارف: ديوان نداء الإسلام، د.ن.، 1414هـ/1994م.
- العبادي، عبد الرحمن: بشائر الفجر، مطبعة كاظم، دبي، 1989م.
- عبيد، أحمد محمد:
- آخر القوافل، د. ن، 2004م.
- بقايا الكلمات، د. ن.، 2002م.
- رؤى نابضة، د. ن.، 2005م
- شموع وقناديل، مطابع البيان التجارية، دبي، 1990م.
- عاشق في زمن الغربة، د. ن.، 1995م.
- مع الليل، مطبعة المعارف، الشارقة، 1993م.
- من أغاني العاشق القديم، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، 1998م
- همسات على أعتاب الروح، مؤسسة البيان للطباعة والنشر، دبي، 2007م.
- العتيبة، مانع سعيد:
- أغاني وأماني، ط 13، 2000م.
- الرحيل، ط 13، 2000م.
- الرسالة الأخيرة، ط19، 2000م.
- إلى أين، ط1، 2000م.
- أمير الحب، ط 29، 2000م.
- بشاير، ط2، 1996م.
- خواطر وذكريات، ط 26، 2000م.
- شمس الخلود، ط1، 2000م.
- قصائد إلى الحبيب، ط 8، 1983م.
- ليل طويل، ط 23، 2000م.
- مجد الخضوع، ط 11، 1990م.
- محطات على طريق العمر، ط6، 1990م.
- نشيد الحب، ط 14، م.
- العويس، سالم بن علي: نداء الخليج، الأعمال الكاملة، دار المهد للنشر والتوزيع، عمّان،

1987م.
• العويس، سلطان: ديوان سلطان العويس، مطبعة المصباح، دمشق، 1413هـ/1993م.
• غانم، شهاب: مئة قصيدة وقصيدة، كتاب دبي الثقافية 50، يونيو 2011م.
• القاسمي، صقر: الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول، وطنيات، مطابع الشروق، القاهرة، 1402هـ/1982م.
• المدني، أحمد أمين: الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، 2006م.
• معتوق، كريم: هذا أنا، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، دار الموسوي للطباعة والنشر، د. ت. (1995؟).

ثانياً: المراجع

الكتب:

• إبراهيم، حافظ: ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م.
• الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، تح: د. مصطفى محمد الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 2003م.
• ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان، تح: د. إحسان عباس، ، دار الفكر، دار صادر، بيروت، 1969م.
• ابن رشيق، الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده، القاهرة: دار الطلائع، 2006م.
• ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر: ديوان بشار بن برد، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس، 2008م.
• ابن منظور الأفريقي المصري، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، يروت، د.ت.
• أبو ذياب، خليل إبراهيم (د.): النابغة الجعدي، حياته وشعره، دار القلم، دمشق، 1987م.
• أبو سويلم، أنور عليان (د.)، والشوابكة، محمد علي (د.): ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 1421هـ/2000م.
• أبوماضي، إيليا: الجداول، دار العلم للملايين، الطبعة 13، مارس 1979م.
• الأسمر، راجي: شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992م.
• الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: كتاب الأغاني، تح: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعافين، بكر عباس، دار صادر، بيروت، 2002م.
• البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد: ديوان البحتري، دار صادر، بيروت، د.ت.
• البحيري، أيمن عبد الجابر: نوادر الخلفاء المسمى: إعلام الناس بما جرى للبرامكة مع بني

العباس، تأليف العالم الأديب محمد بن دياب الإتليدي. دار الآفاق العربية، 1998م.
• البرقوقي، عبد الرحمن:
• شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار الأندلس، بيروت، ط 3، 1983م
• شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1400هـ/1980م
• البستاني، كرم: ديوان النابغة الذبياني، دار صادر، بيروت، 1980م.
• التبريزي: ديوان الحماسة، دار القلم، بيروت، 1970م.
• الثعالبي، أبو منصور: يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر
• الجارم، علي: ديوان علي الجارم، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 1990م.
• الجعافرة، ماجد ياسين (د.): التناص والتلقي: دراسات في الشعر العباسي، دار الكندي، إربد، الأردن، 2003م.
• الحسني، ابن معصوم: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، نسخة إلكترونية، مكتبة المصطفى الإلكترونية.
• حمود، محمد (د.): ديوان المفضليات، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1998م.
• حمودان، علي المفضل (د.): شرح حماسة أبي تمام، للأعلم الشنتمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1992م.
• الحموي، تقي الدين أبوبكر بن علي بن محمد بن حجة: ثمرات الأوراق، صححه وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1971م.
• حنفي، عبد الحيم (د.): لامية العرب للشنفرى، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، 1981م.
• الديلمي، مهيار: ديوان مهيار الديلمي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1925م.
• الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء
• الزهاوي، جميل صدقي: ديوان الزهاوي، دار العودة، بيروت، ط 2، 1979م.
• الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإعلام، الكويت، 1989-1966.
• الزعبي، أحمد (د.): التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2000م.
• الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، 1427هـ/2006م.
• السعدني، مصطفى (د.): التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.
• سلام، سعيد: التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجاً، عالم الكتب الحديث، عمَّان، 2010م
• سلوم، داود (د.)، والقيسي، نوي حمودي (د.): شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، عالم الكتب، بيروت، 1984م.

- الشابي، أبو القاسم: ديوان أبو القاسم الشابي، دار العودة، بيروت، 1972م.
- الشريف الرضي: ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت، 1958م.
- الشعالي، علي: نحلة وربابة، أبوظبي، د.ن، 2004م.
- شكور، جورج: ديوان إيليا أبو ماضي، دار الفكر اللبناني، 2004م.
- شوشة، فاروق: أحلى عشرين قصيدة حب في الشعر العربي، دار العودة، بيروت، 1973م.
- شوقي، أحمد:
- الشوقيات، د.ن، د.ت.
- مجنون ليلى، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- الشيخ، عارف: الوردة في تخميس اللامية وتشطير البردة، مطبعة بن دسمال، دبي، 2009م.
- الطاهر، علي جوا (د.) والجبوري، يحيى (د.): ديوان الطغرائي، وزارة الإعلام، بغداد، 1976م.
- طماس، حمدو: ديوان الخنساء، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 2004م.
- طه، علي محمود: ديوان علي محمود طه، دار العودة، بيروت، 1972م.
- عاصي، محمود: مجنون ليلى، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1993م.
- العامري، لبيد بن ربيعة: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، 1966م.
- عبد الحميد، محمد محيي الدين: مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، دار الفكر، ط 3، 1972م.
- عبد الرحمن، إبراهيم (د.): عبيد الله بن قيس الرقيات، حياته وشعره، د.ن، 1980م.
- عزام، محمد: النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.
- غانم، شهاب: شعراء من الإمارات، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2008م.
- الغزالي، أحمد عبد الحميد: ديوان أبي نواس، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م.
- فرحات، يوسف: ديوان ابن زيدون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991م.
- الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1407هـ/1987م
- قباني، نزار:
- أحلى قصائدي، منشورات نزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت، ط 3، 1972م.
- الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، ط 5، 1993م.
- كيلاني، محمد سيد: ديوان البوصيري، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1973م.
- محمود، عبد الخالق (د.): ديوان ابن الفارض، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995م.

- المرزوقي، محمد: يا ليل الصب و معارضاتها طرابلس ليبيا الدار العربية للكتاب، 1976م.
- معروف، نايف، والأسعد، عمر: علم العروض التطبيقي، دار النفائس، ط 2، 1993م، ص 199.
- المعري، أبو العلاء: سقط الزند، دار صادر-دار بيروت، بيروت، 1383هـ/1963م.
- المقري التلمساني، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.
- هارون، عبد السلام: تهذيب سيرة ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1989م.
- الهاشمي، السيد أحمد: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت، د. ت.
- يعقوب، إميل بديع (د.): ديوان قيس لبنى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م.
- يعقوب، إميل: معجم الخطأ والصواب في اللغة، دار العلم للملايين، ط 3، 1991م.
- يوسف، سعدي: محمد مهدي الجواهري، دار المدى للثقافة والنشر، 2001م.

الدوريات

- إسماعيل، محمود حسن: المسلمون، مجلة المسلمون، العدد الأول، السنة الأولى، ص91
- عبد السلام، مصطفى بيومي (د.): التناص .. مقاربة نظرية شارحة، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 1، المجلد 40، يوليو-سبتمبر 2011م، ص ص 103-63.

- لوشن، نور الهدى (أ.د.): التناص بين التراث والمعاصرة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج 15، ع 26، صفر 1424هـ، ص ص 1033-1019.

الأطروحات

- زاوي، سارة: جماليات التناص في شعر عقاب بلخير، أطروحة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2008م.
- سليمان، عبد المنعم محمد فارس: مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، بنابلس، فلسطين، 2005م.

المواقع الإلكترونية

- موقع الدرر السنية (http://www.dorar.net) في 22/9/2011م.
- موقع شبكة الشيعة العالمية(http://shiaweb.org/v2/index.html) في 22/9/2011م.
- مكتبة المصطفى الإلكترونية (http://www.al-mostafa.com) في 23/9/2011م.
- موقع الألوكة (http://www.alukah.net/Sharia/10963/4524) في 25/9/2011م.